بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١)

علوم القرآن

المقدمة

القرآن الكريم كتاب الله النازل من الحق تبارك وتعالى للبشرية ، ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)) (١) ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والتخلف والانحطاط إلى نور العلم والتقدم والرقي.

وقد اتفق جميع المسلمين على أصالة وسلامة هذا القرآن من الخطأ والخلل والانحراف، وأمن الجميع بأن هذا الكتاب يمثل دستور المسلمين الأول ويحتوي على أحكام ومناهج تعالج الحياة على مختلف صُعدها السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكان بحق الملجئ الحقيقي للأمة في مواجهة ظلمات الجهل والانحراف «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع مصدق»[٢].

١– سورة الاسراء : الاية : ٩

٢– محمد بن مسعود العياشى، تفسير العياش: ج١ ص١٣.

المحتواي العلمي

علوم القرآن

الواقع الجاهلي

بعد ان ساد الجهل والتخلف في شبه الجزيرة العربية ، وبعدما كانت الرذيلة تعد في المجتمع فضيلة والانحطاط خلقاً انطلق المسلمون بقيادة الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) مهتدين بتعاليم القران واوامر الله سبحانه .

فقد كان الاباء يقتلون البنت لأنها تُمثل عاراً عليهم وفق مقايسهم، وكانوا يعبدون ما ينحتون مما لا ينفع ولا يضر، وإذا ما أردنا وصف تلك الحقبة الزمنية فأتصور أن خطبة الزهراء (عليها السلام) تُمثل وصفاً دقيقاً لحياة العرب قبل الإسلام فقالت:

«لقد كنتم تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الشيطان من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد(صلي الله عليه واله) » [١].

فالرسول(صلي الله عليه واله) هو المنقذ لهذه الأمة، ولكن بماذا أنقذهم؟ أنقذهم بالقرآن ذلك الكتاب الذي وصفه نفسه بنفسه عندما قالت الاية المباركة ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ)) وقال تعالى فيه ((الله انزل احسن الحديث)) ووصفه الرسول الاكرم عندما بأنه الثقل الأكبر عندما قال: «إني تارك فيكم الثقلين[٢] كتاب الله وعترتي» [٣].

ووصفه ايضا بقوله : «كتابٌ فيه تفصيلٌ وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهرٌ وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة» [٤].

كل هذه الامتيازات يحملها كتاب الله تعالى، فكان بحق موضع اهتمام المسلمين منذ أول يوم نزل به الوحي المبارك على صدر النبي الأكرم(صلي الله عليه واله) ولهذا يقول ابن مسعود:

١- الطبرسي، الاحتجاج: ج١ ص١٣٥.

٢- الثقلين يعنى جعلها الله ثقلين لرفع شأنهما وتقديسهما وإكرامهما وأما الثقلين لأن العمل بهما والتمسک بهما يقل جداً

٣- الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا: ج١ ص٦٨.

٤- الشيخ الكليني، الكافي: ج٢ ص٥٩٩.

«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» [١].

فاهتم المسلمون بهذا الكتاب الكريم فكانوا يرجعون إلى آياته فيفهمون ما يستطيعون فهمه، والذي يستعصي عليهم يعودون به إلى الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) الذي جعله الحق تبارك وتعالى مرجعاً في فهم وتفسير القرآن عندما قال:

«وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»[٢].

مأساة المسلمين بعد رسول الله (ص)

ولكن وبعد أن اختفى الرسول(صلي الله عليه واله) من حياة الأمة وبرزت المشاكل المتعددة وظهرت الفتن، وأصبحت الآيات القرآنية بألفاظها العربية غريبة عن الناس لأسباب عديدة منها.

١ـ الفاصلة الزمنية بين تلك الكلمات القرآنية وبين المخاطبين.

٢ـ عمليات التحريف والتزوير والدس المتعددة.

٣ـ دخول الكثير من القوميات غير العربية إلى الإسلام.

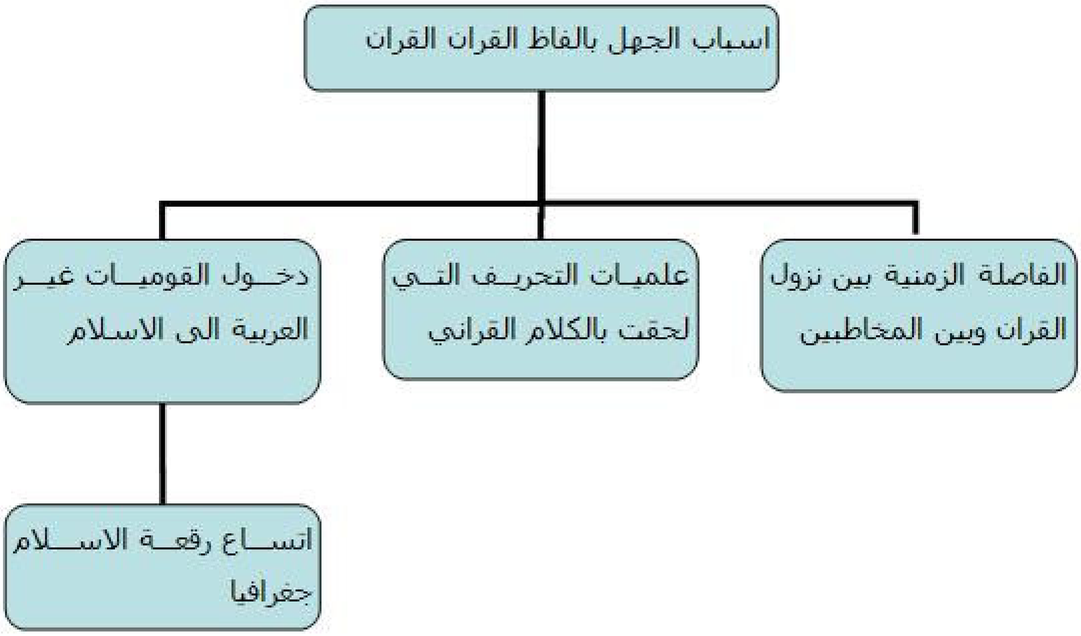
٤ـ توسع الإسلام جغرافياً.

وغير ذلك من أمور أدت إلى تشويش معاني القرآن الكريم مما حدا بالخيرين من هذه الأمة أن يكشفوا عن ساق للدفاع عن الإسلام وعن كتابة القرآن الخالد بالشرح والتفسير والتوضيح والبيان فتولد لدينا علم سمي فيما بعد بعلم التفسير. ويُعَّرف التفسير بأنه:

> محاولة لكشف المراد الجدي للحق تبارك وتعالى من خلال آياته وفق القواعد اللغوية وعلى أساس الطريقة العقلائية وحسب الطاقة البشرية

١ـ محمد أبو الفضل إبراهيم الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٢ ص١٥٧.

٢ـ النحل: ٤٤.



تبلور علوم القران

وعلى هذا الأساس وجدت لدينا تفاسير كثيرة، ولكن إلى جانب هذه التفاسير بدأ يتبلور علم جديد يسمى علوم القرآن، بعد أن كانت مباحث هذا العلم تُدرس ضمن مباحث التفسير،إذ كانت مباحث علوم القرآن سابقا تُدرج ضمن المباحث التفسيرية ولكن هذه المباحث يجب أن تتقدم على مباحث التفسير ولا يمكن الدخول إلى مباحث التفسير والكشف عن مراد الله إلا بعد تحقيق الحال في مباحث علوم القرآن فمثلاً لا يمكن الدخول في شرح وبيان الألفاظ القرآنية ونسبة نتايج تلك البحوث إلى الحق تبارك وتعالى إلا بعد الإنتهاء من مسألة تحريف القرآن وسلامته، فعلوم القرآن في كثير من مباحثه تعتبر مقدمات لعلم التفسير بحيث يجب الانتهاء منها قبل الدخول إلى حريم القرآن لتفسيره.

وعلى هذا انفصلت مباحث علوم القرآن عن مباحث علم التفسير وقام العلماء بتدوين الكتب المرتبطة بهذا العلم ، بل أن بعض المفسرين يذكر مباحث علوم القرآن في مقدمة تفسيره.

السابقة الدراسية لعلوم القران

منذ نزول القران اولى المسلمون اهتماما بالغا بالكتاب الكريم وما يرتبط به من علوم ومباحث فاهتموا برسم الكتاب وقرائته واعرابه واعجازه وبدا البحث يتطور وياخذ شكل الدفاع عن هذا الكتاب امام الهجمات المغرضة للنيل من هذا الاسلام العزيز وكتابه

الكريم فتوسعت البحوث والدراسات المرتبطة بعلوم القران الى مواضيع الاعجاز وجمع القران وتدوينه وغيرها من المباحث المتعددة , وقيل ان القرن الخامس يمثل بداية حقيقية لهذا الفن [1]

الكتب المؤلفة في علوم القران

لو طالعنا الدراسات التي تعرضت الى هذا العنوان نجدانها توزعت على ثلاث اتجاهات :-

الاتجاه الاول : الدراسات التي اهتمت بعنوان واحد من عناوين هذا العلم من قبيل الدراسات التي اهتمت بالاعجاز اوالتحريف اوالمحكم والمتشابه اوالناسخ والمنسوخ وغيرها ومن امثلة هذه الدراسات[2]:-

ما كتبه يحيى بن يعمر (ت ٨٩) حول القراءات

ما كتبه الحسن البصري (ت ١١٠) حول نزول القران وعدد ايات القران

ما كتبه عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) حول اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق والمقطوع والموصول

ما كتبه محمد بن سائب الكلبي (ت ١٤٦) حول بداية تدوين احكام القران

ما كتبه عطاء بن ابي مسلم ميسرة الخراساني (ت ١٣٥) حيث كان اول من كتب في علم الناسخ والمنسوخ

ما دونه محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦) في اعجاز القران

الاتجاه الثاني : الدراسات التي جمعت اغلب عناوين هذا البحث في كتب مستقلة ومن امثلة هذا الاتجاه :-

كتاب البرهان للزركشي

كتاب الاتقان للسيوطي

كتاب التمهيد في علوم القران للشيخ محمد هادي معرفة

وغيرهم

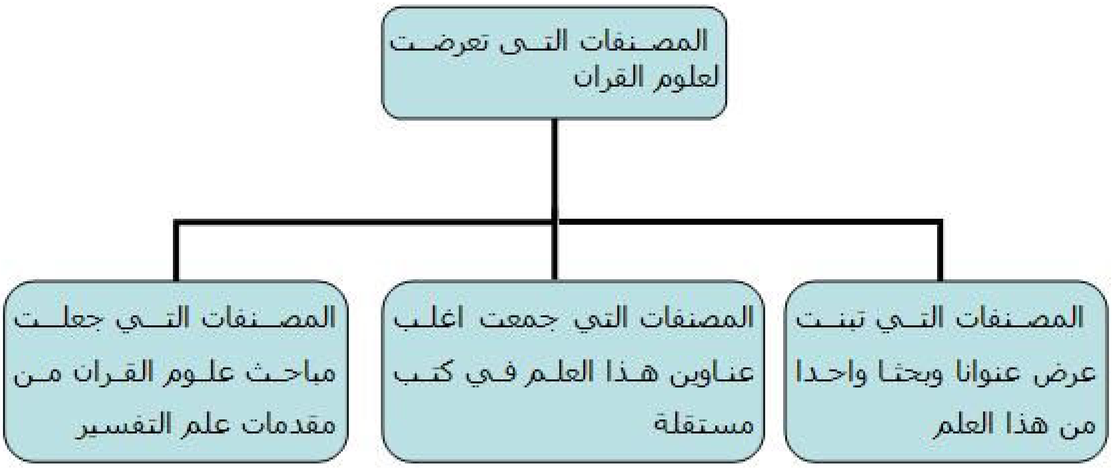
الاتجاه الثالث : الدراسات التي جعلت مباحث علوم القران من مقدمات علم التفسير

١- انظر مناهل العرفان : ج ١ : ص ٣٥

٢- انظر : مقالة بعنوان التمهيد للاستاذ محمد على مهدوى راد فى مجلة بينات العدد ٣ لسنة ١٣٧٣ ش وانظر مقدمة البرهان ج١ ص ٤٨ وانظر مقال للاستاذ محمد ابراهيم جناتى فى مجلة كيهان انديشه العدد ٢٨ لسنه ١٣٧٦ ش وانظر الدكتور على اصغرحلبى فى كتاب التعرف على علوم القران ص ١٣٢

ولانبالغ اذا قلنا ان اغلب التفاسير التي كتبت في هذا المجال تضمنت هذا النوع من البحوث ولعل اقدم بحث في علوم القران كان في مقدمات الكتب التفسيرية ويمكن القول ان هذا الاتجاه من اقدم الاتجاهات التي كتبت في علوم القران

ويجب الالتفات الى ان هذه الاتجاهات لا تتسلسل زمانيا وانما في كل اتجاه نجد دراسات ضاربة في القدم الزماني وفي نفس الوقت نجد دراسات حديثة ومعا صرة.



الخلاصة

١ ـ القران الكريم هو دستور المسلمين وقداتفقوا على اصالته وسلامته من التحريف .

٢ ـ كانت الحياة قبل الاسلام حياة تسودها الهمجية والجهل والاخلاق الوضيعة ، كوأد البناة وغيرها ، حتى جاء الرسول الاكرم (ص) فانقذهم منها .

٣ ـ لقد عاش المسلمون واقعا مرا بعد الرسول حتى اصبحت الفاظ القران غريبة غير مفهومة لدى الناس ، وقد ترجع اسباب الى: الفاصلة الزمنية بين تلك الكلمات القرآنية وبين المخاطبين. عمليات التحريف والتزوير والدس المتعددة. دخول الكثير من القوميات غير العربية إلى الإسلام. توسع الإسلام جغرافياً .

٤ ـ ولدت علوم القران في احضان علم التفسير عندما كان المفسرون يجعلون مباحثها مقدمات لتفسيرهم ، لان شرح الايات وتفهيمها يتوقف على بيان وعرض مباحث علوم القران ، وشيئا فشيئا بدأت علوم القران تنفصل عن علم التفسير .

٥ـ قيل ان القرن الخامس يمثل بداية حقيقية لتاسيس هذا الفن .

٦ ـ صنفت كتب عديدة في مجال علوم القران وهي على ثلاث اتجهات : اتجاه تبنى عرض مبحثا واحدا من باحث هذا العلم ، واتجاه عكف على جعل مباحث هذا العلم في كتب مستقلة ، واتجاه وضع مباحث علوم القران كمقدمات لعلم التفسير .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢)

علوم القرآن

المقدمة

إن هذا النص الخالد يحتوي على معارف سامية نزلت لتأخذ بيد الإنسان وتستنقذه من حيرة الضلالة وتهديه إلى منهل الهداية... ، و حتى تتضح سبل الهداية والنجاة علينا ان نبتغي السبل الصحيحة لمعرفة مقاصد الايات وعلاقتها ببعضها البعض ، ولاشك فان علوم القران بعد مقدمة مهمة جدا لتحصيل ذلك ، وبالتالي تكون مهمة هذا الفن هي معالجة مجموعة من القضايا التمهيدية من اجل تسهيل عملية تفسير القرآن ، وذلك كالإعجاز، والتجويد، والقراءة، وتأريخ القرآن، والمكّي والمدنيّ ، إلى غير ذلك ممّا لا صلة له بالنصّ القرآنيّ ومعارفه السامية الخالدة.

المحتواي العلمي

علوم القرآن

١ـ تعريف علوم القرآن

إنّ مصطلح علوم القرآن يطلق على مجموعة من المسائل تتناول شؤون القرآن الكريم المختلفة ممّا يتعلّق بمواضيه خارجة عمّا يضمّه النصّ القرآني،

٢ـ مكانة علوم القرآن

بما أنّ علوم القرآن مجموعة من العلوم حول القرآن الكريم، وأنّ هذا الكتاب السماويّ الخالد يحمل بين دفّتيه كلام الله تعالى، فإنها تحتل مكانة هامّة حيث تمهّد الأرضية لفهم معارف القرآن السامية واستيعابها مما يضمّه كتاب الله المجيد.

٣ـ أقسام علوم القرآن

إنّ مصطلح علوم القرآن، بغضّ النظر عن معناه الخاص الذي عرّفناه آنفاً، مفهوم كلي يشمل فردين على الأقل، هما: علوم القرآن ومعارف القرآن.

نقصد بالقسم الأول ما عرّفناه أعلاه، أي العلوم التمهيدية لفهم الجانب المعرفي والهدائي لآي الذكر الحكيم.

ونقصد بالقسم الثاني ما يشتمل عليه القرآن نفسه من برامج الحياة السعيدة لهداية البشرية جمعاء وذلك لوصول الإنسان إلى الكمال في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

فكل من القسمين يعتبر علوم القرآن بالمعنى الأخص إلّا أنّ هذا المصطلح صار في الآونة الأخيرة كالعَلَم بالغلبة للمعنى الأوّل.



٤ـ أهم مصادر علوم القرآن

إن العلماء والباحثين بذلوا جهوداً حثيثة عبر القرون في الكتابة والبحث فيما يتعلق بشؤون القرآن الكريم من علومه ومعارفه فجزاهم عن الإسلام وأهله.

واليك فيما يلي أهم جهود الكتّاب الباحثين مما أصبح اليوم مصادر هامّة للباحثين في مختلف القضايا لعلوم القرآن ولمختلف الأجيال.

٥-أهمية علوم القرآن الكريم

هنا جملة من النقاط يمكن تسجيلها في هذا المجال والتي تشير إلى أهمية هذه المباحث ومنها.

أولاً: أن مباحث علوم القرآن لها ارتباط وثيق بألفاظ القرآن وآياته بل أن بعضها يتوقف عليه فهم القرآن كمباحث المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وغيرها. فلا يمكن التعرف على المتشابه بشكل دقيق من دون الرجوع إلى المحكم، ولا يمكن معرفة حدود المنسوخ الزمانية والمكانية إلا بعد معرفة الناسخ.

ثانياً: هناك مباحث في علوم القرآن تعتبر من المفاتيح المهمة التي لا يمكن إلا من خلالها الولوج إلى القرآن والتعرف على معانيه من قبيل (سلامة القرآن من التحريف) وغير ذلك.

ثالثاً: هناك مباحث في علوم القرآن تساعد على تحديد الآيات من حيث السعة والشمول من قبيل معرفة أسباب النزول وغيرها فمثلاً عندما أقرأ الآية المباركة (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) لا يمكن التعرف على حدود مصطلح أهل البيت(عليهم السلام) من نفس القرآن فلابد من التأكد من أسباب النزول وأسباب النزول من مباحث علوم القرآن.

الخلاصة

١ ـ مهمة علوم القرآن هي معالجة مجموعة من القضايا التمهيدية من اجل تسهيل عملية تفسير القرآن ، وذلك كالإعجاز، والتجويد، والقراءة، وتأريخ القرآن، والمكّي والمدنيّ .

٢ ـ يعرف علوم القران بانه مجموعة من المسائل التي تتناول شؤون قرانية مختلفة تتعلق مواضيعه خارجة عن النص القراني .

٣ ـ أن مباحث علوم القرآن لها ارتباط وثيق بألفاظ القرآن وآياته بل أن بعضها يتوقف عليه فهم القرآن كمباحث المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ونحوها .

٤ ـ تعد بعض مباحث علوم القران غاية في الاهمية بحيث لايستغنى عنها ابدا في التعرف على معاني ومفاهيم الكتاب الكريم ، كبحوث سلامة القران من التحريف .

٥ ـ تساهم دراسة اسباب النزول مساهمة كبيرة في فهم دلالات بعض الايات القرانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٣)

أسماء القرآن وصفاته

المقدمة

نعت القران الكريم بمجموعة كبيرة من الاسماء والصفات وردت في اياته الشريفة في مواطن متعددة ، ومنها الصفات والاسماء التي جاءت في الروايات الشريفة عن النبي الاكرم (ص) واهل بيته الكرام ، وهي اسماء وصفات غالبا ماتفسر وتبين الاسماء والصفات الواردة في الكتاب العزيز وتؤكدها ، وفي ظل هذه الكمية الغزيرة صفات القران واسمائة وقع اختلاف بين العلماء في عددها ومقدارها .

المحتواي العلمي

أسماء القرآن وصفاته

تعدد الاراء في عديد اسماء وصفات الكتاب العزيز

وقع خلاف بين العلماء حول أسماء القرآن وصفاته، وبحدود التتبع وجدت مجموعة من الأقوال في ذلك

القول الأول: القرآن له أربع أسماء وهي:

١ـ القرآن

٢ـ الكتاب

٣ـ الذكر

٤ـ الفرقان

أما تسميته بالقرآن فقد جاء في قوله تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»[١].

وأما تسميته بالذكر قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»[٢].

وأما تسميته بالفرقان قال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [٣].

وذهب إلى هذا القول كل من الطبري والماوردي

القول الثاني: أسماء القرآن أكثر من تسعين اسماً

وذهب إلى ذلك الحرالي[٤]

القول الثالث: أسماء القرآن ٥٥ اسماً وذكر منها

١ـ الكتاب، ٢ـ القرآن، ٣ـ النور، ٤ـ الهدى، ٥ـ الرحمة، ٦ـ الفرقان.... الخ

---

[1] -يوسف: ٣.

[2] -الحجر: ٩.

[3] - الفرقان: ١.

[4] - البرهان: علوم القرآن: ج١ ص٣٤٣.

وهناك أقوال أخرى أيضاً خلطت بين الأسماء والصفات، ولكن القول المشهور إن للقرآن أربعة أسماء وهي:

١ـ القرآن

٢ـ الكتاب

٣ـ الفرقان

٤ـ الذكر

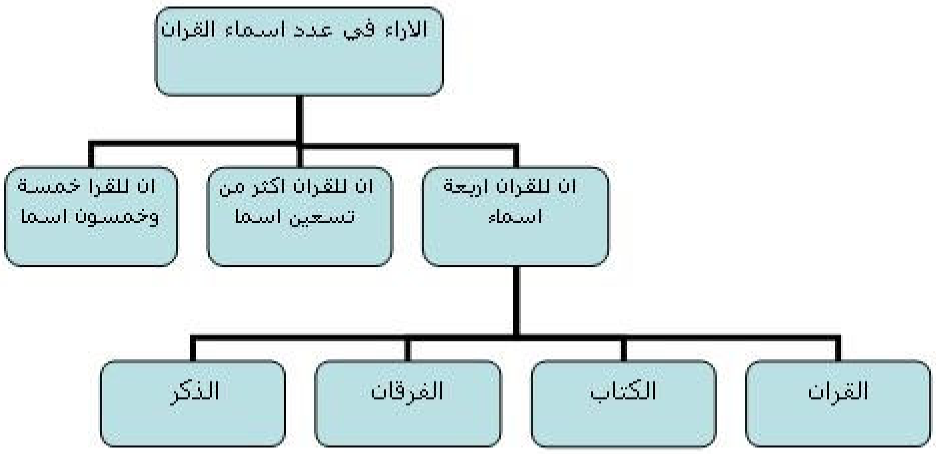
وتسمية القرآن بالذكر والكتاب والفرقان هي تسمية مشتركة مع الكتب السماوية الأخرى أي التوراة والإنجيل

قال تعالى:

«وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»/ البقرة ٥٣

وقوله تعالى:

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» النحل ٤٣ وغير ذلك من الآيات .



وجوه أسماء القرآن

س١: ما هو سبب تسمية كلام الله تعالى بالقرآن؟

ج: قيل إن سبب التسمية بذلك لأنه يتلا ويقرأ[1] أي يكون السبب هو قراءة المكتوب بحفظ الكتاب الإلهي في الصدور والسطور.

1- علوم القرآن عند المفسرين: ج١: ص٣٢.

وقيل نقلاً عن قتاده: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض[١] والمناسب لهذه التسمية ان القرآن الكريم جمع أحكام الأمم الماضية وأخبارها وجمع بين الأصول الفكرية والعملية.

وقيل معناه التأليف

وقيل من البيان فقد ورد في قوله تعالى: «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» يعني إذا بيّناه فاعمل به

س٢: ما هو سبب تسميته بالفرقان؟

ج: لأنه يفرق بين شيئين. بين الحق والباطل. وهذه التسمية تشير إلى وظيفة القرآن في التعريف بين الهدى والضلال وبين الحق والباطل وبين الجنة والنار وقيل إنه سمي بذلك لأنه يؤدي إلى النجاة والمخرج، قال تعالى: «يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً»[٢].

س٣: ما هو سبب تسميته بالذكر؟

ج: إن ذكر من الله تعالى ذكر به عباده وعرفهم فرائضه وحدوده

وقيل إن سبب التسمية بالذكر لأنه فخر وشرف لمن أمن به وصدق بما جاء فيه وكما جاء في الآية: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ» يعني شرف لك ولقومك[٣]

س٤: ما هو سبب تسميته بالكتاب؟

ج: لأنه مكتوب متكون من حروف، فأخذوه من الجمع في قولهم كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز، فالكتاب هو الصحيفة والصحائف التي تضبط فيها طائفة من المعاني، عن طريق التخطيط بقلم أو طابع أو غيرهما[٤].

والحق تبارك وتعالى أطلق لفظة كتاب على أمور عدة منها:

١ـ الكتب التي نزلها على أنبياء الله وفيها شرائع، فقال: «وَأنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» [٥] وقال: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ»[٦].

٢ـ أطلق لفظ الكتاب على الكتب التي تضبط الحسنات والسيئات قال تعالى: }وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ

1-المصدر نفسه.

2-الأنفال: ٢٩.

3-النكت والعيون ج١ ص٢٣ ـ ٢٤.

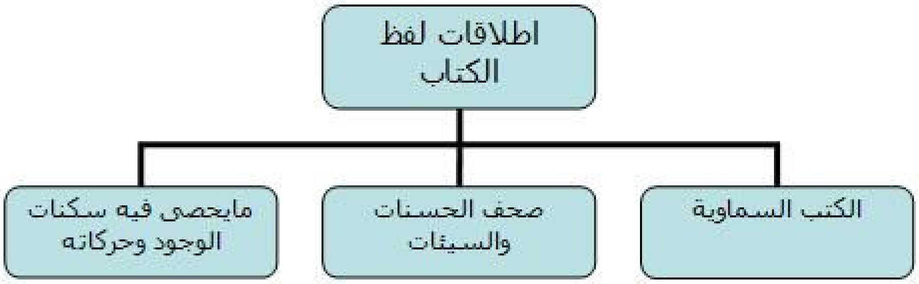
4-الميزان: ج٧ ص٢٦٥.

5-البقرة: ٢١٣.

6-مريم: ١٢.

كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا»[1].

٣ـ كتب تضبط ما يجري في الوجود من حركات وسكنات، قال تعالى: }وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ»[2].



[1]-الإسراء: ١٣ ـ ١٤.

[2]-يونس: ٦١.

الخلاصة

١ ـ اختلفت اراء العلماء في عدد اسماء القران وصفاته الى ثلاثة اراء :
اولا : ان للقران اربعة اسماء وهي القران والكتاب والذكر والفراقان ، وهو القول المشهور .ثانيا : ان للقران اكثر من تسعين اسما . ثالثا : ان للقران خمسة وخمسون اسما .
٢ ـ هناك عدة اقوال في وجه تسمية الكتاب العزيز بالقران : منها انها جائت من كونه مقروئا ومتلوا ، ومنها انها جاءت من كونه جامعا لتاريخ واحكام الامم الماضية و..
٣ ـ وسبب تسميته بالفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل .
٤ ـ ان سبب تسمية القران بالذكر ؛ لانه ذكر فيه عباده وعرفهم فيه فرائضه ، وقيل : ان تسميته بذلك بلانه شرف وفخر لمن امن وصدق به .
٥ ـ ان علة تسمية القران بالكتاب ؛ لان مكتوب مدون وهو ماخوذ من الجمع في قولهم : كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز .
٦ ـ لقد اطلق تبارك وتعالى لفظ الكتاب على ثلاثة اشياء :
أ ـ الكتب والالواح التي نزلت على انباءه ورسله .
ب ـ الكتب التي التي تدون فيها الحسنات والسيئات .
ج ـ الكتب التي تحصى فيها حركات الوجود وسكاناته

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ۴)

الوحی

المقدمة

تعتبر مفردة الوحي من المفردات المهمة التي تناولها علماء القراءانيات والتفسير بالبحث والدراسة العميقة من اجل الوقوف على معانيها ومداليها اولا ، ومن ثم معرفة الدور التي تلعبه هذه المفردة وصيغيها المتنوعة في فهم كلام الله المنزل ، ومع ان مفردة الوحي قد تكون بمعناها الساذج البسيط عبارة عن وسيلة يستخدمها الموحي من اجل افهام الموحى اليه امرا معينا ، الا انه اختلف المراد منها من استعمال لاخر كما يظهر ذلك من الايات الشريفة التي تناولت هذه المفردة .

المحتواي العلمي

الوحي

الوحي في اللّغة:

الوحي ـ في اللّغة ـ إعلام سريع خفيّ، سواء كان بإيماءَة أو هَمْسة أو كتابة في سرّ. قال تعالى عن زكريا(عليه السلام): (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[1]. أي: أشار إليهم على سبيل الرّمز والإيماء.

ولعلّ الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السّرعة فيه، فالإيماءة السريعة تخفى ـ طبعاً ـ على غير المومى إليه.

الوحي في القرآن:

استعمله القرآن في معانٍ أربعة:

١ـ **معناه اللّغوي:** وهو إعلام سريع خفيّ. وقد مَرَّ في آية مريم.

٢ـ **أمر غريزي فطري:** وهو أمر مجعول في ذات الأشياء، ومنه قوله تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً)[2]. فهي تسلك وفق فطرتها وتستوحي من باطن غريزتها، ولا تعدل عن تلك السبيل.

٣ـ إلهام نفسي: وهو شعور في الباطن، يحسّ به الإنسان إحساساً، يخفى عليه مصدره أحياناً، وأحياناً يلهم أنّه من الله وقد يكون من غيره تعالى.

من الإلهام الرحماني قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ

1ـ مريم: ١١.

2ـ النّحل: ٦٨ و ٦٩.

فَالقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ)[١].

والتعبير بالوحي عن وسواس الشيطان جاء في قوله تعالى: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)[٢].

والتعبير بالوحي عمّا يلقيه الله إلى الملائكة من أمره، جاء في قوله تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ)[٣].

٤ـ الوحي الرسالي: استعمله القرآن في أكثر من سبعين موضعاً معبّراً عن القرآن أيضاً بأنّه وحي اُلقي على النّبي، قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ)،[٤] (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)[٥].

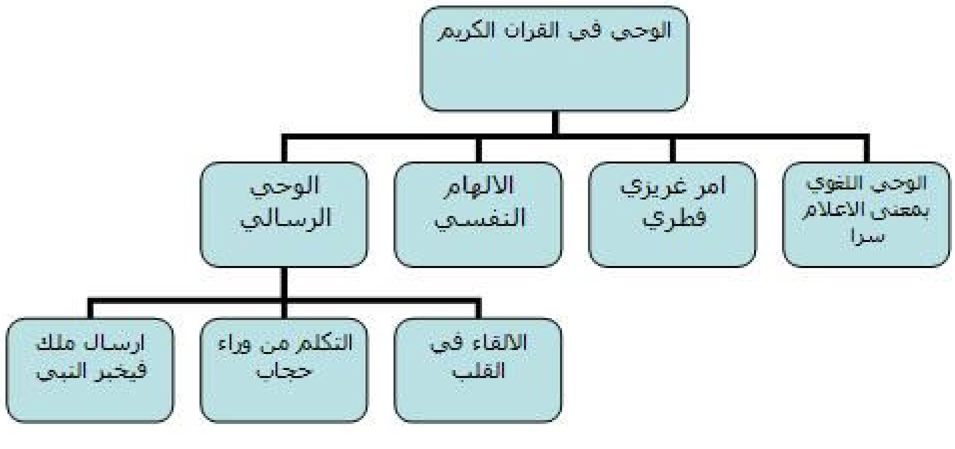
والوحي الرسالي يتحقّق على أنحاء ثلاثة كما جاءت في الآية الكريمة:

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[٦].

الصورة الأُولى: إلقاء في القلب.

الصورة الثانية: تكليم من وراء حجاب بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع النّبي [٧] ولا يرى شخص المتكلّم.

الصورة الثالثة: إرسال ملك الوحي فيبلّغه إلى النبي، إمّا عياناً، أو لا يراه ولكن يستمع إلى رسالته.



1ـ القصص: ٧.
2ـ الأنعام: ١٢١.
3ـ الأنفال: ١٢.
4ـ يوسف: ٣.
5ـ الشورى: ٧.
6ـ الشورى: ٥١.
7ـ لكن لا بهذه الأذن المادّية وإلّا لسمعه الآخرون أيضاً بل بذلك السمع الذي يخصّ باطنه، قال تعالى: (فإنّه نَزَّلهُ على قلبك). البقرة: ٩٧.

ملحوظة

بما أنّ الوحي ظاهرة روحيّة فإنّه بجميع أقسامه إنّما كان مهبطه ونزوله هو القلب الشريف للرسول (ص) (شخصيته الباطنة: الروح) قال تعالى: (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)[1]، (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ)[2]، والقلب هو لبّ الشيء وحقيقته الأصليّة. قال سيّدنا العلّامة الطباطبائي+: «هذا إشارة إلى كيفيّة تلقّيه؛ القرآن النازل عليه، وأنّ الذي كان يتلقّاه من الرّوح [الأمين] هي نفسه الكريمة من غير مشاركة الحواسّ الظاهرة التي هي أدوات لإدراكات جزئيّة خارجيّة... فكان؛ يرى شخص الملك ويسمع صوت الوحي، لكن لا بهذه السمع والبصر المادّيتين وإلّا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره، ولم يكن يسمع أو يبصر هو دون غيره. فكان يأخذه بَرْحاء الوحي وهو بين الناس فيوحي إليه ولا يشعر الآخرون الحاضرون»[3]. نعم، ورد بشأن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام)، كان يرى ما يراه النبي؛ ويسمع ما يسمعه إلّا أنّه ليس بنبيّ كما قال له الرسول؛ [4].

1ـ البقرة: ٩٧.

2ـ الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

3ـ الميزان: ١٥/٣٤٦. بَرْحاء الوحي: شدّة ألمه والإحساس بِكَرْبِهِ.

4ـ الميزان: ١٥/٣٤٦. بَرْحاء الوحي: شدّة ألمه والإحساس بِكَرْبِهِ.

الخلاصة

١ ـ استعمل الوحي في القران على معان اربعة :

الاول : المعنى اللغوي: هو الاعلام السريع الخفي على سبيل الرمز والايماء .

الثاني : امر غريزي فطري مجعول في ذات الاشياء كما في الايحاء الى النحل .

الثالث : اللهام النفسي : وهو شعور الباطن يحس به الانسان في الباطن .

الرابع : الوحي الرسالي : وهو الوسيلة التي يسخرها الله تعالى من اجل الاتصال برسله وانبيائه .

٢ ـ يتحقق الوحي الرسالي بثلاثة طرق :

الاولى : الالقاء في القلب .

الثانية : الكلام من وراء حجاب .

الثالثة : ارسال الملك .

٣ ـ ان مهبط الوحي ونزوله هو قلب النبي الاكرم(ص) قال تعالى: (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)[1]، (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ)[2] والقلب هنا هو الشخصية الباطنية للنبي وروحه الطاهرة ، فكان يرى الوحي ويسمع حديثه ، لكن لا بهذه السمع والبصر المادّيتين وإلّا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره، فيسمع الاخرون كما يسمع هو ، اجل ورد ان عليا كان يسمع ما يسمعه رسول الله ويرى ما يراه .

1ـ البقرة: ٩٧.

2ـ الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٥)

اساليب الوحى الى نبينا الكريم

المقدمة

تقدم في الدرس الماضي ان الوحي على معان عديدة كالوحي اللغوي والنفسي والرسالي ، وما نريد بيانه هنا هو الوحي الى خصوص الرسول الاكرم(ص) ، وكيف يكون تلقي النبي الوحي ؟ وماهي الوسائل التي استخدمها الباري سبحانه لمخاطبة نبيه ؟ وكيف يفهم الرسول الاكرم مقاصد الله سبحانه وكلامه العظيم ؟ في هذا الدرس سنحاول الاجابة على هذه الاسئلة .

المحتواي العلمي

اساليب الوحي الى نبينا الكريم

وجوه نزول الوحي

الوحي بالنسبة إلى نبيّنا محمّد' على ثلاثة أقسام: تارة يأتيه في المنام، وأُخرى وحياً مباشريّاً من جانب الله بلا توسيط ملك. وثالثة مع توسيط جبرئيل(عليه السلام) .

واليك تفصيل بينانها :

١ـ **الرؤيا الصادقة:** كان أوّل ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة، كان' لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح. قال الإمام الباقر(عليه السلام): «وأمّا النبيّ فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم(عليه السلام) ونحو ما كان رأى رسول الله' من أسباب النبوّة قبل الوحي، حتّى أتاه جبرائيل(عليه السلام) من عند الله بالرسالة»[1].

قوله: «قبل الوحي» أي قبل الوحي الرّسالي المأمور بتبليغه. لأنّ هذا البيان تفسير لمفهوم «النّبي» قبل أن يكون رسولاً، وهو إنسان أُوحي إليه من غير أن يكون مأموراً بتبليغه. فهو يتّصل بالملأ الأعلى اتّصالاً روحيّاً وينكشف له الملكوت كما حصل لنبيّنا' قبيل بعثته المباركة.

ولكن لم يعهد نزول قرآن عليه في المنام، نعم ربّما كانت بعض رؤاه أسباباً لنزول القرآن كما في قوله تعالى: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ...**)[2]. فقد رأى النبي' ذلك عام الحديبية (سنة الستّ من الهجرة) وصدّقت عام الفتح (سنة الثمان من الهجرة).

٢ـ **نزول جبرئيل:** كان الملك الذي ينزل على النبي' بالوحي هو جبرائيل(عليه السلام)، تارة يراه، إمّا في صورته الأصليّة ـ وهذا حصل مرّتين ـ أو في صورة دِحْيَة بن خليفة الكلبي، وأُخرى لا يراه.

1ـ الكافي: ١/١٧٦، ح٣. وبحار الأنوار: ١٨/٢٦٦، ح٢٧.
2ـ الفتح: ٢٧.

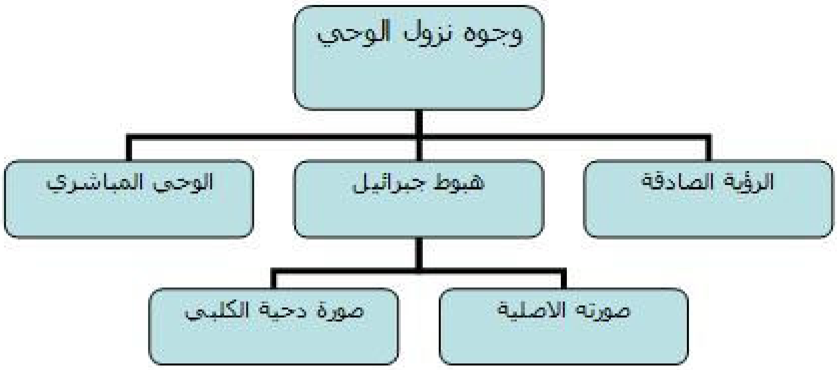
والمرّتان كانت إحداهما في بدء الوحي بحراء. ظهر له جبرائيل في صورته الأصليّة التي خلقه الله عليها، مالئاً أُفق السماء من المشرق والمغرب، فتهيّبه النبي' تهيّباً بالغاً، فنزل عليه جبرائيل في صورة الآدميّين فضمّه إلى صدره، فكان لا ينزل عليه بعد ذلك إلّا في صورة بشر جميل. والثانية كانت باستدعائه' أن يريه نفسه مرّة أُخرى صورته التي خلقه الله، فأراه صورته فسدّ الأفق. فقوله تعالى: (وَهُوَ بِالأُفُقِ الأعْلَى)[1] كانت المرّة الأُولى، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)[2] كانت المرّة الثانية، على ما جاءت في الروايات [3].

وكان جبرائيل عند ما يتمثّل لرسول الله' يبدو في صورة دِحْيَة بن خليفة الكلبي، وهو كان أجمل إنسان في المدينة، وكان الصحابة يزعمون أنّ جبرائيل ـ حين يتمثّل بشراً ـ هو دِحْيَةُ الكلبي حقيقة، ومن ثمَ نهاهم رسول الله' أن يدخلوا عليه إذا وجدوا دحية عنده [4].

٣ـ الوحي المباشري: لعلّ أكثر موارد الوحي كان مباشريّاً لا يتوسّطه ملك، على ما جاء في وصف الصّحابة حالته'، ساعةَ نزولِ الوحيِ عليه.

قال الشيخُ الصدوقُ: «إنّ النبي' كان يكونُ بين أصحابه فيُغْمى عليه وهو يتصابُّ عرقاً فإذا أفاق قال: «قال الله كذا وكذا وأمَرَكُم بكذا ونَهاكم عن كذا». قال: وكان يَزْعَمُ أكثرُ مخالفينا أنّ ذلك كان عند نزول جبرائيل، فسُئل الإمام الصادق(عليه السلام) عن الغشية التي كانت تأخذ النبي' أكانت عند هبوط جبرائيل(عليه السلام)؟ فقال: «إنّ جبرائيل كان إذا أتى النبي' لم يدخل حتّى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنّما ذاك عند مخاطبة الله عزوجلّ إيّاه بغير ترجمانٍ وواسطةٍ»[5].

1ـ الفتح: ٢٧.
2ـ النجم: ١٣.
3ـ راجع: مجمع البيان: ج٩ ص١٧٣ و١٧٥ وج ١٠ ص٤٤٦، وتفسير الصافي: ج٢ ص٦١٨.
4ـ بحار الأنوار: ٣٢٦/٣ عن كتاب حجة التفصيل لابن أثير.
5ـ كمال الدين للصدوق: ٨٥، بحار الأنوار: ٣٦٠/١٨.



موقف النبي' من الوحي

هنا موضوعان لهما أهمّية كبيرة بشأن رسالة الأنبياء وصدق دعوتهم إلى الله، لابدّ من البحث عنهما:

الأوّل: كيف عرف النبي' أنّه مبعوث بالرسالة؟ ولِمَ لا يشكّ في أن الذي أتاه شيطان واطمأن أنّه جبرائيل؟

الثاني: هل يجوز على النبي' أن يخطأ فيما يوحى إليه، فيلتبس عليه تخيّلات باطلة في نفسه لتبدو له بصورة وحي أو يلقي عليه إبليس ما يظنّه وحياً من الله؟

أكثر أصحاب الحديث من العامّة جعلوا النبي' مرتاعاً في أوّل أمره خائفاً على نفسه من مسّ الجنون عائذاً إلى إحضان زوجته الوفيّة لتستنجد هي إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل ـ وكان قارئاً للكتب ـ فيطمئنّه هو بأنّه نبي ويؤكّد عليه ذلك حتّى يطمئنّ ويستريح باله. كما أنّهم ذهبوا إلى استيلاء الشيطان على النبي'، كما جاءت روايتهم لقصة الغرانيق.

قالوا: حين نزل سورة النجم وجعل النبي' يتلوها، وبلغ قوله: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى)[١] ألقى عليه الشيطان: «تلك الغرانيق [٢] العُلى وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى»، فحسبها وحياً فقرأها على ملاء من قريش ثمّ قرأ بقيّة السورة وأكملها، فسجد وسجد المسلمون والمشركون أيضاً، تقديراً بما وافقهم محمّد' في تعظيم آلهتهم ورجاء شفاعتهم، وانتشر هذا النبأ حتّى بلغ مهاجري حبشة فرجعوا إلى مكّة فرحين، كما فرح النبي' بتحقّق أُمنيّته القديمة على ائتلاف قومه. فلمّا أمسى أتاه

1ـ النجم ١٩ و ٢٠.

2ـ الغرانيق: جمع الغُرنوق وهو الشابّ الناعم الأبيض. وفي الأصل: اسم لطير الماء وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور أبيض متحلّقة في أجواء السماء كناية عن قربهم من الله تعالى.

جبرائيل، فقال له: «اعرض عليّ السورة». فجعل النبي‘ يقرأها عليه حتّى إذا بلغ الكلمتين قال له جبرائيل: «مه، من أين جئت بهاتين الكلمتين؟» فتندّم رسول الله‘... وقال: «إنّه أتاني آتٍ على صورتك فألقاها على لساني». فقال جبرائيل: «معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا»(١).

لكن ذهب أئمّة أهل البيت في ذلك مذهباً نزيهاً وجعلوا النبي أكرم على الله من أن يتركه إلى غير ذاته المقدّسة ولا ينير عليه الدلائل الموضحة على نبوّته في تلك الساعة الحرجة. كما لا يدع الشيطان أن يسلّط على مشاعر نبيّه الكريم. (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)(٢).

توضيح ذلك: يجب على الله ـ بمقتضى قاعدة اللطف ـ أن يقرن نبوّته بدلائل نيّرة لا مجال للشك فيها، وهذا الوجوب منبعث من مقام حكمته تعالى إذا كان يريد من عباده الانقياد وإلّا كان نقضاً لغرضه من التكليف. ولهذا لا يدع مجالاً لتدليس أهل الزيغ والأهواء إلّا ويفضحهم فوراً (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ)(٣)، (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا)(٤).

روى زرارة بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): «كيف لم يخف رسول الله‘ فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ممّا ينزغ به الشيطان؟»، قال(عليه السلام): «إنّ الله إذا اتّخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار (٥)، فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه»(٦).

أيضاً: أنّ النبي‘ لم يختره الله لنبوّته إلّا بعد أن أكمل عقله وأدّبه فأحسن تأديبه وعرّفه من أسرار ملكوت السماوات والأرض ما يستأهله للقيام بهذه المهمّة الخطيرة. قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظمَ ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»(٧). وكان قبيل بعثته تظهر له علائم النبوّة، فقد ظهرت آياتها قبل ثلاث سنوات من بعثته، فكان يرى الرؤيا الصادقة وكان يختلي بنفسه في غار حراء متفكّراً في أسرار الملكوت، متعمّقاً في ذات الله، متطلّعاً سرّ الخليقة، حتّى فجأه الحقّ وقد بلغ سنّ الأربعين.

1ـ تفسير الطبري: ١٣١/١٧ ـ ١٣٤، الدرّ المنثور: ١٩٤/٤، فتح الباري: ٣٣٣/٨.
2ـ الطور: ٤٨.
3ـ الحاقّة: ٤٤ ـ ٤٦.
4ـ غافر: ١٥.
5ـ أي: الطمأنينة والاعتدال الفكري.
6ـ تفسير العيّاشي: ٢٠١/٢، وبحار الأنوار: ١٨: ٢٦٢.
7ـ نهج البلاغة: ٣٩٢/١، الخطبة القاصعة.

على أنّه' كان أشرف الأنبياء وأفضل المرسلين وخاتم سفراء ربّ العالمين، فكان أكرم عليه تعالى من أن يتركه ونفسَه.

الخلاصة

١ ـ يتلقى النبي (ص) الوحي على ثلاثة انحاء :

أ ـ الرؤيا الصادقة . ب ـ هبوط جبرائيل . ج ـ الوحي المباشر .

٢ ـ لم يعهد نزول القرآن على النبي في المنام، نعم ربّما كانت بعض رؤاه أسباباً لنزول القرآن كما في قوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ...)[١].

٣ ـ ينزل جبرائل على النبي اما بصورته الحقيقية ، وقد راه رسولنا على تلك الصورة مرتين ، او على صورة دحية الكلبي .

٤ ـ هناك مذهبان ازاء موقف النبي من الوحي :

الاول : مذهب اصحاب الحديث من العامة عندما جعلوا النبيّ مرتاعاً في أوّل أمره خائفاً على نفسه من مسّ الجنون عائذاً إلى إحضان زوجته الوفيّة ، فذهبت لتقص قصته على ابن عمّها ورقة بن نوفل وتسنجده ، فياتي اليه ويطمئنه .

الثاني : مذهب اهل الذي نزه النبي عن كل هذه المثالب ونفى عنه كل هذا الارتباك ؛ لان مقتضى قاعدة اللطف هو أن يقرن نبوّته بدلائل نيّرة لا مجال للشك فيها ، مضافا الى ان الله لم يختره الا بعد اكمل عقله واحسن تاديبة وجعله مستعدا لتلقي الخطاب الالهي والرسالة الخاتمة .

1ـ الفتح: ٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٦)

المستشرقون وقصه الغرانيق

المقدمة

لقد حاول المغرضون منذ زمن بعيد الى تحريف وتشويه تعاليم الاسلام وبياناته ، واولى تلك المحاولات هي التركيز على القران الكريم والتشويش على معانية ، حتى لايتمكن المسلمون او من له قلب من ان يهتدي بهديه ويرتشف من معين ينابيعه النقية ، ومن تلك المحاولات ماسعى اليه بعض المستشرقون من تحريف وتشويه لبعض ايات الذكر الحكيم ، حيث اشتهر عنهم تمسكهم بحكاية الغرانيق .

المحتواي العلمي

المستشرقون وقصة الغرانيق

ورد في الموسوعة التأريخية التي أصدرتها جامعة كمبريدج ما يأتي:

«اعترف النبي في السنوات الأولى من بعثته بإلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، وأشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى...»

.[١]

وذهب المستشرق «سيروليم موير»

إلى القطع بصحة هذه الرواية لورودها في كتب السيرة والتفسير.

مناقشة هذه الشبهة

أولاً: الآيات القرآنية الكثيرة تكذب ورود مثل هذه القصة ، كما في قوله تعالى: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ»[٢].

وقوله تعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»

.[٣]وقوله: «مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ»

.[٤]وقوله: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى»

.[٥]وقوله: «لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»

.[١]كل هذه الآيات تكذب قصة الغرانيق وإن الشيطان قد تدخل وألقى على لسان

١- شوقي أبو خليل: الإسلام في قصص الاتهام ص٦٥ نقلاً عن كتاب دراسات تاريخية باللغة الانجليزية ص١ ـ ٢٢.

[2]-النمل: ١٠٠.

[3] الحجر: ٤٣.

[4]إبراهيم: ٢٢.

[5]-٩: ١١.

النبي(صلي الله عليه واله) تلك الكلمات.

ثانياً: هذه القصة لم ترو بسند فيه قيمة علمية تذكر فضلاً عن كونه صحيح أو غير ذلك من أقسام الحديث فهي قد رويت عن أبي عباس بواسطة الكلبي، والكلبي متروك[٢] فأسانيد هذه القصة بين مرسل ومنقطع كما يذكر ابن كثير.

ثالثاً: لم تعهد العرب أن تسمي أصنامها بالغرانيق، والغرنوق هو طائر مائي أسود، فمصطلح الغرانيق لم يستعل في اللغة بمعنى الإله[٣].

رابعا :اختلاف ألفاظ نصوصها فقد جاء في بعض النصوص «تلك الغرانيق العلى أن شفاعتهن لترتجى»

.وجاءت «الغرانقة العلى أن شفاعتهن ترتجى»

.وجاءت «وأنها لهي الغرانيق العلى»

.فهذه القصة لا أساس لها فمختلفة من أصلها.

1-الحاقة: ٤٤.

2- الشنقيطي: أضواء لبيان، ج٥ ص٧٣٠ مطبعة المدى.

3-محمد عبده اشكالات القرآن الكريم ص٨٠ ـ ٨١ مكتبة الحياة بيروت.

الخلاصة

١ ـ فحوى قصة الغرانيق ان النبي (ص) اعترف بجلالة ومنزلة الاصنام التي كانت تعبد في الكعبة ، عندما اوحي اليه : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى . وقد ذهب المستشرق «سيروليم موير»

إلى القطع بصحة هذه القصة .

٢ ـ ان هذه القصة مختلقة ولا اساس لها من الصحة ، وذلك لمايلي :

اولا : انها مخالفة لصراحة ايات قرانية كثيرة : مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ»

[١].وقوله: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى»

[٢].وقوله: «لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»[٣].

ثانيا : ان اسانيد هذه القصة بين منقطع ومرسل كما يقول ابن كثير ، خصوصا انها جائت بسند فيه الكلبي، والكلبي متروك .

ثالثا : عدم استعمال الغرانيق بمعنى الالهة لغويا .

رابعا : ان اختلاق الفاظ النصوص التي جائت بها يدل على بطلانها .

1-إبراهيم: ٢٢.

2- ٩: ١١.

3-الحاقة: ٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٧)

نزول القرآن وتنزيله

المقدمة

تعتبر لحظة نزول القران الكريم نقطة تحول جبارة ومهمة في تاريخ البشرية ، لما تعنيه تلك اللحظة من معطيات عظيمة ضربت في عمق التاريخ الانساني لتختزل خلق الانسان منذ يومه الاول والى نهاية الكون فيعلن ذلك الكتاب نفسه بانه اخر مايتكلم به الرب سبحانه لخليفته الانسان، ساردا عليه جميع تجارب وقصص اخيه الانسان في الازمنة السحيقة، وقد وقع الكلام في فترة النزول القراني وتاريخه ، وهو مانسعى الى الوقوف عليه .

المحتواي العلمي

نزول القرآن وتنزيله

تاريخ النزول وطبيعته

تشير بعض الآيات المباركة إلى أن القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ»[1].

وقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»[2].

في حين أننا نعلم أن البعثة النبوية كانت في يوم ٢٧ من شهر رجب ، وبعض الآيات الاخرى قد أشارت إلى أن القرآن نزل منجماً على مدى (٢٣) عاماً قال تعالى: «وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً»[3].

ومن خلال ما تقدم من آيات تبين:

١ـ أن بعض الآيات تشير إلى أن نزول القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر.

٢ـ أن البعثة في رجب مما تستلزم نزول القرآن فيه.

٣ـ بعض الآيات تشير إلى أن نزول القرآن على طول المدة الزمنية التي عاشها الرسول بين ظهراني الأمة.

1- البقرة: ١٨٥.

2- القدر: ١.

3- الاسراء: ١٠٦.



التوجيهات التي ذكرت لحل ذلك التعارض

التوجيه الأول:

قالوا بأن القرآن نزل مرتين.

الأولى: نزل بشكل دفعي ومرة واحدة وهذا ما صرحت به الآيات المباركة في قوله تعالى: إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ".

الثانية: أن القرآن نزل بشكل تدريجي وابتدأ نزوله من أول البعثة إلى وفاة الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) وهذا ما جاءت الآية في قوله تعالى: «وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً»[١].



[1]-الاسراء ١٠٦.

الخلاصة

١ ـ لقد اشارت بعض الايات القرانية الى ان القران نزل في ليلة القدر «إِنَّا أنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»[١]. واخرى ذكرت اشارت الى انه نزل منجما على طول حياة الرسول «وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً»[٢]. وعلمنا ببعثة النبي الاكرم في رجب يستلزم ان يكون القران نزل فيه .

٢ ـ ولحل التعارض بين هذه المعطيات الثلاثة ذكر العلماء عدة توجيهات :

منها : ان القران نزل مرتين : الاولى نزوله بشكل دفعي ، والثانية بشكل تدريجي .

٣ ـ النزول الدفعي يعني انه نزل كاملا دفعة واحدة في ليلة القدر . والنزول التدريجي يعني ان نزول القران ابتدأ من حين بعثة النبي ص والى اخر حياته .

1- القدر: ١.

2-الاسراء: ١٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٨)

الادله علي النزول الدفعى والتدريجى

المقدمة

تعرضنا في الدرس السابق الى بحث هام من بحوث علوم القران وهو نزول القران الكريم ، وذكرنا ان معطيات بعض الايات توهم التعارض والغموض في الشكل والزمن الذي نـزل فيـه القران ، وقد تمخض عن ذلك ثلاثة تصورات : نزوله في ليلـة القـدر ونزولـه فـي يـوم البعثـة ونـزول منجمـا ، ولحـل عقـدة النـزول هـذه طرحـت عـدة معالجـات منهـا : النـزول الـدفعي والتدريجي ، وفي هذا الدرس نحاول ان نستدل على هذه المعالجة اولا ، ومن ثـم نحـاول طرح المعالجات الاخرى .

المحتواي العلمي

الادلة على النزول الدفعي والتدريجي

لقد استدلوا على هذه الرؤية بأدلة عدة :

الدليل الأول: دليل قرآني كما هو واضح من الآيات المباركة التي ذكرناه.

الدليل الثاني: دليل روائي .

جاء في كتاب الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه محمد بن القاسم عن محمد بن سليمان عن داود عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ {شرر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} وإنما أُنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله(عليه السلام) نزول القرآن جملةً واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة. ثم قال: قال النبي(صلي الله عليه واله) {نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان وأُنزل الإنجيل لثلاث عشر ليلة خلت من شهر رمضان وأنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان}[١] وهناك رواية تشير إلى أن القرآن نزل من السماء الرابعة ثم إلى البيت المعمور[٢].

وهذه الرواية تم تأويلها من قبل بعض العلماء وهو المرحوم الفيض الكاشاني قال في توجيه هذه الرواية.

١ـ البيت المعمور هو قلب النبي(صلي الله عليه واله).

٢ـ والمراد من السماء الرابعة العالم الإنساني أعم من الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان.

٣ـ في السماء الرابعة توجد مراتب تصاعدية تبدأ من الجماد ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان.

٤ـ الإنسان له مراتب تصاعدية ومن هذه المراتب قلب النبي وهو البيت المعمور.

ويعتمد هذا الدليل على مقدمة وهي:

---

[1]- الكليني: الكافي: ج٢ : ص٥٩٢/ ح٦.

[2]-سيد قطب: ج٢: ص٧٩.

أن فائدة النزول الدفعي الذي احتظنه صدر الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) انما تكون **لتنوير قلب النبي الأكرم**(صلي الله عليه واله) بالمعارف والعلوم القرآنية لتساعده على تحمل أعباء الرسالة طيلة المدة التي قضاها في التبليغ ومن ثم تتنزل تلك الآيات بشكل تدريجي.

هذه الأدلة التي ذكرناها اعتمد عليها أصحاب الآراء الأخرى في التوفيق بين نزوله في شهر رمضان وبين نزوله منجماً ولكن من خلال اجتهادات في توجيه الأدلة القرآنية.

التوجيه الثاني:

القسم الأعظم من القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان وليس كل القرآن نزل في شهر رمضان ولذلك جاءت الآيات المباركة تقول أن القرآن نزل في شهر رمضان بلحاظ نزول الكثرة في شهر رمضان[1].

وهذا التوجيه يعتمد في أدلته على نفس أدلة التوجيه الأول بعد ملاحظة أن **العرف العام** يخصص الشيء بما يغلب عليه وبما أن القرآن أغلب آياته قد نزلت في شهر رمضان فقد خصص نزوله في ذلك الشهر.

التوجيه الثالث:

أن القرآن الكريم نزل على طول الفترة التي عاشها الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) ولكن يمكن القول: أن ما يريد الله أن ينزله على الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) في مدة سنة كاملة فينزله عليه في ليلة القدر، بعبارة اخرى أن الآيات التي قدر الله نزولها في سنة ينزلها دفعة واحدة على صدر الرسول في ليلة القدر.

التوجيه الرابع:

أن سبب القول بأن القرآن نزل في شهر رمضان بلحاظ المبدأ أي أن بداية نزول القرآن كان في شهر رمضان وبهذا اللحاظ قيل أن القرآن أنزل في شهر رمضان.

1- تفسير الصافي: ج١ ص٤٢.

التوجيه الخامس:

هذا التوجيه ذكره أبو عبد الله الزنجاني قال: أن معنى نزول القرآن في ليلة القـدر لـيس هو نزول آيات القرآن وإنما نزول الأهداف الكلية للقرآن[١].

[1]- تاريخ القرآن / الزنجاني: ص١٠.

الخلاصة

١ـ لقد ذكرت معالجات اخرى لتعين زمن النزول وكيفيته :

منها : ان القسم الكبير منه نزل في شهر رمضان .

ومنها : ان مايقدره الله ان ينزله في سنة واحدة ينزله في ليلة القدر .

ومنها: ان القول بنزول القران في شهر رمضان كان يلحظ مبدأ النزول .

ومنها : ان نزول القران في ليلة القدر يعني نزول اهدافه الكلية .

٢ ـ لقد استدلوا على النزول الدفعي والتدريجي بدليلين : احدهما قراني والثاني روائي .

٣ ـ ان فائدة النزول الدفعي هو تنوير قلب النبي بالمعارف والعلوم القرانية ، واعانته على تحمل اعباء الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٩)

الادلة علي النزول الدفعى والتدريجى

المقدمة

لازلنا في ندرس معالجة التعارض الذي نتج عن ظواهر بعض الايات التي يفهم من كل واحدة منها ان القران نزل في زمن دون اخر وفترة دون اخرى، وقد عرضنا في الدرس الماضي خمسة توجيهات لمعالجة هذه المسألة مستدلين ببعض الشواهد والمؤيدات، والان نشير الى التوجيه السادس والاخير بشئ من التفصيل والشرح.

المحتواي العلمي

الادلة على النزول الدفعي والتدريجي

التوجيه السادس:

وهو التوجيه الذي ذهب اليه العلامة الطباطبائي، حيث قال :

«الذي يعطيه التدبر في آيات الكتاب أمر آخر فإن الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه إنما عبرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدالة على الدفعة دون التنزيل، واعتبار الدفعة أما بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منه... وأما لكون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقظى فيه بالتفرق والتفصيل والإستنباط والتدريج وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمة كقوله تعالى: «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ»(١).

فإن هذا الاحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة، وأوضح منه قوله تعالى: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ»(٢).

وقوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ... وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»(٣).

فإن الآيات الشريفة ظاهرة الدالة على أن التفصيل أمر طار على الكتاب وأوضح منه قوله تعالى: «حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ»(٤).

فإنه ظاهر في أن هناك كتاباً مُبيناً عُرض عليه، جعله مقرؤاً عربياً وإنما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلا فإنه ـ وهو في أم الكتاب ـ عند الله عليّ لا تصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل، وفي الآية تعريف الكتاب المبين وأنه أصل القرآن العربي المبين.

---

[1]-هود ١.
[2]-الأعراف: ٥٣.
[3]-يونس: ٣٧ ـ ٣٩.
[4]- الزخرف ١ ـ٤.

ثم كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين ـ ونحن نسميه بحقيقة الكتاب ـ بمنزلة اللباس من المتلبس وبمنزلة المثال من الحقيقة هو المصحح لأن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب كما في قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ»[١].

وكلام السيد يمكن اختصاره في نقاط

أولاً: نزول القرآن في شهر رمضان جاء في القرآن بلفظ الإنزال وهو يشير إلى الدفعة وليس بلفظ التنزيل الذي يشير إلى التدرج.

ثانياً: نحن عندما نقول أن القرآن نزل دفعه أما المقصود كل الكتاب قد نزل دفعه أو نقصد بعض من الكتاب نزل دفعه، أو نقصد أن الكتاب له حقيقة واحدة وهذه الحقيقة هي التي نزلت دفعة.

ثالثا: الذي يمكن استظهاره من الآيات المباركة أن المقصود من النزول دفعة هو تلك الحقيقة الخاصة بالكتاب والتي هي وراء ما نفهمه بالفهم العادي.

رابعاً: الآيات التي تدل على أن النزول دفعة بمعنى نزول حقيقة الكتاب هي.

١ـ قوله تعالى: «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[٢].

كيفية الاستدلال:

إن الأحكام هنا مقابل التفصيل، والتفصيل جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة مما يشير إلى أن حقيقة الكتاب محكمة غير مفصلة.

٢ـ قوله تعالى: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ»[٣].

كيفية الاستدلال:

الآية تشير إلى أن القرآن له حقيقة واحدة ثم فصلت.

٣ـ قوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ

[1]-الميزان في تفسير القرآن: ج٢ ص١٦ ـ ١٨.
[2]-هود: ١.
[3]-الأعراف: ٥٣.

مَن اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»[1].

كيفية الاستدلال:

أن الآية ظاهرة أن التفصيل أمر طار على الكتاب، وكذلك في الآيات أشعار بأن أصل الكتاب هو التأويل لتفصيل الكتاب، فأصل الكتاب شيء، وتفصيل الكتاب شيء آخر.

٤ـ قوله تعالى: «حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ»[2].

كيفية الاستدلال:

الذي يظهر من الآية أن هناك كتاباً له حقيقة في أم الكتاب لا تناله العقول ولا يوجد فيه تفصيل، نعم هذا الكتاب المبين الذي بين أيدينا هو قرآناً عربياً.

إذٍ يوجد للكتاب حقيقة وهي في أم الكتاب عند الله ويوجد للكتاب وجود آخر هو هذا الذي بين أيدينا.

والنتيجة: أن السيد الطباطبائي يقول أن الرسول عَلِمَ بحقيقة الكتاب في شهر رمضان وأما تفصيل الكتاب استمر تنزيله على طول الفترة التي عاشها الرسول الأكرم(صلى الله عليه واله).

ولذا يرى العلامة أن قوله تعالى: «وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»[3].

وقوله تعالى: «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»[4].

إن هذه الآيات ظاهرة في أن الرسول الأكرم(صلى الله عليه واله) كان له علم بما سينزل عليه فنُهي عن الاستعجال بالقراءة قبل انقضاء الوحي[5].

---

[1]-يونس: ٣٧ ـ ٣٩.

[2]-الزخرف: ١ ـ ٤.

[3]-طه: ١١٤.

[4]-القيامة: ١٦ ـ ١٧.

[5]- الميزان في تفسير القرآن: ج٢ ص١٨.

الخلاصة

١ ـ يرى العلامة الطباطبائي ان نزول القرآن في شهر رمضان جاء بلفظ **الإنزال** الذي يشير إلى الدفعة، وليس بلفظ **التنزيل** الذي يعني التدرج.

٢ ـ ان نزول القران دفعة فيه ثلاث وجوه : ١ ـ نزول القران كله دفعة. ٢ ـ نزول بعض القران دفعة. ٣ ـ نزول حقيقة القران دفعة واحدة.

٣ ـ ربما يظهر من بعض الايات ان حقيقة النزول هي حقيقة خاصة باسرار الكتاب العزيز، ولايمكن استيعابها وفهمها بسهولة ولكل احد.

٥ ـ يستفاد من بعض الايات ان النزول هو نزول حقيقة الكتاب دفعة واحدة، كقوله تعالى «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[1]. بتقريب إن الأحكام هنا مقابل التفصيل، والتفصيل جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة مما يشير إلى أن حقيقة الكتاب محكمة غير مفصلة.

وقد ذكرت في ثنايا الدرس مجموعة اخرى من الايات قريبة من هذه الاية، يمكن مطالعتها من خلال الدرس.

1- هود: ١.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٠)

فوائد وأسرار النزول التدريجي للقرآن

المقدمة

لقد تبينت في الدروس الماضية معالم النزول القراني وذكرنا ان هناك عدة اشكال من النزول منها **الدفعي ومنها التدريجي** ، وقد دار حول الاخير كلام في الدراسات القرانية ، وعقدت الفصول للبحث في جدواه وفائدته ، وهذا الدرس يحاول الاجابة عن بعض الاشكلات التي اثيرت ضده ، ويسعى الى رفع الغموض والضبابية عن حقيقته .

المحتواي العلمي

فوائد وأسرار النزول التدريجي للقرآن

لعل من الاشكالات التي طرحها المشركون على الرسول(صلي الله عليه واله) أن هذا القرآن الذي يهدف إلى هداية الناس يجب أن يكون معلوماً ومعروفاً بين الناس بكل ما يحمل من تفاصيل، ولا داعي لهذه الفواصل الزمنية بين الآيات المباركة وقد ترجم الله تعالى هذا الاشكال بالآية المباركة على لسان المشركين:

«لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً»[١].

ومن هنا برزت أهمية البحث عن أسباب النزول التدريجي وفوائده وذكرت عدة أسباب وفوائد بعضها أكد عليها القرآن الكريم بشكل صريح وواضح منها:

١ـ القرآن الكريم أجاب المشركين على إشكالهم عندما قالوا: «لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً»[٢]. «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً»[٣].

فالنزول التدريجي للآيات كان هدفه الأساس لتثبيت قلب النبي في مواجهة الصعاب والمواقف الشديدة التي سوف يواجهها الرسول الأكرم خلال فترة تبليغه للرسالة ولهذا نجد أن المشركين عندما كانوا يؤذون النبي(صلي الله عليه واله) في الأقوال والأفعال ينزل قوله تعالى: «فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ»[٤].

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا»[٥].

فهذه الآيات تساعد الرسول الأكرم على مواجهة الصعاب.

٢ـ من الأسباب الأساسية التي دعت إلى النزول التدريجي هو مساعدة الناس على تلقي التعاليم الإلهية، فالقانون عندما يطبق دفعة واحدة قد لا يلاقي نفس الإستجابة

1-الفرقان: ٣٢.
2- الفرقان: ٣٢.
3- الفرقان: ٣٢.
4- يس: ٣٦.
5-الانعام: ٣٤.

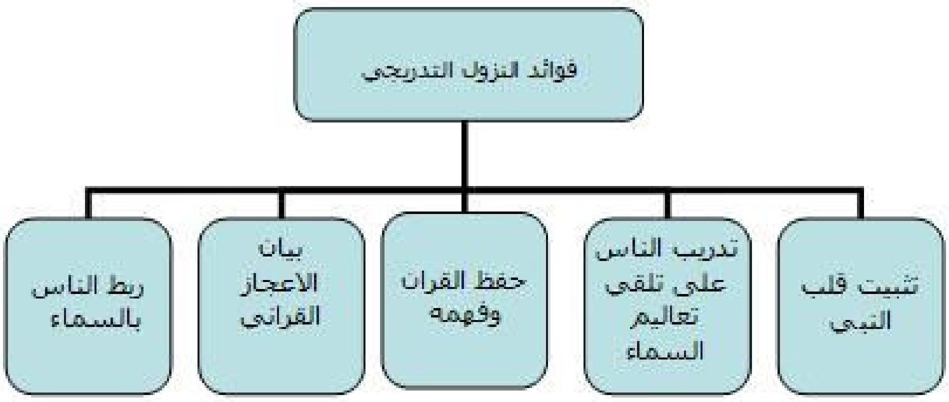
فيما إذا روعي في تطبيقه الظروف الحياتية والزمانية والمكانية للمجتمع ولعل لفظه {مُكث} تشير إلى هذا المعنى قال تعالى: «وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ»(١).

٣ـ تساعد عملية النزول التدريجي على التدرج في حفظ القرآن وفهمه بشكل سهل ، خصوصاً وإن الأمة التي نزل عليها القرآن تعاني من مشاكل عديدة إجتماعية واقتصادية وسياسية تجعلها أمة مرتبكة، فالتنزل التدريجي لهذا الكتاب يساعد تلك الأمة على سهولة حفظه وتعلمه.

٤ـ تشير عملية النزول التدريجي على مدى (٢٣) عاماً إلى الإعجاز القرآني في نظمه وأحكامه، فعلى سنوات عديدة ينزل القرآن لم يجدوا فيه إلا الأسلوب الرصين والحجّة المحكمة والإتقان في ألفاظه ومعانيه، فلو أن هذا القرآن كان كلاماً بشرياً لوجدت فيه الإختلاف والتضارب ولهذا جاءت الآية المباركة.

«وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا»(٢).

٥ـ عملية النزول التدريجي تشير أيضاً إلى أن المسلمين كانوا يتوقعون الوحي ونزول الآيات في كل ما يواجههم في حياتهم من صعوبات ومشاكل سواء كانت نظرية على شكل تحديات فكرية أو عملية، هذا التوجه من قبل المسلمين نحو السماء يساعدهم على ربطهم بالسماء باستمرار حتى يصلوا إلى المستوى الذي يطمح إلى تحقيقه القرآن.



[1]-الاسراء: ١٠٦.
[2]النساء: ٨٢.

الخلاصة

١ ـ لقد اورد المشركون على النبي اشكالا فحواه : ان القران الكريم بما انه كتاب هداية ، وعليه يجب ان يكون معلوما لدى الناس بكل تفاصيله ، والنزول التدريجي ينافي ذلك .

٢ ـ يمكن تلخيص فوائد النزول التدريجي بما يلي :

اولا : انه تثبيت لقلب النبي وطمئنته .

ثانيا : تدريب المجتمع المسلم على تلقي التعاليم والاوامر الالهية .

ثالثا :حفظ القران وفهم واستيعاب مضامينه .

رابعا : عرض الاعجاز القراني .

خامسا : جعل الناس يرتبطون بالسماء بشكل مستمر .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١١)

أوّل ما نزل من القران

المقدمة

يعتبر ترتيب النزول وتسلسل السور من المواضيع التي تلازم عادة مباحث النزول ، وبما ان السور المرتبة في المصحف لاتعني كونها نزلت على هذا الترتيب ، عكف علماء القراءانيات على البحث في التسلسل الزمني الحقيقي لنزول السور حسب تريببها ونزولها على صدر النبي (ص) ، وتجدر الاشارة هنا ان لهذا البحث اهمية ايضا في علوم القران دراساته .

المحتواي العلمي

أوّل ما نزل من القران

أوّل ما نزل من القران :

لقد وقع الكلام في تحديد أوّل آية أو سورة نزلت من القرآن ، هل هي العلق او المدثر او ...

والأقوال في ذلك ثلاثة:

١ـ **سورة العلق:** ففي تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): «هبط إليه جبرائيل وأخذ بضبعه وهزَّه، فقال: يا محمّد! اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمّد! (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)»[١].

٢ـ **سورة المدَّثِّر:** روي عن ابن سلمة، قال: «سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أيّ القرآن أُنزل قبل؟ قال: يا أيّها المدَّثِّر. قلتُ: أو اقرأ باسم ربّك؟ قال: أُحدّثكم ما حدَّثَنا به رسول الله‘: إنّي جاورت بحراء، فلمّا قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ـ ولعلّه سمع هاتفاً ـ ثمّ نظرتُ إلى السماء فإذا هو ـ يعني جبرائيل ـ فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثّروني، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ)»[٢].

ولعلّ جابراً اجتهد من نفسه أنّها أوّل سورة نزلت، إذ ليس في كلام رسول الله‘ دلالة على ذلك والأرجح أنّ ما ذكره جابر كان بعد فترة انقطاع الوحي فظنّه جابر بدء الوحي. [٣] حيث روي جابر حديث فترة انقطاع الوحي أيضاً، قال: «سمعت رسول الله‘ يحدّث عن فترة انقطاع الوحي، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسيّ بين السماء والأرض، فجثثت منه فرقاً ـ أي فزعت ـ فرجعت، فقلت: زمّلوني زمّلوني فدثّروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ـ وهي

١ـ العلق: ١ ـ ٥. راجع: بحار الأنوار: ١٨/٢٠٦ وتفسير البرهان: ٤٧٨/٢.

٢ـ صحيح مسلم: ٩٩/١.

٣ـ راجع: البرهان: ٢٠٦/١.

الأوثان ـ قال‘: ثمّ تتابع الوحي»[١].

٣ـ سورة الفاتحة: قال الزمخشري: «أكثر المفسّرين على أنّ الفاتحة أوّل ما نزل»[٢].

وروي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: «سألت النبيّ‘ عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأوّل ما نزل عليه بمكّة: فاتحة الكتاب، ثم: اقرأ باسم ربّك، ثم: ن والقلم...»[٣].

ولا شك أنّ النبي‘ كان يصلّي منذ بعثته، وكان يصلّي معه علي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة [٤] و «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٥] فقد ورد في الأثر: أوّل ما بدأ به جبرائيل أن علّمه الوضوء والصلاة [٦]، فلابدّ أنّ سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة.

الجمع بين الأقوال: نحن لا نرى تنافياً جوهريّاً بين الأقوال الثلاثة لأنّ الآيات الثلاثة أو الخمسة من أوّل سورة العلق إنّما نزلت تبشيراً بنبوّته‘ وهذا إجماع أهل الملّة. ثمّ بعد فترة جاءته آيات ـ أيضاً ـ من أوّل سورة المدّثر كما جاء في حديث جابر ثانياً.

أمّا سورة الفاتحة فهي أوّل سورة نزلت بصورة كاملة وبسمة كونها سورة من القرآن كتاباً سماويّاً للمسلمين. ومن هنا صحّ التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة، أي: أوّل سورة كاملة نزلت بهذه السمة الخاصّة. إذ ليس المراد من الفاتحة أنّها كتبت في بدء المصاحف لأنّ هذا الترتيب شيء حصل بعد وفاة النبي‘ أو لا أقلّ في عهد متأخّر من حياته ـ فرضاً ـ في حين أنّها كانت تسمّى بفاتحة الكتاب منذ بداية نزولها كما يشير إليه قوله‘: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»[٧].

١ـ صحيح مسلم: ٩٨/١.

٢ـ الكشاف: ٧٧٥/٤.

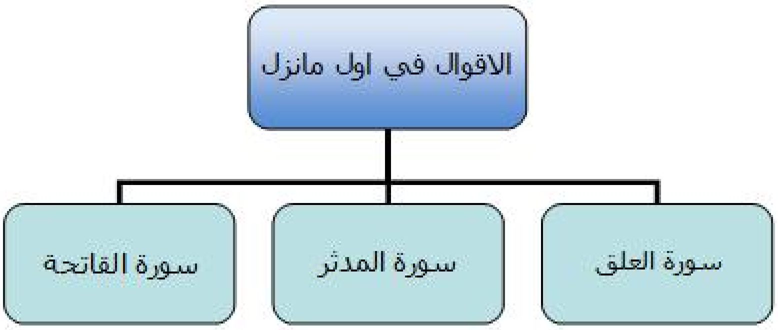
٣ـ مجمع البيان: ٤٠٥/١٠.

٤ـ تفسير علي بن ابراهيم القمي: ٣٥٣.

٥ـ مستدرك الحاكم: ٢٣٨/١ ـ ٢٣٩.

٦ـ سيرة ابن هشام: ٢٦٠/١ ـ ٢٦١. وبحار الأنوار: ١٨٤/١٨، ح١٤ و ص١٩٤، ح٣٠.

٧ـ صحيح مسلم: ٩/٢.



آخر ما نزل من القران :

ووقع الكلام ايضا في تحديد آخر آية أو سورة نزلت من القرآن ؟

والأقوال في ذلك أربعة :

١ـ **سورة النصر:** روي عن الصادق(عليه السلام): «وآخر سورة نزلت (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)»(١).

٢ـ **سورة براءة:** روي أنّها آخر سورة نزلت. نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند مرجعه ﷺ من غزوة تبوك، نزلت آيات من أوّلها فبعث بها النبي مع علي(عليه السلام) ليقرأها على ملأ من المشركين (٢).

٣ـ **آية (وَاتَّقُواْ يَوْماً...)**: روي أنّ آخر آية نزلت هي آية: (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) نزل بها جبرئيل، وقال: «وضعها في رأس المأتين والثمانين من سورة البقرة». وعاش الرسول ﷺ أحداً وعشرين يوماً، وقيل: سبعة أيام (٣).

٤ـ **آية إكمال الدين:** روي أنّ آخر آية نزلت هي آية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)(٤).

قال اليعقوبي: «كان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بغدير خم»(٥).

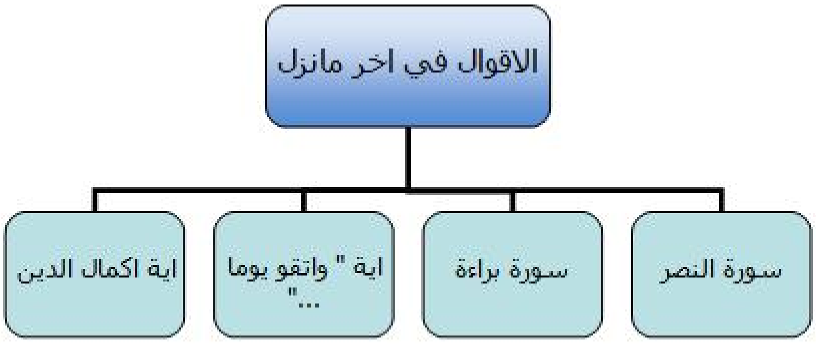
١ـ تفسير البرهان: ٢٩/١.

٢ـ تفسير البرهان: ٦٨٠/١.

٣ـ تفسير شبّر: ٨٣.

٤ـ المائدة: ٣.

٥ـ تاريخ اليعقوبي: ٣٥/٢.



الجمع بين الأقوال: لا شكّ أنّ سورة النصر نزلت قبل براءة لأنّها كانت بشارة بالفتح أو بمكّة عام الفتح [١] وبراءة نزلت بعد الفتح بسنة.

فطريق الجمع بين هذه الروايات: أنّ آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر، فقال: أما إنّ نفسي نعيت إليّ. وآخر سورة نزلت باعتبار مفتتحها هي سورة براءة. وأمّا آية (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ...) فإن صحّ أنّها نزلت بمنى يوم النحر في حجّة الوداع ـ كما جاء في رواية الماوردي [٢] ـ فآخر آية نزلت هي آية الإكمال ـ كما ذكرها اليعقوبي ـ لأنّها نزلت في مرجعه من حجّة الوداع ثامن عشر ذي الحجّة. وإلّا فلو صحّ أنّ النبي عاشر بعد آية: (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ...) أحداً وعشرين يوماً أو سبعة أو تسعة أيّام، فهذه هي آخر آية نزلت عليه.

والأرجح ما ذهب إليه اليعقوبي، نظراً إلى أنّها آية الإعلام بكمال الدّين، فكانت إنذاراً بانتهاء الوحي عليه بالبلاغ والأداء. فلعلّ تلك الآية كانت آخر آيات الأحكام، وهذه آخر آيات الوحي إطلاقاً.

١ـ أسباب النزول بهامش الجلالين: ٢/١٦٥.

٢ـ البرهان: ١/١٨٧.

الخلاصة

١ ـ اختلفت الاقوال في تعيين اول سورة نزلت من القران الكريم فقيل انها سورة العلق ، وقيل انها سورة المدثر ، وقيل انها سورة الفاتحة .

٢ ـ لا يوجد تنافي بين الاقوال الثلاثة على اعتبار ان اهل الملة يجمعون على ان بعض ايات العلق هي التي نزلت اولا ، ثم بعدها بفترة نزلت الايات الاولى من المدثر ، واما الفاتحة فهي اول سورة كاملة نزلت على صدر النبي ، وبذلك يرتفع التعارض .

٣ ـ واختلفت الاقوال ايضا في اخر سورة نزلت ، هل هي النصر او براءة او اية " اتقوا يوما .. " او انها اية " اليوم اكملت ..." ؟ وقد عولجت هذه الاقوال بعدة معالجات منها :

أ ـ ان اخر سورة نزلت كاملة هي النصر ، واخر سورة باعتبار مفتتحها هي سورة براءة .

ب ـ يرجح ان تكون اخر مانزل من الايات هي اية اكمال الدين ، كما ذهب الى ذلك اليعقوبي ؛ لانها اية الاعلان عن اكمال الدين ، وقد تكون اية " واتقوا يوما ... " هي اخر ايات الاحكام .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٢)

المكّى والمدنى

المقدمة

لقد رافق نزول القران وهبوط الوحي حركة الرسول الاكرم محمد (ص) ولازمه اين ما حل وراح باعتباره محور الحركة الرسالية العظيمة ، ولما كانت بداية دعوته في مكة كان الايات الشريفة تنزل عليه في مكة ، وبعدما هاجر الى المدينة انتقل نزولها من مكة المدينة ، وبعدما عاد الى مكة ثانيا بعد فتحها عاد النزول معه اليها ، فبرزت ظاهرة قرانية عمدت الدراسات القرانية الى بحثها وتفسير مفاصلها، وهي ظاهرة المكي والمدني .

المحتواي العلمي

المكّي والمدني

فائدة المكي والمدني

تعتبر درراسة بحوث المكّي والمدنيّ ، ومعرفة خصائصهما ومداليهما ذات فائدة كبيرة ترتبط بأسباب النزول وتمدّ المفسّر والفقيه في تعيين اتّجاه الآية وتنفع ايضا في مجال معرفة الناسخ من المنسوخ، والخاصّ من العامّ، والقيد من الإطلاق، وما أشبه.

نظريات المكي والمدني

طرحت في تعيين المكّي والمدنيّ ثلاث نظريات:

الأُولى: ما نزل قبل الهجرة أو في أثناء الطريق قبل وصوله[1] إلى المدينة فهو مكّي وما نزل بعد ذلك ولو في غير المدينة حتّى لو نزل في مكّة عام الفتح أو في حجّة الوداع فهو مدنيّ.

الثانية: ما نزل بمكّة وحواليها ـ ولو بعد الهجرة ـ فهو مكّي، وما نزل بالمدينة وحواليها فهو مدنيّ وما نزل خارجاً عنهما فهو لا مكيّ ولا مدنيّ.

الثالثة: كلّ شيء نزل فيه «يا أيّها الناس» فهو بمكّة وكل شيء نزل فيه «يا أيّها الذين آمنوا» فهو بالمدينة [١]. قال الزركشي: «لأنّ الغالب على أهل مكّة الكفر، والغالب على أهل مدينة الإيمان»[٢].

> والمشهور الذي جرى عليه أكثر أهل القلم هو الاصطلاح الأوّل [٣]. وكان التحديد الآتي في نظم السّور حسب ترتيب نزولها معتمداً على هذا الاصطلاح.

١ـ مستدرك الحاكم: ١٨/٣. وهذا ما قاله ابن مسعود.

٢ـ البرهان: ١٨٧/١.

٣ـ البرهان: ج١، ص١٨٧، الإتقان: ج١، ص٩.

ترتيب نزول السور

اعتمدنا في هذا العرض على عدّة روايات متّفق عليها وثق بها أكثر العلماء، وعمدتها رواية ابن عباس بطرق وأسانيد اعترف بها أئمّة الفن [١].

والنظر في هذا العرض كان إلى مفتتح السور، فالسورة إذا نزلت من أوّلها بضع آيات، ثمّ نزلت أُخرى، وبعدها اكتملت الأُولى، كانت الأُولى متقدّمة على الثانية في ترتيب النزول، حسب هذا الاصطلاح. لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع.

وإليك قائمة السّور المكّية، وعددها: ستّ وثمانون سورة، متقدمة على السور المدنيّة، وعددها: ثمان وعشرون سورة. مع غضّ النظر عن سور مختلف فيها. السور المكيّة (٨٦)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
١.	العلق	٩٦
٢.	القلم	٦٨
٣.	المزّمّل	٧٣
٤.	المدّثر	٧٤
٥.	الفاتحة [٢]	١
٦.	المسد	١١١
٧.	التكوير	٨٧
٨.	الأعلى	٨٧
٩.	الليل	٩٢
١٠.	الفجر	٨٩
١١.	الضحى	٩٣
١٢.	الشرح	٩٤
١٣.	العصر	١٠٣

١ـ راجع: مجمع البيان: ١٠/٤٠٥ ـ ٤٠٦، الإتقان: ١/١٠ ـ ١١ و٢٥.

٢ـ سقطت الفاتحة من رواية ابن عباس، فأثبتناها على رواية جابر بن زيد: الإتقان: ج١ ص٢٥ وعلى نصّ تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٦.

.١٤	العاديات	١٠٠
.١٥	الكوثر	١٠٨
.١٦	التكاثر	١٠٢
.١٧	الماعون	١٠٧
.١٨	الكافرون	١٠٩
.١٩	الفيل	١٠٥
.٢٠	الفلق	١١٣
.٢١	الناس	١١٤
.٢٢	التوحيد	١١٢
.٢٣	النجم	٥٣
.٢٤	عبس	٨٠
.٢٥	القدر	٩٧
.٢٦	الشمس	٩١
.٢٧	البروج	٨٥
.٢٨	التين	٩٥
.٢٩	قريش	١٠٦
.٣٠	القارعة	١٠١
.٣١	القيامة	٧٥
.٣٢	الهمزة	١٠٤
.٣٣	المرسلات	٧٧
.٣٤	ق	٥٠
.٣٥	البلد	٩٠
.٣٦	الطارق	٨٦
.٣٧	القمر	٥٤
.٣٨	ص	٣٨
.٣٩	الأعراف	٧
.٤٠	الجنّ	٧٢
.٤١	يس	٣٦

٤٢.	الفرقان	٢٥
٤٣.	فاطر	٣٥
٤٤.	مريم	١٩
٤٥.	طه	٢٠
٤٦.	الواقعة	٥٦
٤٧.	الشعراء	٢٦
٤٨.	النمل	٢٧
٤٩.	القصص	٢٨
٥٠.	الإسراء	١٧
٥١.	يونس	١٠
٥٢.	هود	١١
٥٣.	يوسف	١٢
٥٤.	الحجر	١٥
٥٥.	الأنعام	٦
٥٦.	الصافّات	٣٧
٥٧.	لقمان	٣١
٥٨.	سبأ	٣٤
٥٩.	الزمر	٣٩
٦٠.	غافر	٤٠
٦١.	فصّلت	٤١
٦٢.	الشورى	٤٢
٦٣.	الزخرف	٤٣
٦٤.	الدخان	٤٤
٦٥.	الجاثية	٤٥
٦٦.	الأحقاف	٤٦
٦٧.	الذاريات	٥١
٦٨.	الغاشية	٨٨
٦٩.	الكهف	١٨

.٧٠	النحل	١٦
.٧١	نوح	٧١
.٧٢	إبراهيم	١٤
.٧٣	الأنبياء	٢١
.٧٤	المؤمنون	٢٣
.٧٥	السجدة	٣٢
.٧٦	الطور	٥٢
.٧٧	الملك	٦٧
.٧٨	الحاقّة	٦٩
.٧٩	المعارج	٧٠
.٨٠	النبأ	٧٨
.٨١	النازعات	٧٩
.٨٢	الانفطار	٨٢
.٨٣	الانشقاق	٨٤
.٨٤	الروم	٣٠
.٨٥	العنكبوت	٢٩
.٨٦	المطفّفين	٨٣
.٨٧	البقرة	٢
.٨٨	الأنفال	٨
.٨٩	آل عمران	٣
.٩٠	الأحزاب	٣٣
.٩١	الممتحنة	٦٠
.٩٢	النساء	٤
.٩٣	الزلزال	٩٩
.٩٤	الحديد	٥٧
.٩٥	محمّد	٤٧
.٩٦	الرعد	١٣
.٩٧	الرحمن	٥٥

٩٨.	الإنسان	٧٦
٩٩.	الطلاق	٦٥
١٠٠.	البيّنة	٩٨
١٠١.	الحشر	٥٩
١٠٢.	النصر	١١٠
١٠٣.	النور	٢٤
١٠٤.	الحجّ	٢٢
١٠٥.	المنافقون	٦٣
١٠٦.	المجادلة	٥٨
١٠٧.	الحجرات	٤٩
١٠٨.	التحريم	٦٦
١٠٩.	الجمعة	٦٢
١١٠.	التغابن	٦٤
١١١.	الصف (١)	٦١
١١٢.	الفتح	٤٨
١١٣.	المائدة (٢)	٥
١١٤.	براءة	٩

١ـ جعل الزركشي في البرهان سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة.

٢ـ قدّم الزركشي براءة على المائدة وجعل هذا الأخير آخر السور.

الخلاصة

١ ـ ان معرفة المكي والمدني فيه فائدة جمة ، لانها تنفع الفقيه والمفسر وتساهم في معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص ونحوه .

٢ ـ هناك ثلاث نظريات في تحديد المكي والمدني :

الاولى: ماكان قبل الهجرة فهو مكي ، وما نزل بعدها فهو مدني .

الثانية : مانزل في المدينة واطرافها فهو مدني ، ومانزل في مكة واطرافها ولوبعد الهجرة فهو مكي.

الثالثة : ما ابتدأ بـ «يا أيّها الناس» فهو مكي ، وما ابتدأ بـ «يا أيّها الذين آمنوا» فهو مدني .

٣ ـ المناط في ترتيب السور هو فواتحها ، فمن كانت اياتها الاولى قد نزلت اولا كانت هي المقدمة ، والسورة التي نزلت فواتحها لاحقا تكون متاخرة عنها .

٤ ـ عمدة الروايات المعتمدة في تعيين وترتيب السور هي رواية ابن عباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٣)

مراحل التعرف علي المكى والمدنى

المقدمة

ذكرنا في الدرس الماضي ان بعض النكات الخاصة بموضوع المكي والمدني وقلنا ان لهذا الموضوع له دور كبير في معرفة طبيعة الآيات وفهمها وحدود التشريع ومميزاته ولهذا اهتم الباحثون في علوم القرآن بهذين القسمين «المكي والمدني» ، وتعرضنا ايضا الى النظريات التي طرحت لتحديد المناط فيما هو مكي وماهو مدني ، وفي هذا الدرس سنحاول التعرف على المراحل التي مر بها ذلك التحديد والتشخيص لمعرفة ماينطبق عليه اطلاق هذين الاصطلاحين .

المحتواي العلمي

مراحل التعرف على المكي والمدني

مرت عملية التميز بين ما هو مكي وما هو مدني بمراحل:

الأولى: كانت عملية تشخيص القرآن المكـي والمـدني مـن خـلال النقـولات التاريخيـة والنصوص الروائية الواردة فـي هـذا المجـال بالإضـافة إلـى معرفـة الأحـداث وتسلسـلها الزمني وما شابه ذلك.

الثانية: بعد التعرف على ما هو مكي وفق الطريقة السـابقة تتكشـف بعـض الخصـائص للمكي والمدني من خلال طريقة الأداء وأسلوب البيان والمواضيع التي تتناولها الآيـات، فعند التعرف على مميزات كـل مـن القـرآن المكـي والمـدني بـدأ الاجتهـاد فـي عمليـة التمييز وفق تلك الضوابط وذهب إلـى الطريقـة الأولـى المستشـرف الألمـاني (نولدكـه) في كتابه تاريخ القرآن وإلى الثانية بعض من كتب في هذا الموضوع ويمكن الجمـع بـين الطريقتين بأن الطريقة الأولى أو المرحلة الأولـى لـم تكـن النصـوص فيهـا وافيـة بجميـع القرآن.



الخلاصة

١ ـ هناك مراحلتان مر بهما التعرف على المكي والمدني :
الاولى : اعتماد النص الروائي والنقل التاريخي وتسلسل زمن الاحداث .
الثانية : اعتماد لحن الايات واسلوب عرضها وطبيعة المواضيع التي تناولتها.

٢ ـ ذهب الى الطريقة الاولى المستشرف الألماني (نولدكه) ، والى الثانية بعض من دون في هذا الموضوع .

٣ ـ وقد يمكن الجمع بين المرحلتين على اعتبار ان المرحلة الاولى لم تكن النصوص فيها مستوفية جميع ايات القران .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٤)

عدد السور المكية والمدنية وترتيب نزولها

المقدمة

في الدرس تحدثنا عن السور المكية والسور المدنية ، والان نريد ان نعرف الطلاب الاعزاء على مجموع السور القرانية وعدد السور المكية وعدد السور المدنية ، ولكن يبقى ان نذكر بموضوع مهم ، وهو ان هذه السور الموجودة في المصحف الشريف من الفاتحة فالبقرة فال عمران الى سورة الناس هل هي مرتبة حسب نزول على صدر نبينا الكريم ام لا ؟ والجواب ـ دون شك ـ هو ان السور في المصحف غير مرتبة حسب النزول ، وسنشاهد الترتيب في الجدول اللاحق .

المحتواي العلمي

عدد السور المكية والمدنية وترتيب نزولها

الاعتماد على النصوص الروائية في ترتيب السور حسب النزول

اعتمدنا في هذا العرض على عدّة روايات متّفق عليها وثق بها أكثر العلماء، وعمدتها رواية ابن عباس بطرق وأسانيد اعترف بها أئمّة الفن [1].

قال الامام بدر الدين الزركشي : وعلى هذا الترتيب استقرت الرواية من الثقات [٢] وقد اخذناها الاصل الاول في العرض ، واكملنا ماسقط منها على رواية جابر بن زيد وغيره ، وكذا نصوص تاريخية معتمدة [٣] . نعم كان بينها بعض الاختلاف ، اما للاختلاف في تحديد المكي والمدني او في عدد المكيات من المدنيات ومن ثم جاء اختلافهم في نيف وثلاثين سورة : انها مكيات ام مدنيات .

والنظر في هذا العرض كان إلى مفتتح السور، فالسورة إذا نزلت من أوّلها بضع آيات، ثمّ نزلت أُخرى، وبعدها اكتملت الأُولى، كانت الأُولى متقدّمة على الثانية في ترتيب النزول، حسب هذا الاصطلاح. لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع.

اعداد السور وترتيب نزولها

يبلغ مجموع السور القرانية مئة واربع عشرة سورة والموجودة في المصحف الذي بين ايدينا ، واما الان فإليك قائمة السّور المكّية، وعددها: ستّ وثمانون سورة، متقدمة على السور المدنيّة، وعددها: ثمان وعشرون سورة ، وستلاحظ الفرق بين ترتيبها من حيث النزول وترتيها في المصحف الشريف ، مع غضّ النظر عن السور المختلف فيها.

السور المكّية (٨٦)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف

١ـ راجع: مجمع البيان: ١٠/٤٠٥ ـ ٤٠٦، الإتقان: ١/١٠ ـ ١١ و٢٥.

[٢] ـ االبرهان : ج ١ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

[٣] ـ راعجع الفهرست : ص : ٢٨ ، وتاريخ اليعقوبي : ج٢ ص ٢٨ .

١.	العلق	٩٦
٢.	القلم	٦٨
٣.	المزّمّل	٧٣
٤.	المدّثر	٧٤
٥.	الفاتحة [١]	١
٦.	المسد	١١١
٧.	التكوير	٨٧
٨.	الأعلى	٨٧
٩.	الليل	٩٢
١٠.	الفجر	٨٩
١١.	الضحى	٩٣
١٢.	الشرح	٩٤
١٣.	العصر	١٠٣
١٤.	العاديات	١٠٠
١٥.	الكوثر	١٠٨
١٦.	التكاثر	١٠٢
١٧.	الماعون	١٠٧
١٨.	الكافرون	١٠٩
١٩.	الفيل	١٠٥
٢٠.	الفلق	١١٣
٢١.	الناس	١١٤
٢٢.	التوحيد	١١٢
٢٣.	النجم	٥٣
٢٤.	عبس	٨٠
٢٥.	القدر	٩٧
٢٦.	الشمس	٩١
٢٧.	البروج	٨٥

١ـ سقطت الفاتحة من رواية ابن عباس، فأثبتناها على رواية جابر بن زيد: الإتقان: ج١ ص٢٥ وعلى نصّ تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٦.

٢٨.	التين	٩٥
٢٩.	قريش	١٠٦
٣٠.	القارعة	١٠١
٣١.	القيامة	٧٥
٣٢.	الهمزة	١٠٤
٣٣.	المرسلات	٧٧
٣٤.	ق	٥٠
٣٥.	البلد	٩٠
٣٦.	الطارق	٨٦
٣٧.	القمر	٥٤
٣٨.	ص	٣٨
٣٩.	الأعراف	٧
٤٠.	الجنّ	٧٢
٤١.	يس	٣٦
٤٢.	الفرقان	٢٥
٤٣.	فاطر	٣٥
٤٤.	مريم	١٩
٤٥.	طه	٢٠
٤٦.	الواقعة	٥٦
٤٧.	الشعراء	٢٦
٤٨.	النمل	٢٧
٤٩.	القصص	٢٨
٥٠.	الإسراء	١٧
٥١.	يونس	١٠
٥٢.	هود	١١
٥٣.	يوسف	١٢
٥٤.	الحجر	١٥
٥٥.	الأنعام	٦

٥٦.	الصافّات	٣٧
٥٧.	لقمان	٣١
٥٨.	سبأ	٣٤
٥٩.	الزمر	٣٩
٦٠.	غافر	٤٠
٦١.	فصّلت	٤١
٦٢.	الشورى	٤٢
٦٣.	الزخرف	٤٣
٦٤.	الدخان	٤٤
٦٥.	الجاثية	٤٥
٦٦.	الأحقاف	٤٦
٦٧.	الذاريات	٥١
٦٨.	الغاشية	٨٨
٦٩.	الكهف	١٨
٧٠.	النحل	١٦
٧١.	نوح	٧١
٧٢.	إبراهيم	١٤
٧٣.	الأنبياء	٢١
٧٤.	المؤمنون	٢٣
٧٥.	السجدة	٣٢
٧٦.	الطور	٥٢
٧٧.	الملك	٦٧
٧٨.	الحاقّة	٦٩
٧٩.	المعارج	٧٠
٨٠.	النبأ	٧٨
٨١.	النازعات	٧٩
٨٢.	الانفطار	٨٢
٨٣.	الانشقاق	٨٤

٨٤.	الروم	٣٠
٨٥.	العنكبوت	٢٩
٨٦.	المطفّفين	٨٣
٨٧.	البقرة	٢
٨٨.	الأنفال	٨
٨٩.	آل عمران	٣
٩٠.	الأحزاب	٣٣
٩١.	الممتحنة	٦٠
٩٢.	النساء	٤
٩٣.	الزلزال	٩٩
٩٤.	الحديد	٥٧
٩٥.	محمّد	٤٧
٩٦.	الرعد	١٣
٩٧.	الرحمن	٥٥
٩٨.	الإنسان	٧٦
٩٩.	الطلاق	٦٥
١٠٠.	البيّنة	٩٨
١٠١.	الحشر	٥٩
١٠٢.	النصر	١١٠
١٠٣.	النور	٢٤
١٠٤.	الحجّ	٢٢
١٠٥.	المنافقون	٦٣
١٠٦.	المجادلة	٥٨
١٠٧.	الحجرات	٤٩
١٠٨.	التحريم	٦٦
١٠٩.	الجمعة	٦٢
١١٠.	التغابن	٦٤

١١١.	الصف [1]	٦١
١١٢.	الفتح	٤٨
١١٣.	المائدة [2]	٥
١١٤.	براءة	٩

١ـ جعل الزركشي في البرهان سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة.

٢ـ قدّم الزركشي براءة على المائدة وجعل هذا الأخير آخر السور.

الخلاصة

١) من المتفق عليه هو تسلسل السور وترتيبها في المصحف ليس هو الترتيب والتسلسل الذي نزل على صدر النبي ص ، فمثلا نشاهد ان المصحف الشريف يبدأ بسورة الفاتحة الا ان هذه السورة لم تكن قد نزلت اولا بل سورة العلق وهكذا ، والجدول التقدم يوضح ذلك جليا .

٢) عمدة الروايات التي شرحت ترتيب النزول هي رواية ابن عباس وما سقط منها اكمل برواية جابر بن زيد وغيره .

٣) المناط في تقدم السورة على غيرها هو نزول اياتها الاول فتتقدم عن الايات التي نزلت بعدها .

٤) مجموع السور القرانية مئة واربع عشرة سورة ، وعدد السور المكية ست وثمانون سورة ، وعدد السور المدنية ثمان وعشرون سورة .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٥)

أسباب النزول

المقدمة

لايخفـى علـى المتتبـع والمطـالع لمباحـث علـوم القـران ومفاصـلها دور هـذا الموضـوع واهميته في حلحلة الكثير من العقد التفسـيرية وبسـطها ، وما تلعبه اسـباب النزول في تسـهيل فهم الكثير من المعاني والايات القرانية التي نزلت في واقعـة او حـدث معـين ، وبداعي تلك الاحداث والوقائع تنزل تلك الايات والكلمات الربانية لترشـد نبينا الكريم الـى مايلزم فعله ازاء تلك الاحداث والمناسـبات .

المحتواي العلمي

أسباب النزول

التعريف والتسمية

إذا كان القرآن ينزل تدريجيّاً ولمناسبات شتّى كانت تستدعي نزول آية أو آيات تعالج شأنها، فقد اصطلحوا على تسمية تلك المناسبات بأسباب النزول أو شأن النزول[١]، وهو علم شريف ولمعرفته دور خطير في فهم معاني القرآن الكريم وحلّ معضلات التفسير.

مثلاً: قوله تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَو اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[٢].

فقد أُشكل على بعض المفسّرين تعبير «لا جناح عليه»، لأنّه لرفع الإثم وليس للإلزام، فالآية تكون دالّة على جواز السّعي بين الصّفا والمروة لا الوجوب مع أنّ الوجوب إجماعيّ. لكن إذا عرفنا سبب نزولها لم يبق مجال لهذا الإشكال.

وذلك أنّ مراسم الحجّ والعمرة كانت معهودة منذ العهد الجاهليّ غير أنّ العرب كانوا قد لوّثوا هذه المشاعر ببدع أبدعوها، من ذلك أنّهم كانوا قد وضعوا على الصّفا صنماً على صورة رجل يقال له: «أساف»، وعلى المروة صنماً آخر على صورة امرأة يقال لها: «نائلة»، زعموا أنّهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين، فوضعا على الجبلين ليعتبر بهما. فلمّا طالت المدّة عبدتهما العرب جهلاً وسفهاً. فكانوا إذا طافوا بينهما مسحوهما تبرّكاً. ثمّ لمّا جاء الإسلام وكسر الأصنام، تحرّج المسلمون عن الطواف بينهما، زعماً أنّه كان من بدع الجاهليّة تقرّباً إلى الصنمين. فنزلت الآية لترفع هذه

١ـ إن كانت هناك مشكلة حاضرة، سواء أكانت حادثة أُبهم أمرها، أم مسألة خفي وجه صوابها، أم واقعة ضلّ سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها وتضع حلّا لمشكلتها، فتلك هي أسباب النزول أي السبب الداعي والعلة الموجبة لنزول قرآن بشأنها. وشأن النزول هو الأمر الذي نزل القرآن ـ آية أو سورة ـ لتعالج شأنه بياناً وشرحاً أو اعتباراً بمواضع اعتباره. كما في أكثريّة قصص الماضين والإخبار عن أُمم سالفين، أو عن مواقف أنبياء وقدّيسين، كانت مشوّهة وكادت تمسّ من كرامتهم أو تحطّ من قدسيّتهم، فنزل القرآن ليعالج هذا الجانب، ويبيّن الصحيح من حكاية حالهم والواقع من سيرتهم بما يرفع الإشكال والإبهام. وعليه فالفارق بين السبب والشأن ـ اصطلاحاً ـ أنّ الأوّل يعني مشكلة حاضرة لحادثة عارضة. والثاني مشكلة أمر واقع، سواء أكانت حاضرة أم غابرة. وقولهم: نزلت في كذا...أعمّ، قد يراد السبب العارض، وقد يراد شأن أمر واقع في الغابر... وقال الزركشي: وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا..فإنّه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمّن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في نزولها ... راجع: البرهان: ٣١/١ ـ ٣٢.

٢ـ البقرة: ١٥٨.

الشبهة عن أذهان المسلمين [١].

وبما أنّ الغالب على أحاديث شأن النزول هو الضعف والجهالة والإرسال، لابدّ من تقييد الاستناد إلى شأن النزول بأن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل.

مثلاً: روى البخاري ومسلم عن المسيّب، قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبيّ' وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة، فقال النبيّ': «أي عمّ! قل: لا إله إلّا الله، أُحاجّ لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله: «يا أبا طالب! أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟» فقال النبي': «لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فنزلت (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[٢].

مع أنّ أبا طالب& مات قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عضداً قويّاً لرسول الله'، أمّا آية براءة فإنّها نزلت في سنة التسع من الهجرة، أي بعد وفاة أبي طالب باثنتي عشرة سنة، هذا فضلاً عن الدلائل الوفيرة على إسلام أبي طالب، ولا يقول بكفره إلّا ذوو الأحقاد على الإسلام والمسلمين أحقاد بدر وحنين.

التنزيل والتأويل:

روي عن النبي' أنّه قال: «ليس من القرآن آي إلّا ولها ظهر وبطن»[٣].

قال الإمام الباقر(عليه السلام): «ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم»[٤]. وذلك أنّ للآية وجهاً مرتبطاً بالحادثة الواقعة ـ التي استدعت نزولها ـ ووجهاً آخر عامّاً تكون الآية بذلك دستوراً كلّياً يجري عليه المسلمون أبديّاً، وكما أن الآية عالجت ـ بوجهها الخاصّ ـ مشكلة حاضرة، فإنّها ـ بوجهها العامّ ـ تعالج مشاكل الأمّة على مرّ الأيّام. غير أنّ الوقوف على تأويل القرآن وفهم بطون الآيات، إنّما هو من اختصاص الراسخين في العلم.

مثلاً: قوله تعالى: (وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٥]. هذه الآية تبدو ـ في ظاهرها ـ متعارضة مع آيات التوجّه في الصلاة شطر

١ـ راجع: أسباب النزول للواحدي: ٢٥.

٢ـ براءة: ١١٣، صحيح البخاري: ٦/٨٧.

٣ـ بحار الأنوار: ٣٣/١٥٥.

٤ـ تفسير العياشي: ١/١١، ح٤.

٥ـ البقرة: ١١٥.

المسجد الحرام [١]. ولكن مع ملاحظة سبب النزول، وأنّه دفع لشبهة اليهود ورفع لارتيابهم في تحويل القبلة، يتبيّن أن لا معارضة، ويرتفع الإبهام عن وجه الآية، لأنّ الاستقبال في الصلاة والعبادات أمر اعتباريّ محض، ينوط باعتبار صاحب الشريعة في مصالح يراها مقتضية حسب الأحوال والأوضاع، وليس وجه الله محصوراً في زاوية القدس الشريف أو الكعبة المكرّمة.

وقد فهم الأئمّة^ أمراً آخر أيضاً، استخرجوه من باطن الآية، وأنّها تعني جواز التطوّع بالنوافل إلى حيث توجّهت به راحلتك، أو اشتبهت القبلة، فتصلّي إلى أيّ جهات شئت.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد:

هذه قاعدة أُصوليّة مطرّدة في جميع أحكام الشريعة المقدسة، فما يصدر من منابع الوحي والرسالة بشأن بيان أحكام الله وتكاليفه للعباد، ليس يخصّ مورداً دون مورد، ولم يأت الشرع لمعالجة حوادث معاصرة فقط، وإنّما هو شرع للجميع. الأمر الذي دعا الفقهاء إلى إلغاء الخصوصيات الموردّية والأخذ بإطلاق الحكم. نعم هناك بعض الخطابات مع فئات معهودة، صدرت على نحو القضية الخارجية [٢]، فإنّها لا تعمّ بلفظها، وإن كانت قد تعمّ بملاكها، إذا كان قد أُحرز يقيناً.

مثلاً: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[٣].

قال العلّامة الطباطبائي: «لا يبعد أن يكون المراد هم الكفّار من صناديد قريش وكبراء مكّة الذين عاندوا ولجّوا في أمر الدّين ولم يألوا جهداً في ذلك. إذ لا يمكن استطراد هذا التعبير في حقّ جميع الكفّار، وإلّا لانسدّ باب الهداية. فالأشبه أن يكون المراد من «الذين كفروا» هاهنا وفي ساير الموارد من كلامه تعالى هم كفّار مكّة في أوّل البعثة، إلّا أن تقوم قرينة على خلافه... نظير ما سيأتي أنّ المراد من قوله «الذين آمنوا» فيما أُطلق في القرآن من غير قرينة على إرادة الإطلاق، هم السابقون الأوّلون من المؤمنين. خصّوا بهذا الخطاب تشريفاً»[٤].

نعم هذا الحكم يسري فيمن شابه أُولئك في العناد واللّجاج مع الحقّ بعد الوضوح.

١ـ البقرة: ١٤٤ و١٤٩ و١٥٠.

٢ـ من مصطلح علم المنطق، وهي عبارة عن معهودية الموضوع في القضية، كقولك: أكرم من في المسجد أو في المدرسة، تريد من هو في مسجد البلد أو مدرسته في الحال الحاضر، وليس في كلّ الأزمان وكلّ المساجد والمدارس على الإطلاق.

٣ـ البقرة: ٦ ـ ٧.

٤ـ تفسير الميزان: ١/٥٠.

نزول القرآن «إيّاك أعني فاسمعي يا جارة»:

قال الإمام الصادق(عليه السلام): «نزل القرآن بـ «إيّاك أعني فاسمعي يا جارة»[١].
وهذا مَثَل لمن يخاطب شخصاً أو يتكلّم عن أمر وهو يريد غيره وعلى سبيل الكناية والتعريض.

وقال(عليه السلام) أيضاً: «ما عاتب الله نبيّه فهو يعني به من قد مضى في القرآن، مثل قوله: (وَلَوْلَا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً)[٢]، عنى بذلك غيره'»[٣].
قوله «من قد مضى في القرآن» أي مضى ذكره إشارة أو تلويحاً وربّما نصّاً. والأكثر أن يراد أُمّته' بالعتاب، ولا سيّما المؤمنون صدر الإسلام، كانوا على قلقٍ واضطراب في مواضعهم مع الكفّار.

كيف الاهتداء إلى معالم القرآن؟

خير وسيلة لفهم معالم القرآن هو اللّجوء إلى أبواب رحمة الله ومنابع فيضه القدسيّ، وهم أهل بيت الوحي، لان اهل البيت أدرى بما فيه. فإنّ بيدهم مفاتيح هذه الأبواب. فإنّهم عدل القرآن وأحد الثقلين الذين أوصى بهما الرسول الكريم' وفي كلماتهم الكثير من الإرشادات إلى معالم القرآن وفهم حقائقه، ممّا لا تجده في كلام غيرهم.

من ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[٤]. فلولا الامتناعية دلّت على أنّ الهمَّ من يوسف لم يقع... لكن ما المراد من «برهان ربّه» الذي منعه وعصمه من همّ المعصية؟ قيل: إنّه رأى صورة أبيه عاضّاً على إصبعه، وقيل: غير ذلك، ممّا يتنافى مع عصمة مقام النبوّة. والصحيح ما هدانا إليه الأئمّة الراشدون: أنّه الإيمان الصادق الذي هو منشأ العصمة في أنبياء الله^، بدليل تعقيبه بقوله: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ)[٥]. إشارة إلى مقام عصمة الأنبياء [٦].

١ـ تفسير العياشي: ١/١٠، ح٤.

٢ـ الإسراء: ٧٤.

٣ـ تفسير العياشي: ١/١٠ ح٥.

٤ـ يوسف: ٢٤.

٥ـ يوسف: ٢٤.

٦ـ راجع: تفسير الميزان: ١١/١٤١ و ١٨١.

الخلاصة

١ ـ سميت اسباب النزول بذلك لانها نزول الايات القرانية كانت بداعي مناسبة معينة وحادثة خاصة ، فتاتي الاية لتعالج تلك الحادثة .

٢ ـ بما ان الغالب على روايات شأن النزول هو الضعف والجهل فقد اشترط في الرجوع الى اسباب النزل امران : ان لايكون مخالفا لضرورة دينية و لا ينافر مع بديهة عقلية .

٣ ـ ان ما رواه البخاري ومسلم ، من ان قوله تعالى : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[١] نزل بحق ابي طالب غير صحيح من وجهين : الاول : ان ابي طالب توفي قبل الهجرة بثلاث سنين ونزول هذه الاية كان في السنة التاسعة للهجرة ، والثاني : تواقر الدلائل الكثيرة على اسلام ابي طالب وموقفه من دعوة ابن اخيه محمد (ص) .

٤ ـ أنّ للآيات القرانية وجهاً مرتبطاً بالحادثة الواقعة ـ التي استدعت نزولها ـ ووجهاً آخر عامّاً تكون الآيات بذلك دستوراً كلّياً يجري عليه المسلمون فيما بعد ، وهذا مايصطلح عليه بالتاويل والتنزيل .

٥ ـ انما يصدر من منابع الوحي والرسالة بشأن بيان أحكام الله وتكاليفه للعباد، ليس يخصّ مورداً دون مودر ، فعمل الفقهاء باطلاق الحكم هنا ، اجل لو كانت الخطابات على نحو القضية الخارجية ، عندئذ يجري الخطاب في المورد الخاص .

٦ ـ ينبطق قول العرب المشهور " اياك اعني واسمعي ياجارة " على الكثير من الايات القرانية الكريمة من قبيل قوله: (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)[٢]، فيكون المقصود بها غير النبي (ص) ، كالمسلمون الاوائل او عموم الامة ، كما اشارت اليه بعض الروايات الشريفة .

٧ ـ افضل وسيلة للاهتداء الى تعاليم القران ومفاهيمه هو اللّجوء إلى أبواب رحمة الله ومنابع فيضه القدسيّ، وهم أهل بيت الوحي، لان اهل البيت أدرى بما فيه .

١ـ براءة: ١١٣، صحيح البخاري: ٦/٨٧.

٢ـ الإسراء: ٧٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٦)

اسباب النزول

المقدمة

جاء القرآن الكريم هادياً للأمة من الضلالة من خلال برنامج واضح ومحدد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكل ما يرتبط بهذا الهدف قد دخل في حوزة هذا الكتاب المبارك، سواء كان ذلك داعياً إلى الإيمان بالله أو بأنبيائه أو من خلال شرح أحوال ووقائع الأمم السابقة أو بيان الأخبار المستقبلية أو توضيح وشرح وبيان الوقائع الحادثة في زمن النزول ، فكل ذلك داخل في هدف القرآن ، وتنقسم الآيات في ما يرتبط بسبب النزول إلى آيات تنزل بشكل ابتدائي ومن دون سؤال من قبل المسلمين وغيرهم ،أو ينزَّل نتيجة لسؤال من قبل المسلمين ، أو بسبب حادثة حدثت استدعت نزول آيات بحقها. فهذه الأمور التي تنزل القرآن بسببها تسمى أسباب النزول.

المحتواي العلمي

اسباب النزول

فأسباب النزول: ما نزل بسببه آية أو أكثر توضحه أو تجيب عنه أو تبينه.

تقسيم آيات القرآن من جهة أسباب النزول:

إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم يمكن تقسيمها إلى أقسام من جهة أسباب النزول وهذه الأقسام هي:

أولاً: آيات نزلت ابتداءً تتعلق بالأمور المستقبلية.

قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» [١].

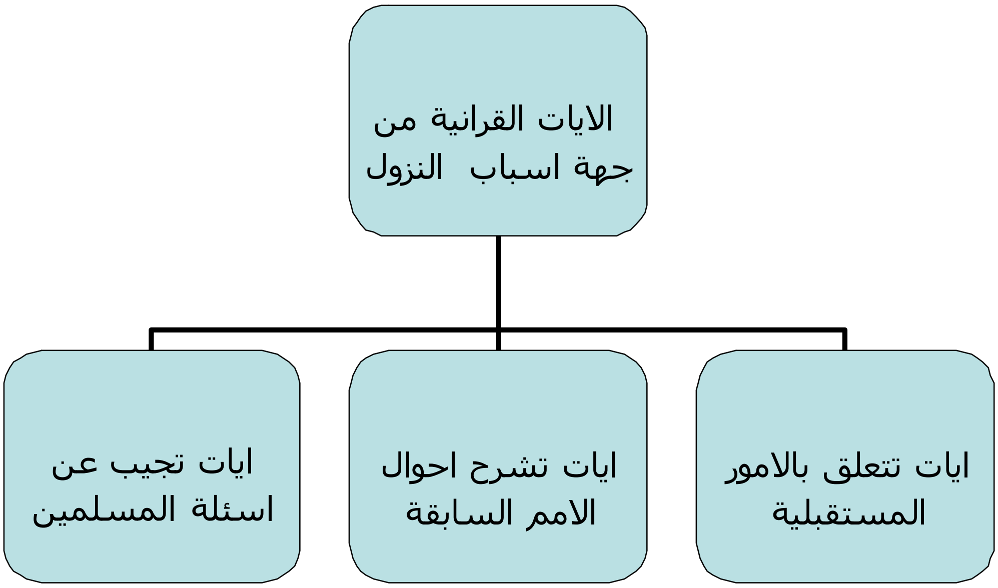
ثانياً: آيات نزلت ابتداءً تتعلق بشرح أحوال الأمم الماضية وسلوكياتهم وتصرفاتهم من قبيل شرح أحوال قوم هود ونوح وصالح وغيرهم من الأنبياء.

ثالثاً: آيات نزلت بعد سؤال المسلمين أو بعد واقعة حدثت في المجتمع الإسلامي فمثلاً سألوا الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) عن الروح فحادث الآية تقول «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً» [٢].

وهناك آيات أخرى نزلت لبناء الإنسان من ناحية عقائدية وفكرية وآيات أخرى نزلت تتعلق بأحكام الإنسان العملية ولكن تلك الآيات لا تتعلق بجهة نزول بقدر تعلقها بشكل مباشر بالهدف الأساس من أنزال القرآن.

---

[١] -التوبة: ٣٣.
[٢] - الإسراء: ٨٥.



المزايا والقواعد المترتبة على معرفة أسباب النزول

هناك جملة من القواعد التي تترتب على معرفة أسباب النزول منها:

١ـ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، فالعلم بسبب نزول الآية يساعد كثيراً على فهم أبعاد الآية القرآنية فمثلاً قال تعالى:

«وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»[١] لو قرأنا الآية من دون التعرف على سبب النزول لتبادر إلى أذهاننا حكماً يقول أننا نستطيع أن نتجه بالصلاة إلى أي جهة كانت عملاً بظاهر الآية ولكن بعد الإطلاع على سبب نزول الآية يتبدد ذلك التبادر لأن الآية نزلت في ما يرتبط بنافلة السفر ، فقد جاء في تفسير العياشي عن الإمام الباقر(عليه السلام) في قوله تعالى: «وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ».

قال(عليه السلام): انزل الله هذه الآية في التطوع خاصة، «فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»، وصلى رسول الله(صلي الله عليه واله) إيحاءً على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره[٢].

ونقل في ذلك أيضاً أنها نزلت في مجموعة من أصحاب رسول الله(صلي الله عليه واله) صلوا مع النبي في ليلة مظلمة ولم يعرفوا القبلة وصلى كلٌ منهم على حاله ونزلت

١-البقرة: ١١٥.

٢-الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٤ ص٣٣٣.

الآية بذلك لتوافق على صلاتهم بهذه الحالة[١].

فمعرفة السبب بدد الفهم الظاهري لألفاظ الآيات، بل أن عدم التعرف على السبب يؤدي إلى تبادر حدوث التضاد بين الآيات الكريمة لأن قبال هذه الآية توجد آية أخرى تقول: «وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» [٢].

مما تشير الآية إلى أن الفرائض لا تصلى إلا باتجاه القبلة فيحدث التنافي مع الآية المذكورة أعلاه لو لا سبب النزول.

٢ـ هناك آيات جاءت فيها أحكام نزلت بصيغة العموم، لكن هذه الأحكام مخصصة بالسبب الذي نزلت الآية فيه فمثلاً قال تعالى:

«لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [٣].

فالآية المباركة فيها صيغة العموم من ناحية أن كل إنسان إذا فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد على ما لم يفعل فسوف يُعذب ولكن بمراجعة سبب النزول نجد أن الآية نزلت في اليهود وهو المروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: بأن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأهل الصلاة والصيام وليسوا أولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة والصيام ولكنهم أهل الشرك والنفاق[٤].

٣ـ أن معرفة السبب لنزول الآية يساعد على معرفة الزمان والمكان وحدود دائرة الحكم الوارد في الآية ومثاله:

قال تعالى: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ» [٥].

فعدم معرفة سبب نزول الآية والزمان قد يسبب مشكلة في فهم الآية فمن الآية أعلاه فهم البعض أن الخمرة مباحة واحتج بها[٦].

ولكن معرفة سبب نزول الآية يطرد هذا الاحتمال والسبب هو أن الله تعالى لما أنزل تحريم الخمرة وإنها رجس من عمل الشيطان قال بعض المسلمين: كيف باخواننا الذين

١-ابن الأثير الجزوي: جامع الأصول: ج٢ ص٨.
٢-البقرة: ١٥٠.
٣-آل عمران: ١٨٨.
٤-الشيخ الطبرسي، مجمع البيان: ج٢ ص٤١٩.
٥-المائدة: ٩٣.
٦-الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج١ ص٢٨.

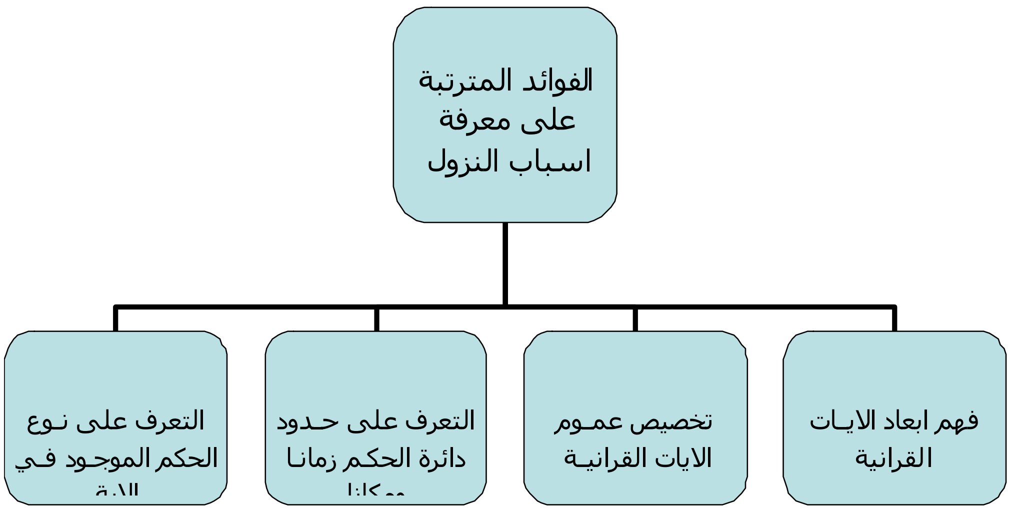
ماتوا وهم يشربونها فنزلت الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في....

٤ـ معرفة السبب يساعد في معرفة نوعية الحكم الموجود في الآية فمثلاً قوله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أو اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِمَا» [١].

ظاهر الآية أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً وإنما هو سائغ وليس فيه حرمة ويُستفاد ذلك من قوله (فلا جناح) ولكن بمعرفة سبب النزول يُستبعد ذلك الحكم فقد روي عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك أن رسول الله(صلي الله عليه واله) شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام فشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام فجاؤوا إلى رسول الله(صلي الله عليه واله) فقيل له: أن فلاناً لم يطف، وقد أعيدت الأصنام فنزلت الآية «فلا جناح عليه أن يطوف بهما» أي والأصنام عليها[٢].

ومن خلال هذا السبب فهم أن التسويغ ليس مجرد وإنما بسبب معين ذكر في الآية.

فمعرفة أسباب النزول لها أهمية كبيرة في معرفة أمور كثيرة سواء ما تتعلق بالحكمة الباعثة على تشريع الأحكام أو فيما يتعلق بالمعنى وحدود ذلك المعنى وغير ذلك من أمور تكتنف الآية.



[١] -البقرة: ١٥٨.
[٢] -الطبرسي: مجمع البيان: ج١ ص٤٤٥.

الخلاصة

١ ـ أسباب النزول: ما نزل بسببه آية أو أكثر توضحه أو تجيب عنه أو تبينه.

٢ ـ تنقسم الايات القرانية من حيث اسباب النزول الى :

اولا: ايات تتعلق بعرض الامور المستقبيلة .

ثانيا : ايات تتعلق بشرح احوال الامم السابقة .

ثالثا : ايات تتعلق بالاجابة عن اسئلة المسلمين .

٣ ـ النتائج التي يمكن الحصول عليها من خلال دراستنا لاسبا ب النزول هي :

اولا : الاحاطة بابعاد الايات القرانية ومعرفة مقاصدها .

ثانيا : تقييد عموم الايات القرانية وتخصيص عموماتها .

ثالثا : تشخيص دائرة الاحكام من ناحية الزمان والمكان .

رابعا : التعرف على نوع الاحكام الموجودة في الايات وطبيعة متعلقاتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٧)

روايات اسباب النزول

المقدمة

تبين من خلال الدورس الماضية التي تحدثنا فيها عن اسباب النزول ان هذه البحث يعتمد بالدرجة الاساس على الروايات التي تتعرض لمناسبات واسباب نزول هذه الاية او تلك ، فحري بنا ان نطالع تلك الروايات وان نعرف حالها و حقيقية الاسانيد التي اوردتها ، ونحاول في هذا الدرس تقصي حال تلك الروايات ، وهل يمكننا الاعتماد عليها ام لا ؟

المحتواي العلمي

روايات اسباب النزول

حجية أحاديث أسباب النزول وعدمها

تواجه الروايات الواردة في أسـباب النـزول مشـاكل عديـدة مـن ناحيـة صـحتها وإمكانيـة الاعتماد عليها، وتنبع هذه المشـاكل من زوايا متعددة منها:

١ـ وجود الدس والتزوير في الروايات المنسوبة إلى الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) وأهل بيته(عليهم السلام) مما يستوجب ذلك التوقف ملياً قبل الأخذ بذلك الموروث.

٢ـ الكثيـر مـن أسـباب النـزول توقفـت عنـد حـدود الصـحابة ولـم ترفـع إلـى الرسـول الأكرم(صلي الله عليه واله) أو إلى أحد الأئمة المعصومين ولا حجية لقول لهؤلاء إلا بعد القطع بأن هذا السبب المذكور لم يكن اجتهادياً أو نظرياً من قبلهم ولهـذا السـبب قـال الواحدي: «لا يحل القول في أسباب نـزول الكتـاب إلا بالروايـة والسـماع فمـن شـاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب»[1].

٣ـ جـاءت بعـض أسـباب النـزول مـن قبـل التـابعين وهـذه الأسـباب تواجـه جملـة مـن الإشـكالات ابتداءً من مدى حجية أقوال التابعين وعـدمها ومـروراً بكيفيـة اطـلاع التـابعين على هذه الأسباب وغير ذلك.

٤ـ قلة الروايات الواردة في أسباب النزول ولهذا يقول السيوطي: « الروايات التي لدينا عن الرسول الأكرم فيما يرتبط بـالقرآن لا تتجـاوز (٢٤٨) روايـة وبـين هـذه الروايـات عـدد كبير من الروايات الضعيفة والمرسلة» .

٥ـ الكثير من أسباب النـزول هـي اجتهـادات شخصـية بـل أن السـيد الطباطبـائي قـال: «أسباب النـزول كلهـا أوجلهـا نظريـة بمعنـى أنهـم يـرون غالبـاً الحـوادث التاريخيـة، ثـم يشـفعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمـة فيعـدونها أسـباب النـزول، وربمـا أدى ذلك إلى تجزئة آية واحدة أو آيات ذات سياق واحد ثم نسـبة كـل جـزء إلـى تنزيـل واحد مستقل وإن أوجب ذلـك اخـتلال نظـم الآيـات وبطـلان سـياقها وهـذا أحـد أسـباب

١. الواحدي: أسباب نزول القرآن: ص١٠.

الوهن في نوع الروايات الواردة في أسباب النزول»[١].

٦ـ اختلاف المذاهب والتوجهات الشخصية والميول المذهبية والطائفية كان له مدخل في توجيه أسباب النزول يقول السيد الطباطبائي.

«إن لاختلاف المذاهب تأثيراً في لحن هذه الروايات وسوقها إلى ما يوجه به المذاهب الخاصة»[٢].

٧ـ وهناك سبب آخر في بيان الأسباب الحقيقية للآيات أو عدم بيانها وهو السبب السياسي الذي أدى إلى تشرذم الأمة وتمحورها حول أطر ضيقة وجهت الموروث الديني من خلالها يقول السيدالطباطبائي «إن للأجواء السياسية والبيئات الحاكمة في كل زمان أثراً قوياً في الحقائق من حيث إخفائها أو إبهامها»[٣].

فهذه الأسباب أدت إلى ضعف الاهتمام بأسباب النزول مع أهميتها، ولكن هذا لا يعفي الباحث من جهة التقصي والتحقيق الموضوعي المجرد من النزعات النفسية والمذهبية للوصول إلى فهم دقيق للآيات من خلال أسباب النزول ولهذا تم البحث عن المرجحات في هذا المجال فقيل: «كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة نزلت في كذا، والآخر، نزلت في كذا وذكر أموراً آخر فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قوليهما. وإن عبر واحد بقوله نزلت بكذا وصرح آخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد وذاك استنباط وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فهو الصحيح المعتمد... الحال الرابع: أن يستوي الإسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون رواية حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات... الحال الخامس أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة بأن تكون معلومة التباعد فيحمل على ذلك.

الحال السادس: ألا يمكن ذلك فيحمل على تعدد النزول وتكرره[٤].

فكل ما ذكره السيوطي قد لا يكون موضوعياً نعم هو طريق للجمع وعدم التفريط بما ذكر من أسباب ولكن المفروض إتباع طريقة معتبرة للوصول إلى السبب الصحيح وهذه الطريقة هي:

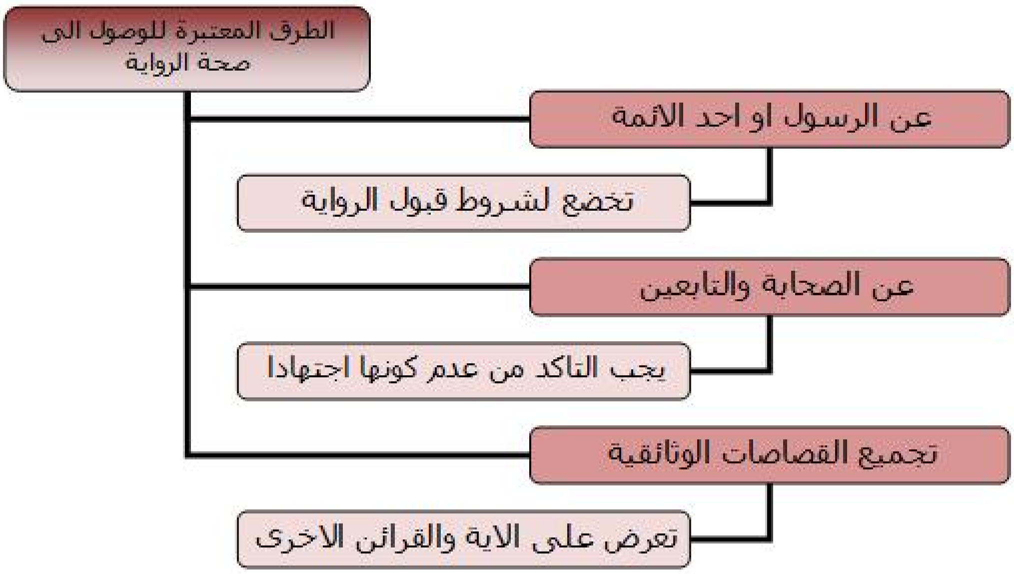
---

٢. تفسير الميزان: ج٤ ص٧٦.
٣. تفسير الميزان: ج٤ ص٧٦.
٤. المصدر نفسه.
٥. الاتقان في علوم القرآن: ج١ ص١٠١ ـ ١٠٦.

١ـ إذا كانت الروايات واردة عن طريق الرسول الأكرم أو أحد الأئمة المعصومين فيتم اخضاعها لشروط قبول الرواية وعدمها.

٢ـ إذا كانت الروايات واردة من طريق الصحابة أو التابعين فلا يكفي صحة السند إليهما وإنما تحتاج إلى التأكد أن ذلك ليس اجتهاداً منهم في فهم الآيات الكريمة.

٣ـ اتباع طريقة تجميع القصاصات الوثائقية من خلال معرفة القرائن المختلفة للوصول إلى السبب الموضوعي العلمي من خلال العرض على الآية والمواقف وما شابه ذلك.



الخلاصة

١ ـ ان حجية اسباب النزول تواجه مشاكل عديدة منها : وجود الدس والتزوير فيها ، وقوف الرواية على بعض الصحابة والتابعين ، قلة الروايات الواردة في هذا المجال ، دخول اللغط السياسي وتاثيره على تمحيص اسباب النزول و...

٢ ـ ذكر البعض مجموعة من المرجحات مثل : لو عبر واحد بقوله نزلت بكذا وصرح آخر بذكر سبب خلافه، فهو المعتمد ، وذاك استنباط . وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فهو الصحيح المعتمد... ، ولكن هذه ا لمرجحات لايمكن الاعتماد عليها دائما .

٣ ـ الطرق الصحيحة للوصول الى صحة الرواية هي :

اولا : اخضاع الرواية لقواعد الحديث لو كانت مروية عن النبي واهل بيته (ع) .

ثانيا : التاكد من عدم اجتهاد الصحابة لوكانت مروية عنهم .

ثالثا : جمع القصاصات الوثائقية وعرضها على الايات والقرائن الاخرى .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٨)

روايات اسباب النزول

المقدمة

من المواضيع التي وقع فيها الخلط والاشتباه ، والذي وقع فيه بعض الذين تعرضوا للدرسات القرانيةهو عدم التمييز بين سبب النزول وشأن النزول، فتجد الخلط بينهما في تعريفات الكثير من الباحثين في هذا المجال، بينما هناك فارق بين المصطلحين والفارق يكمن في لحاظ كل من سبب النزول وشأن النزول للواقعة التي يعالجها.

المحتواي العلمي

روايات اسباب النزول

الفرق بين بين الاصطلاحين :

سبب النزول هو الحوادث والوقائع التي تستدعي نزول القرآن الكريم وتكون سبب لعملية النزول من قبيل «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»(١).

فالقوم سألوا النبي(صلي الله عليه واله) عن الروح فانزل الحق تبارك وتعالى الآية جواباً لهم، فالسبب موافق لعملية النزول.

أما شأن النزول هي الآيات النازلة لشرح وبيان وتوضيح الحوادث السابقة لغرض الاعتبار والتوضيح فمثلاً جاءت في القرآن الكريم مجموعة من الآيات المباركة تبين كيفية غزوا الكعبة من قبل أصحاب الفيل.

فواقعة الفيل لم تكن في زمن الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) وإنما في فترات سابقة ولكن جاءت الآيات المباركة لتوضيح هذه الأحداث وتشرحها للمسلمين. لكن الواحدي في أسباب النزول عمم شأن النزول إلى أكثر من ذلك وذكر ما معناه: إن شأن النزول بمعنى بيان الآية في أي مطلب نزلت ولكن سبب النزول يعني السبب الموجب لنزول الآية وسبب النزول غالباً مقارناً لنزول الآية أما شأن النزول أعم من ذلك[٢].

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

قد يُطرح هنا تساؤل مهم وهو أن الآيات النازلة بسبب حادثة أو واقعة معينة هل تبقى

[١] – الإسراء: ٨٥.
[٢] – الواحدى: أسباب النزول: ص٣٠٦.

في حدود تلك الحوادث والوقائع أم أنها عامة لا تتخصص في حدود وقائع وحوادث معينة، فإذا ما قلنا أن الآيات النازلة بسبب معين تنحصر في حدود ذلك السبب فسوف يصبح القرآن كتاباً تاريخياً ليس فيه طراوة تواكب التطورات الزمانية والمكانية مع أننا نجد خلاف ذلك ولهذا يقول الإمام الباقر(عليه السلام) «يجري كما تجري الشمس والقمر...» [1].

فهو ليس كتاب للماضين فقط وليس المخاطب فيه فقط من كان سببا لنزوله أو معاصراً لذلك السبب وإلا لتعطلت أحكام القرآن إذا ما خصصنا أحكام السرقة والقذف والظهار بخصوص السبب فمثلاً قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »[2].

ولفظ المحصنات يشمل الزوجات وغيرهن، فالصحابة تعجبوا من ذلك ووقعوا في حيرة وتردد فجاءوا إلى رسول الله(صلي الله عليه واله) وسألوه: يا رسول الله إذا رأى أحد منا رجلاً مع امرأته إن أخبر بما ترأى جلد ثمانين جلده وأن التمس أربعة شهداء قضى الرجل منها حاجته وانصرف... فانزل الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»[3].

فإذا ما خصصنا هذا الحكم بخصوص السائلين لرسول الله(صلي الله عليه واله) فسوف تتوقف أحكام القرآن عن التطبيق لعدم العمومية فيها وهذا يخالف الرسالة التي جاء بها القرآن بأنها بيان للناس كافة.

تعدد الأسباب والنازل واحد وبالعكس

توجد بعض الآيات قد تعددت أسباب نزولها، فالسبب يتكرر مما يستدعي نزول الآية مرتين والذي يبرر ذلك تعظيم ورفع شأن الآية النازلة أو السورة .

ولهذا يقول الزركشي «ونزول الشيء أكثر من مرة قد يكون تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه »[4] ومثال ذلك سورة الإخلاص يقال أنها نزلت مرتين، مرة في مكة أو أخرى في المدينة، كانت الأولى جواباً للمشتركين من أهل مكة،

[1]– بصائر الدرجات: ج ١ ص١٩٦.
[2]- النور: ٤.
[3]- النور: ٦ ـ ٧.
[4]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج١ ص٢٩.

والثانية جواباً لأهل الكتاب من أهل المدينة[1].

وقد يحدث العكس تعدد النازل والسبب واحد وهذا ما قيل في سؤال أم سلمة لرسول الله(صلي الله عليه واله): يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى:

«فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ»[2].

وأنزل أيضاً جواباً لأم سلمة: «الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»[3].

---

[1]- السيوطي: الإتقان: ج١ ص٣٥.

[2]- آل عمران: ١٩٥.

[3]- الأحزاب: ٣٥.

الخلاصة

١ ـ سبب النزول هو الحوادث الواقعة التي تنزل الاية لعلاجها ، وشأن النزول هو الايات الشارحة لحال الامم السابقة .

٢ ـ ان الايات الناظرة لحادثة معينة لا يمكن ان تنحصر بها فقط ، بل تكون عامة لجميع الحوادث المشابهة ، فلو قلنا ان الاية ينحصر دورها في السبب الذي نزلت فيه لاصبح القران كتابا تاريخيا .

٣ ـ قد يحدث تكرر نزول الاية تبعا لتكرر سببه فيتعدد السبب ولكن يبقى النازل واحدا ، ووجه ذلك هو تعظيم ورفع لمنزلة تلك الاية ، ومثال ذلك سورة الاخلاص .

٤ ـ وقد يتعدد النازل ويتحد السبب ، مثاله ما قيل في سؤال أم سلمة لرسول الله(صلي الله عليه واله): يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ١٩)

تأليف القرآن

المقدمة

تأليف القرآن في شكله الحاضر ـ في نظم آياته وترتيب سوره، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله إلى أجزاء ومقاطع ـ لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأُولى. فقد مرّت عليه أدوار وأطوار، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثمّ إلى عهد الخليل بن أحمد النحويّ الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود. والمهمّ الآن هو العناية بدراسة القرآن من واوية جمعه وتأليفه مصحفاً بين دفّتين والبحث عن الفترة التي حصل فيها هذا الجمع والتأليف وعن العوامل التي لعبت هذا الدور الخطير.

المحتواي العلمي

تأليف القرآن

المراحل التي تم فيها جمع القران

وهذا البحث يكتمل في ثلاث مراحل أساسية:

أوّلاً: نظم كلماته بصورة جمل وتراكيب كلاميّة ضمن الآيات.

ثانياً: تأليف آياته ضمن السّور.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفّتين على صورة مصحف كامل.



نظم كلماته:

لا شك أنّ نظم الكلمات والجمل والتعابير في القرآن، كلّها كانت بفعله تعالى، لم يحدث فيها أيّ تغيير أو تبديل، لا بزيادة ولا بنقص ولا بتغيير موضعي أصلاً. (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[1]، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

١ـ فصلت: ٤٢.

لَحَافِظُونَ)[١].

ولمزيد من التوضيح نقول:

أوّلاً: إسناد الكلام إلى متكلّم خاصّ يستدعي أن يكون هو العامل في تنظيم كلماته وأسلوبه التعبيري الخاصّ. وبما أنّ القرآن المجيد هو كلام الله العزيز الحميد، فلابدّ أن يكون الوحي هو العامل الوحيد في تنظيم كلماته جملاً وتراكيب كلاميّة بعدية.

ثانياً: كان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع. وقد تحدّى القرآن فصحاء العرب وأرباب البيان ـ بصورة عامّة ـ لو يأتون بمثل هذا القرآن و(لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٢]. وتجويز إمكان تدخّل يد بشريّة في نظم القرآن، كان بمعنى إبطال هذا التحدّي الصارخ.

ثالثاً: اتّفاق كلمة الأمّة في جميع أدوار التاريخ على أنّ النظم الموجود في الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي. الأمر الذي التزم به جميع الطوائف الإسلاميّة، على مختلف آرائهم في سائر المواضيع. ومن ثمّ لم يتردّد أحدٌ من علماء الأدب والبيان في آية قرآنيّة جاءت مخالفة لقواعد رسموها، في أخذ الآية حجّة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها إلى ما يلتئم وتركيب الآية. وذلك علماً منهم بأنّ النظم الموجود في الآية وحيٌ لا يتسرّب إليه خطأ البتّة، وإنّما الخطأ فيما استنبطوه من قواعد مرسومة.

مثال ذلك قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ)[٣]. فزعموا أنّ الحال لا تتقدّم على صاحبها المجرور بحرف، والآية جاءت مخالفة لهذه القاعدة. ولجأ ابن مالك إلى نبذ القاعدة، لأنّها مخالفة للآية، قال:

وَسَبَقَ حالٍ ما بحرفٍ جُرَّ قَدْ   أبَوا ولا أمنَعُهُ فَقَدْ وَرَد

تأليف آياته:

تأليف الآيات ضمن كلّ سورة، على الترتيب الموجود، قد تحقّ ـ في الأكثر ـ وفق ترتيب نزولها. كانت السورة تبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» فتسجّل الآيات التي تنزل بعدها من نفس هذه السورة، واحدة تلو أُخرى تدريجيّاً حسب النزول، حتّى تنزل بسملة أُخرى، فيعرف أنّ السورة قد انتهت وابتدأت سورة أُخرى. قال الإمام الصادق(عليه السلام): «كان يعرف انقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم»

١ـ الحجر: ٩.

٢ـ الإسراء: ٨٨.

٣ـ سبأ: ٢٨.

ابتداءً لأُخرى»(١).

وهذا الترتيب نسمّيه بالترتيب الطبيعي.

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وذلك بنصّ من رسول الله'. كان يأمر ـ أحياناً ـ بثبت آية في موضع خاصّ من سورة سابقة كانت قد ختمت من قبل. روي أنّ آخر آية نزلت، قوله تعالى: (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ) فأشار جبرئيل أن توضع بين آيتي الربا والدين من سورة البقرة(٢).

وربّما كانت السورة تفتتح، وقبل أن تكتمل، تفتتح سورة أُخرى وتكتمل الأخيرة قبل أن تكتمل الأُولى. وذلك كان بأمر النبي' وبإشارته، كما في سورة البقرة، هي أوّل سورة ابتدئ نزولها بالمدينة بعد الهجرة، لكنّها استمرّ نزولها سنوات، إذ فيها الكثير من الآيات نزلن في هذه الفترات المتأخّرة، منها: آية (إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)(٣). إنّها نزلت عندما تحرّج المسلمون من السعي بين الصفا والمروة لمكان أساف ونائلة عليهما، وكان المشركون وضعوهما على الجبلين يطوفون بهما ويلمسونهما. فنزلت الآية دفعاً لتوهّم الحظر. الأمر الذي يستدعي نزولها بعد صلح الحديبية في عمرة القضاء (٤)، وهو عام الستّ من الهجرة. أو لعلّ النبي' أمر بوضع الآية في هذا الموضع من السورة. والله العالم.

١ـ تفسير العياشي: ١/١٩، ح٥.

٢ـ الإتقان: ١/٦٢.

٣ـ البقرة: ١٥٨.

٤ـ روي ذلك عن الإمام الصادق×، راجع: تفسير العياشي: ١/٧٠ و ١٣٣.

الخلاصة

١ ـ لقد مرّ على جمع القران أدوار عديدة، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثمّ إلى عهد الخليل بن أحمد النحويّ الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود.

٢ ـ الاشكال المتصورة ف تاليف النص القراني ثلاثة :

أوّلاً: نظم كلماته بصورة جمل وتراكيب كلاميّة ضمن الآيات.

ثانياً: تأليف آياته ضمن السّور.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفّتين على صورة مصحف كامل.

٣ ـ أنّ نظم الكلمات والجمل والتعابير في القرآن، كلّها كانت بفعله تعالى ؛ لان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع .

٤ ـ تأليف الآيات ضمن كلّ سورة، على الترتيب الموجود، يرجع على الارجح الى نزول «بسم الله الرحمن الرحيم» فعندما تنزل يعلم ان السورة السابقة انتهت وقد بدأت سورة اخرى .

٥ ـ هناك عامل اخر يساهم في ظم الايات الى سورة معينة ، وهو امر النبي او جبرائيل فتوضع الاية في السورة التي امرا بها .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢٠)

ترتيب السور القرانية وتسلسها

المقدمة

لاحظنا في الدرس الماضي كيف ان الكلمات قد نظمت والجمل قد تالفت والايات قد وضعت ، واتضح لدينا ايضا انه لاخلاف ظاهر في ذلك ، بل اتفق الجميع ان كل ذلك حصل بفعل الله سبحانة ، او باشراف النبي او جبرائيل فيما يتعلق بتحديد مكان الايات ، ولكن يبدو ان الخلاف وتعدد الاراء موجود هنا ، وتجدر الاشارة الى ان ترتيب السور هو الحلقة الاساسية في بحث جمع القران وتاليفه .

المحتواي العلمي

ترتيب السور القرانية وتسلسها

هل رتبت السور على عهد رسول الله او بعد رحلته ؟

لقد كانت سور القرآن مكتملة على عهد الرسول الكريم ص مرتّبة آياتها وأسماؤها، غير أنّ جمعها بين دفّتين لم يكن حصل بعد، نظراً لترقب نزول قرآن في عهده؛ فما دام لم ينقطع الوحي لم يصحّ تأليف السور مصحفاً إلّا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن يتحقّق إلّا بانقضاء عهد النبوّة واكتمال الوحي. قال الإمام الصادق(عليه السلام): قال رسول الله؛ لعليّ(عليه السلام): «يا عليّ! القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه»[١].

هذا هو المعروف عن رواة الآثار وعند الباحثين عن شؤون القرآن، منذ الصدر الأوّل الى يومنا هذا. ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذلك التفصيل في جمع القرآن، ويرى أنّ القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرسول؛.

وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من علماء السلف ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه

١ـ بحار الأنوار: ٤٨/٩٢، ح٧ عن تفسير علي بن إبراهيم.

في ذلك الزمان حتّى عيّن جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّه كان يعرض على النبي‌ ويتلى عليه. وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي‌ عدّة ختماتٍ. وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً [١].

لكن حفظ القرآن هو بمعنى حفظ جميع سوره التي اكتملت آياتها، سواء كان بين السور ترتيب أم لا. وهكذا ختم القرآن هو بمعنى قراءة جميع سوره من غير لحاظ ترتيب خاصّ بينها. أو الحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النازل لحدّ ذاك والتحفظ عليه من الضياع والتفرقة، وهو لا يدلّ على وجود ترتيب خاصّ بين سوره كما هو الآن.

١ـ مجمع البيان: ١٥/١.

الخلاصة

١ ـ هناك وقولان في زمان ترتيب السـور :

الاول : انها رتبت بعد رحلة الرسـول ص لعدم انقطاع والوحي في حياته ، وهو المشـهور .

الثاني : انها رتبت في حياته ص وقد ذهب الى هذا القول السـيد المرتضى .

٢ ـ واسـتدل على القول الاول بقول الامام الصادق : «يا عليّ! القرآن خلف فراشـي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه»[١]. وعلى القول الثاني القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان .

٣ ـ قد يناقش القول الثاني بان الحفظ بمعنى حفظ جميع سـوره التي اكتملت آياتها ، او بمعنى المحافظة على مانزل من القران من التلف والضياع .

١ـ بحار الأنوار: ٤٨/٩٢، ح٧ عن تفسير علي بن إبراهيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢١)

مراحل الجمع ومصاديقة

المقدمة

لا شك في ان الاظطلاع بتاليف كتاب او تصنيفة يتطلب جهدا ووقتا كبيرين ويلزم من يؤلفه عملا دؤوبا ومتواصلا ، والسؤال الذي يطرح هنا : ما هو حجم الجهد وما هو الزمان الكافي و ما هي الظروف الملائمة التي يتطلبها اعظم كتاب نزل على الارض ؟ اجل انه القران الكريم الذي نسعى في هذا الدرس الى الاطلاع على المراحل التي مر بها جمع هذا الكتاب العزيز ، وهو جواب عن السؤال التالي : كيف جمع القران الكريم ؟

المحتواي العلمي

مراحل الجمع ومصاديقة

تنوع المراحل التي جمع بها القران الكريم

لو تتبعنا الأحاديث المتقدمة لوجدنا هناك قرائن كثيرة تشير إلى أن لفظة جمع القرآن مرت بمراحل متعددة ومتنوعة، ومن هذه المراحل:

المرحلة الأولى: حفظ القرآن، فعملية الحفظ على القلوب تسمى عملية جمع القرآن ولهذا يقال لحفاظ القرآن جماعة، وبهذا المعنى كما قيل جاء قول الحق تبارك وتعالى: **«لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»**[1] بمعنى أن الله تعالى تعهد جمع القرآن في صدر نبيه.

المرحلة الثانية: كتابة الآيات على الواح من اللخاف[2] أو العسيب[3] أو الرقاع[4] أو الأكتاف[5] أو الأقتاب[6] وهذه الألواح تبقى مبعثرة غير مجموعة، فهذه العملية أيضاً تسمى عملية جمع القرآن، ويشهد لذلك ما ورد عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان يخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاثة عشرة وأنتم تمترون في القرآن تقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله... فاعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به فكان الرجل يجيء بالورق والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثير[7] فالرواية تشير إلى أن القرآن كان مجموعاً عند الناس ولكن بمعنى أنه مكتوب على الورق والأديم.

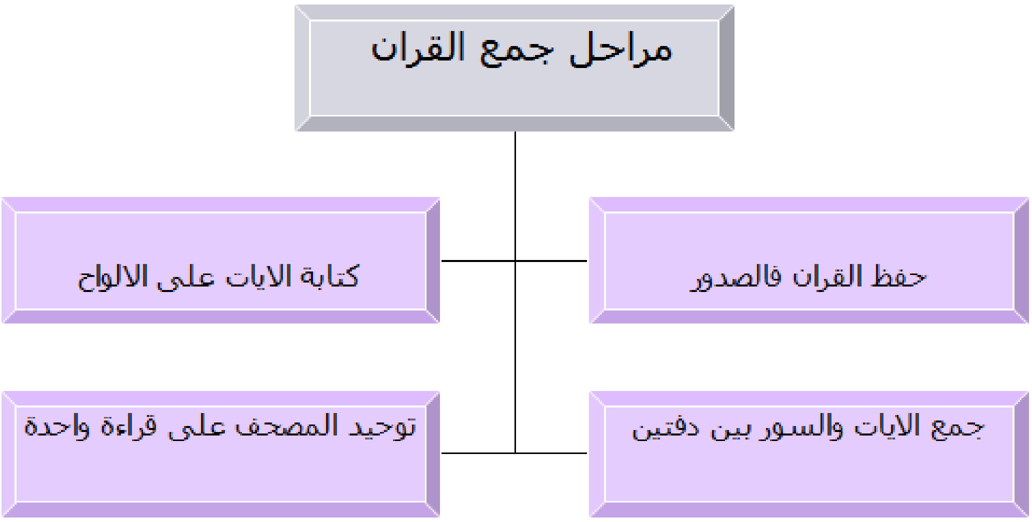
---

[1]- القيامة: ١٦ ـ ١٧.
[2]- وهي صفائح الحجارة الرقيقة.
[3]- جريد النخل بعد تجريده من الخوص بحيث يكتب على الجزء العريض منه.
[4]- رقعة من جلد أو ورق.
[5]- وهو عظيم بعير أو شاة كانوا سابقاً يستخدمونه للكتابة فإذا جف كتبوا عليه.
[6]- الأقتاب هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليكتب عليه.
[7]- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٩ ص٢٤٣.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن يطلق على القرآن المجموع بين دفتين بحيث جمعت كل آياته في سور منتظمة وجُمعت سورة في مصحف واحد، ولعل ما ورد في الأحاديث من أن عثمان أرسل إلى حفصة ليأخذ المجموع عندها لينسخه دليل على ذلك.

المرحلة الرابعة: تطلق عملية جمع القرآن على مسألة توحيد المصحف على قراءة واحدة بعد أن كان يقرأ بقراءات متعددة ومتنوعة، وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة في اختلاف الصحابة في القراءة بحيث دفع حذيفة بن اليمان إلى أن يراجع عثمان في ذلك ليوحد ويجمع القرآن ولهذا نجد أن عثمان أمر اللجنة المكلفة بالجمع على هذا المعنى في حالة حدوث اختلاف بينهم فليكتُب بلغة قريش لأنه نزل بلسانهم.

هذه المراحل الأربعة كلها تطلق عليها لفظة جمع القرآن، وسنحاول تتبع هذه المراحل منذ زمن الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) إلى عصر الخلفاء لنرى معنى الجمع في كل فترة زمنية معينة.



الخلاصة

١ ـ لقد مر جمع القران الكريم باربعة ادوار :

الاول : حفظ القران في قلوب المسلمين ، او في صدر نبيه .

الثاني : تدوين اياته وسوره على الالواح والقراطيس .

الثالث : جمع الايات والسور بين دفتين .

الرابع : توحيد القران بقراءة واحدة .

٢ ـ ان مصدر وسند كل مرحلة من المراحل المتقدمة هو الروايات والنقل التاريخي .

٣ ـ يطلق على كل مرحلة من هذه المراحل : جمع القران .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢٢)

جمع على بن أبي طالب(عليه السلام)

المقدمة

ان أوّل من تصدّى لجمع القرآن بعد وفاة النبي' مباشرة وبوصيّة منه هو علي بن أبي طالب(عليه السلام). قعد في بيته مشتغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل، مع شروح وتفاسير لمواضع مبهمة من الآيات وبيان أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل. حتى قال(عليه السلام): «ما نزلت آية على رسول الله' إلّا أقرأنيها وأملأها عليّ فأكتبها بخطّي. وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله لي أن يعلّمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي ما دعا»[1].

١ـ تفسير البرهان: ١/١٦، ح١٤.

المحتواي العلمي

جمع علي بن أبي طالب(عليه السلام)

اعلان الامام علي (ع) عن جمعه للمصحف

ثم ان القوم بعثوا إليه ليبايع فاعتذر باشتغاله بجمع القرآن، فسكتوا عنه أيّاماً حتّى جمعه في ثوب واحد وختمه ثمّ خرج إلى الناس وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد وخاطبهم قائلاً: «إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله ' مشغولاً بغسله وتجهيزه ثمّ بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله على نبيّه آية من القرآن إلّا وقد جمعتها، وليس منه آية وقد أقرأنيها رسول الله ' وعلّمني تأويلها، أن تقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين!». فقام إليه رجل من كبار القوم ـ وفي رواية أبي ذرّ: فنظر فيه فلان وإذا فيه أشياء [1]ـ فقال يا عليّ أردده فلا حاجة لنا فيه، ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه فدخل عليّ(عليه السلام) بيته [2].

وهذا المصحف يتوارثه أوصياؤه الأئمّة من بعده، واحداً بعد واحدٍ لا يرونه لأحدٍ[3]. وفي عهد عثمان حين اختلفت المصاحف وأثار ضجّة بين المسلمين، قال طلحة للإمام(عليه السلام): «ما يمنعك ـ يرحمك الله ـ أن تخرج كتاب الله إلى الناس؟» قال(عليه السلام): «يا طلحة! عمداً كففت عن جوابك. فأخبرني عمّا كتبه القوم أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن؟»، قال طلحة: «بل قرآن كلّه». قال(عليه السلام): «إن أخذتم بما فيه، نجوتم من النّار ودخلتم الجنّة»، قال طلحة: «حسبي، أمّا إذا كان قرآناً فحسبي»[4].

١ـ احتجاج الطبرسي: ٨٢.

٢ـ كتاب سليم بن قيس: ٧٢.

٣ـ بحار الأنوار: ٤٢/٩٢، ح١.

٤ـ سليم بن قيس: ١١٠ وبحار الأنوار: ٤٢/٩٢، ح١.

جمع زيد بن ثابت:

ان الإنكار الشديد لمصحف علي(عليه السلام) يستدعي التفكير في القيام بجمع القرآن مهما كلّف الأمر، بعد أن أحسّ الناس بضرورة جمع القرآن، ولا سيّما كانت وصيّة نبيّهم ` بجمعه لئلا يضيّع، كما ضيّعت اليهود توراتهم [(١)]. مضافاً إلى أنّه قد استحرّ القتل بكثير من حامليه ويوشك أن يذهب القرآن بذهاب حامليه، فقد قتل منهم سبعون في واقعة يمامة. وفي رواية: أربعمأة [(٢)].

وهذه الفكرة أبدأها عمر بن الخطّاب، واقتراح على أبي بكر ـ وهو ولي المسلمين يوم ذاك ـ أن ينتدب لذلك من تتوفر فيه شرائط القيام بهذه المهمّة الخطيرة، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت، وهو شابّ حدث وله سابقة كتابة الوحي أيضاً. فقد ملك الجدارة الذاتيّة من غير أن يخشى منه على جوانب الخلافة الفتيّة في شيء، كما كن يخشى من غيره من كبار الصحابة، وفيهم شيء من الجموح وعدم الانقياد التام لميول السلطة وأهدافها آنذاك.

دعودة زيد لجمع المصحف

وجّه زيد نداء عاماً إلى ملأ الناس: «من كان تلقّى من رسول اللّه ` شيئاً من القرآن فليأتِ به». وألّف لجنة من خمسة وعشرين عضواً ـ كما جاء في رواية اليعقوبي[(٣)] ـ وكان عمر يشرف عليهم بنفسه. وكان اجتماعهم على باب المسجد يوميّاً والناس يأتونهم بآي القرآن وسوره، كلّ حسب ما عنده من القرآن.

١ـ تفسير القمي: ٧٤٥.

٢ـ فتح الباري: ٤٤٧/٧.

٣ـ تاريخ اليعقوبي: ١١٣/٢.

ومن غريب الأمر أنّ عمر جاء بآية الرّجم وزعمها من القرآن: «الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما البتّة نكالاً من الله»، لكنّه واجه بالرفض، ولم تقبل منه، لأنّه لم يستطع إثبات أنّها من القرآن. وبقي أثر ذلك في نفس عمر، فكان يقول ـ أيّام خلافته ـ: «لولا أن يقول الناس: «زاد عمر في كتاب الله»، لكتبتها بيدي ـ يعني آية الرّجم ـ »[١].

منهج زيد في جمع المصحف

ثم إنّ جمع زيدٍ لم يكن مرتّباً ولا منظّماً كمصحف، وإنّما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع، وضبط آياته وسوره حذراً عن التلف بموت حامليه، فدوّنت في صحف وجعلت في إضبارة، وأُودعت عند أبي بكر مدّة حياته، ثمّ عند عمر بن الخطّاب حتّى توفّاه الله، فصارت عند ابنته حفصة، وهي النسخة التي أخذها عثمان لمقابلة المصاحف عليها، ثمّ ردّه عليها، وكانت عندها إلى أن ماتت، فاستلبها مروان من ورثتها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية، فأمر بها فشقّت [٢].

مصاحف أُخرى للصحابة

في الفترة بعد وفاة النبي' قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سوره بين دفّتين، كلّ بنظم وترتيب خاصّ، وكان يسمّى مصحفاً. وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً في المجتمع الإسلامي آنذاك، فكان أهل الكوفة يقرأون على مصحف عبد الله بن مسعود وأهل البصرة على

١ـ تفسير ابن كثير: ٣/٢٦١. والبرهان: ٢/٣٥. والإتقان: ٢/٢٦.

٢ـ إرشاد الساري: ٧/٤٤٩.

مصحف أبي موسى الأشعري. وأهل الشام على مصحف أُبيّ بن كعب و... [١].

لكن كان أمد هذه المصاحف قصيراً جدّاً انتهى بزمن توحيد المصاحف على عهد عثمان فذهبت مصاحف الصحابة عرضه التمزيق والحرق. أرسل عثمان إلى كلّ أُفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق [٢]. نعم حظيت بعضها عمراً أطول، كالصحف التي كانت عند حفصة.

وكان الوصف العامّ الذي تتّسم به مصاحف الصحابة في ذلك الزمان ، هو تقديم السور الطوال على القصار نوعاً ما في ترتيب منهجيّ خاصّ، يقرب من الترتيب الموجود في القرآن الآن.

١ـ الكامل في التاريخ: ٥٥/٣. وراجع: صحيح البخاري: ٢٢٥/٦. والمصاحف للسجستاني: ١١ ـ ١٤. والبرهان: ٢٣٩/١ ـ ٢٤٣.

٢ـ صحيح البخاري: ٢٢٦/٦.

الخلاصة

١. اول من تصدى لجمع المصحف وشرحه وتريبه بعد وفاة النبي هو علي ابن ابي طالب بوصية وامر من الرسول ص .
٢. اعتذر الامام على عن المبايعة بسبب جمعه للقران ، ولما اعلن عن جمعه له لم يقبلوه منه . وبقي مصحف علي يتوارثه الائمة واحدا بعد واحد .
٣. بعد ان رفض مصحف علي وقتل الكثير من الحفاظ والقراء لزم التفكير الجدي بضروة جمع القران ، فاقترح عمر على ابي بكر ذلك حتى وقع اختيارهم على زيد بن ثابت .
٤. انتدب زيد بن ثابت لجنة مكونة من خمسة وعشرين لجمع القران فيلتقون في باب المسجد فيجمعون ما بايديهم من ايات قرانية ، وكان عمر يشرف على ذلك بنفسه .
٥. ان منهج زيد في جمع القران لم يكن مرتبا او منظما ، بل كل همه هو حفظ القران من التلق والضياع .

كان يتسم المصحف الذي جمعه الصحابة بطابع منهجي واضح وهو تقديم السور الطوال على القصار ، وهو قريب من المصحف الموجود بايدينا .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢٣)

معنى الجمع فی عصر الرسول الأكرم(ص)

المقدمة

ذكرنا في الدروس الماضية معاني اربعة للجمع ، ولا يشك عاقل بأن المعنى الأول للجمع وهو بمعنى حفظ القرآن على القلوب قد تم في عصر الرسول(صلي الله عليه واله)، لأن القرآن قد نزل على صدر نبيه وكان(صلي الله عليه واله) حافظاً للقرآن بنص قوله تعالى: «وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»[١].وقوله تعالى: «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»[٢] وذهب إلى هذا المعنى المفسرين لهذه الآية[٣].

وهناك آيات قرآنية اخرى تشير إلى هذا المعنى من قبيل «سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى» [٤].

١- طه: ١١٤.
٢- القيامة: ١٦ ـ ١٧.
٣- تفسير شبر: ص٥٤١.
٤- سورة الأعلى: ٧.

المحتواي العلمي

معنى الجمع في عصر الرسول الأكرم(ص)

حفظ القران في صدور الاصحاب

وبعد ان كان الرسول هو الحافظ الأول لكتاب الله الكريم الذي نزل على صدره الشريف، نرى ان ذلك الامر يتعداه الى صحابته الذين اطلق عليهم حُفَّاظ للقرآن وجِّماعة الحفاظ ، الذين قتل منهم في (بئر معونة) سبعون رجلاً في عام (٤هـ).

بل أن الرسول كان يشجع على حفظ القرآن بحيث شاع حفظه بين الرجال والنساء حتى وصل الأمر أن المرأة تجعل مهرها سورة من القرآن ولهذا ينقل ابن كثير عن سهل بن سعد قال: إن امرأة أتت النبي(صلي الله عليه واله) ووهبت نفسها إليه فقال: «مالي من النساء من حاجة فقام رجل فقال: زوجنيها يا رسول الله؟ فقال: أعطها ثوباً قال: لا أجد.

قال: أعطها ولو خاتماً من حديد فاعتل له.

فقال: ما معك من القرآن.

قال: كذا وكذا.

قال النبي: زوجتكها بما معك من القرآن [١].

وكان الرسول(صلي الله عليه واله) يحث المسلمين على تعلم القرآن وحفظه، بل أن هناك أسباب أخرى عديدة تدفع المسلمين إلى حفظ القرآن، منها:

١ـ يُعتبر القرآن بالنسبة للمسلمين منهجاً عاماً لهم في حياتهم يتعلمون منه الحلال والحرام في عباداتهم ومعاملاتهم.

٢ـ الحالة الاجتماعية التي يتميز بها حفاظ القرآن قد تكون عامل مهم تدفع المسلمين الأوائل إلى حفظ القرآن.

١- ابن كثير فضائل القرآن: ص٤٠.

فمسألة جمع القرآن بمعنى الحفظ كان على عهد رسول الله(صلي الله عليه واله).

أما الجمع للآيات في داخل السور والسور في داخل المصحف الشريف، فقد ورد لدينا الكثير من الأحاديث والروايات تشير إلى أن هذه العملية تمت في زمن الرسول(صلي الله عليه واله) .

فهنا امران:

الأول: جمع الآيات داخل السورة الواحدة في زمن الرسول(صلي الله عليه واله).

وردت لدينا الكثير من المنقولات التأريخية تؤكد لنا أن وضع الآيات داخل سورها كان يتم من قبل الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) وبعضها كان يُصرح فيه بأن وضع الآية في السورة الفلانية هو بتوجيه من جبرائيل أمين الوحي إلى النبي الأكرم(صلي الله عليه واله) فمثلاً نقل عن الإمام علي(عليه السلام) في خلو سورة براءة من «بِسمِ اللهِ الرَحمَنِ الرَحيم» قال: بأن البسملة أمان وهذه السورة نزلت لرفع الأمان بالسيف بعد نقض المشركين للعهد [١] وورد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله(صلي الله عليه واله) إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبرائيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى» فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد[٢].

وورد أيضاً أن جبرائيل أشار على النبي الأكرم(صلي الله عليه واله) في وضع قوله تعالى: «وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ» بين آيات الربا والدَين من سورة البقرة[٣].

ولهذا السبب ذهب العلماء إلى أن ترتيب الآيات داخل السور توقيفي ولا شبهة في

١-العيني، عمدة القارئ: ج١٨ ص٢٥٣.
٢- محمد هادي معرفة التمهيد: ج١ ص٢٧٦.
٣- الإتقان في علوم القرآن: ج١ ص٦٢.

ذلك[١].

وقال الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبرائيل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا[٢]

فما ورد من نقولات تاريخية حول مسألة جمع الآيات القرآنية سواء في عهد أبي بكر أو غيره لا يمكن الوثوق به خصوصاً ، وأن الطريقة المستخدمة من قبول شاهدين وما شابه ذلك تؤدي إلى الوقوع بالتحريف ، فكل ما ورد في مسألة جمع الآيات داخل السورة الواحدة في غير زمن الرسول(صلي الله عليه واله) لا يمكن قبوله.

الثاني: جمع السور في زمن الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله).

هذه المسألة من المسائل التي وقع فيها خلاف بين الأعلام، والذي يجب أن نركز عليه هنا أن الرأي في هذه المسألة لا يؤثر على القرآن من ناحية التحريف، فوجدت هنا اتجاهات متعددة.

الاتجاه الأول: يقول أن القرآن بصورته الحالية جمع في زمن رسول الله(صلي الله عليه واله) ورتبت على شكل مصحف منذ ذلك الزمان.

الاتجاه الثاني: أن القرآن رتبت آياته داخل السور في زمن الرسول(صلي الله عليه واله) إلا أن ترتيب السور وجعله مصحفاً حصل بعد وفاة الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) سواْ كان الجمع حاصل من قبل الإمام علي(عليه السلام) أو من قبل الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث أو من غيرهم من الصحابة.

وذهب السيد الطباطبائي إلى أن مسألة جمع القرآن تم بعد وفاة الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله) فقال: أن جمع القرآن مصحفاً واحداً إنما كان بعد ما قبض النبي(صلي الله عليه واله) بلا إشكال[٣]

والذي يمكن أن يقال هنا: أن جمع القرآن بهذا المعنى كان على عهد رسول الله(صلي الله عليه واله) للأدلة التالية.

١ـ ورد عن أبي بكر الحضرمي عن الإمام الصادق(عليه السلام) أن رسول الله(صلي

[١]- الإتقان: ج١ ص١٨٩.
[٢]- الإتقان: ج١ ص١٦٩.
[٣]- الميزان في تفسير القرآن: ج١٢ ص١٢٨.

الله عليه واله) قال لعلي(عليه السلام) يا علي: إن القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة[١].

فالألفاظ في هذا الحديث صادرة من معصوم وهذه الألفاظ هي «القرآن» و«خلف فراشي» وما شابه ذلك تشير إلى أن القرآن كان بأجمعه موجود عند النبي ومجموع بشكل كامل وطلب من الإمام علي(عليه السلام) أن يجمعه بمعنى أن يجعله بين الدفتين وكان ذلك في زمن الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله).

٢ـ سأل قتادة أنس بن كعب: من جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله؟

فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٢].

٣ـ نقل المجلسي في بحاره: مات النبي(صلي الله عليه واله) ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٣].

ما يواجه هذه الروايات التاريخية أن الجمع هنا بمعنى الحفظ وليس جمع السور، وحصر الجامعين له بعدد معين ضعيف ؛ لأن الرسول(صلي الله عليه واله) قبض وعشرات بل مئات المسلمين يحفظون القرآن وليس فقط هؤلاء الاشخاص الأربعة ، أضف إلى ذلك من أين للراوي أن يتعرف على حفاظ القرآن في البلاد الإسلامية ويحصرهم في أربعة أشخاص فقط وهم ينتشرون في بلاد الله العريضة.

ويواجه هذا الرأي أيضاً أنه إذا كان الجمع في عصر الرسول فما معنى ما ورد إن الإمام علي (عليه السلام) لم يرتدي رداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن بعد وفاة الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله).

ويمكن أن يجاب على ذلك من خلال التعرف على مواصفات مصحف الإمام علي (عليه السلام) إذ أن الإمام علي (عليه السلام) بعد أن أخذ القرآن مجموعاً من النبي(صلي الله عليه واله) وفق ترتيب النزول ولهذا عد البعض من مواصفات مصحف علي أنه مجموع وفق ترتيب النزول وفي الحقيقة هذه ليست خصيصة لمصحف الإمام علي (عليه السلام) وإنما خصيصة للمصحف الذي أخذه الإمام علي (عليه السلام) من الرسول (صلي الله عليه واله) وأما معنى جمع الإمام علي (عليه السلام) بقرينة قول الرسول الذي أمر الإمام بجمع القرآن حتى لا يضيع كما ضيع لتوراة اليهود، بهذه

---

[١]- بحار الأنوار: ج٨٩ ص٥٣.
[٢]- صحيح البخاري: ج٩: ص٤.
[٣]- بحار الأنوار: ج٨٩ ص٧٧.

القرينة نجد أن الإمام كتب هوامش لهذا المصحف حتى لا يقع التلاعب بالنص الأصلي وتحريف معانيه، وهذه الهوامش كانت عبارة عن أسوار لحفظ النص من قبيل أسباب النزول ومكان النزول والمصاديق التي نزلت فيهم، ولهذا نجد أن هذا المصحف استقر بعد الإمام بيد أئمة أهل البيت العلوي فلقد جاء في الرواية: أن طلحة سأل علياً عن مصحفه وإلى من يكون من بعده؟ قال له: إلى الذي أمرني رسول الله أن أدفعه إليه وصيي وأولى الناس بعدي بالناس ابني الحسن ثم يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين (عليه السلام).

فالقرآن مجموع على عهد الرسول (صلي الله عليه واله)

والذي يواجه هذا الرأي النقولات التاريخية التي تقول أن المصحف جُمع في زمن أبي بكر أو عمر وعثمان كما تشير إلى ذلك المصادر الحديثة والتاريخية.

ويمكن أن يجاب هنا:

أن جمع القرآن في زمن أبي بكر أمر لابد منه بعد رفض مصحف الإمام علي (عليه السلام) وهذا الجمع يجب أن لا ينصرف إلى جمع الآيات داخل السورة الواحدة وما ورد في هذا المعنى فهو مردود، وإنما الجمع للسور القرآنية داخل المصحف الواحد خصوصاً وإن الخلافة تعتبر القرآن الدستور الإسلامي الأول فلابد من الاهتمام به فجمعه في زمن أبي بكر لا يدل على عدم وجوده في زمن الرسول الأكرم(صلي الله عليه واله)، أضف إلى ذلك أن الروايات والنقولات التاريخية التي أشارت إلى جمعه في زمن أبي بكر أو عمر كان فيها نوع من التضارب الواضح والخلط بين جمع الآيات داخل السورة الواحدة الذي أثبت الدليل أنه تم في زمن النبي(صلي الله عليه واله) وبين جمع السور القرآنية.

الخلاصة

١. لاشك في ان جمع القران بمعنى حفظه في الصدور قد تحقق في زمن النبي " سنقرئك فلا تنسى "
٢. كان الرسول يشجع على حفظ القران عن ظهر قلب حتى حفظ القران مجموعة كبيرة من الصحابة اطلق عليهم اسم " الحفاظ .
٣. هناك روايات كثيرة تشير الى ان وضع الايات في داخل السور كان في زمن النبي ص وباشراف منه وبرعاية من جبرائيل .
٤. وقع الكلام في ترتيب السور وجعلها مصحفا هل وقع في زمن رسول الله ص او بعدوفاته ، اتجاه ذهب الاول ، واخر الى الثاني ، وهو ما يراه العلامة الطباطبائي .
٥. استدل على الاتجاه الاول بمجموعة من الروايات نوقشت بان المقصود منها الحفظ من التلف وليس ترتيب السور ، والروايات التي حدد الحفاظ باربعة هي روايات ضعيفة .
٦. مصحف الامام على هو المصحف الذي كان عند رسول الله المرتب بحسب النزول ، ولكن اضاف اليه الامام مجموعة من الهوامش شملت : اسباب النزول ومكانه والناسخ والمنسوخ و ...

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢٤)

فكرة توحيد المصاحف

المقدمة

قلنا في الدروس السابقة انه بعد وفاة النبي وبعد ان رد المصحف الذي جمعه الامام امير المؤمنين ع فكر المسلمون بجمع القرءان ، لكن يبدو انه لم يجمع مرة واحدة ولم يتفق المسلمون على مصحف واحد ، حتى كان المسلمون يقرأو ن القرءان بقراءات متعددة حسب المصاحف الموجودة بايديهم ، فرأى بعض المسلمون خطأ ذلك وضرورة جمع المصاحف في مصحف واحد ، وفي هذا الدرس نحاول التركيز على هذه الفكرة ، ومتى نشـأت وكيف ؟

المحتواي العلمي

فكرة توحيد المصاحف

اول من فكر في جمع المصحف

إنّ أوّل من فكّر في توحيد المصاحف هو حذيفة بن اليمان، فإنّه في سفره إلى غزو أرمينية ـ آذربيجان ـ شاهد اختلاف الناس في القراءات، فلمّا رجع إلى الكوفة حلف ليأتيّن الخليفة وليأمرنّه بجعلها قراءة واحدة، كما استشار هو من كان بالكوفة من صحابة الرسول' فوافقوه على ما عزمه [١]، سوى عبد الله بن مسعود. ثمّ سار إلى المدينة يستحثّ عثمان على إدراك أمّة محمد' قبل تفرّقها فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة [٢].

وهكذا الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) أبدى رأيه موافقاً لهذا الأمر، قال(عليه السلام): «فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا. استشارنا في أمر القراءات... قلنا: فماذا رأيت؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت»[٣]. وفي رواية أُخرى قال: «لو ولّيت في المصاحف ما ولّى عثمان لفعلت كما فعل»[٤].

وكان(عليه السلام) ـ بعد ما تولّى الخلافة ـ أحرص الناس على الالتزام بالمصحف المرسوم ـ حتّى ولو كانت فيه أخطاء إملائيّة ـ حفظاً على كتاب الله من أن تمسّه يد التحريف فيما بعد باسم الإصلاح. وهكذا سار على منهجه(عليه السلام) الأئمّة من ولده

روي انه قرأ رجل عند الإمام أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) حروفاً من القرآن

١ـ الكامل في التاريخ: ٣/٥٥.

٢ـ الكامل في التاريخ: ٣/٥٥.

٣ـ المصاحف للسجستاني: ٢٢.

٤ـ النشر: ١/٨. والمصاحف للسجستاني: ٢٣.

ليس على ما يقرؤه الناس! فقال له الإمام(عليه السلام): «مه مه! كُفّ عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس». ومن ثمّ وقع إجماع أصحابنا الإماميّة على أنّ ما بأيدينا هو قرآن كلّه [١]، لم تمسّه يد تحريف أصلاً. وأنّ القراءة المشهورة هي القراءة الصحيحة، التي تجوز القراءة بها في الصلاة وغيرها من أحكام أجروها على النصّ الموجود، واعتبروه القرآن الذي أُوحي إلى النبي' ولم يعتبروا شيئاً سواه.

وأمّا ابن مسعود فلا أظنّ مخالفته كانت جوهريّة، وإنّما أغضبه انتداب أشخاص غير أكفاء لهذا الأمر الخطير كان أمثاله جديرين له. كما يظهر من كلامه حيث قال: «يا معشر المسلمين أأُعزل عن نسخ المصاحف ويتولّاها رجلٌ، والله لقد أسلمت وإنّه لفي صلب رجل كافر ـ يريد زيد ابن ثابت ـ» [٢].

لجنة توحيد المصاحف:

ندب عثمان أربعة للقيام بهذا الأمر ، وهم زيد بن ثابت ـ وهو أنصاري ـ وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ وهم قرشيّون ـ [٣]. وكانت الرياسة لزيد بن ثابت كما يظهر من كلام ابن مسعود المتقدّم آنفاً.

لكن هؤلاء الأربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الأمر ومن ثمّ استعانوا بجماعة أُخرى مثل عبد الله بن عباس وأُبيّ بن كعب وغيرهما. وفي هذه المرحلة كانت الرياسة مع أُبيّ بن كعب فكان هو يملي ويكتب الآخرون [٤]. وكان هذا في سنة خمس وعشرين، في السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان، كما قال ابن حجر [٥].

لقد اتخذت لجنة توحيد المصاحف في عملها ثلاث خطوات أساسيّة:

١ـ جمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن من أطراف البلاد الإسلاميّة وإنحائها. فقد أرسل عثمان إلى كلّ أُفق من يجمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن وأمر بها أن تحرق [٦]. فلم يبق مصحف إلّا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود فامتنع أن يدفع

١ـ راجع: حديث طلحة مع الإمام×. بحار الأنوار: ٩٢/٤١ ـ ٤٢، ح١.

٢ـ فتح الباري: ٩/١٧.

٣ـ صحيح البخاري: ٦/٢٢٦.

٤ـ المصاحف للسجستاني: ٣٠.

٥ـ فتح الباري: ٩/١٥. والترديد باعتبار الاختلاف في أنّ يوم البيعة لعثمان هو العشر الأخير من ذي الحجة عام ٢٣ أو العشر الأوّل من محرّم عام ٢٤. راجع تاريخ الطبري: ٣/٣٠٢.

٦ـ صحيح البخاري: ٦/٢٢٦.

مصحفه إلى عبد الله بن عامر فأمر بن عثمان فجرّ برجله حتى كسر له ضلعان [١].

٢ـ البحث عن النسخ الصحيحة لغرض النسخ عليها مصاحف متعدّدة وبثّها بين المسلمين. ففي هذه المرحلة كان عثمان في بدء الأمر زعمها هيّنة، ومن ثمّ اختار لها جماعة غير أكفاء ، ثم لجأ إلى جماعة آخرين وفيهم الأكفاء، مثل سيّد القرّاء الصحابي الكبير أُبيّ بن كعب. وأرسل إلى الصحف التي جمع فيها القرآن أيّام خلافة أبي بكر ـ وهي كانت في بيت حفصة ـ للمقابلة عليها فأبت حفصة لأوّل أمرها أن تدفع إليه حتّى عاهدها عثمان ليردّنّها فبعث بها إليه [٢].

٣ـ مقابلة هذه المصاحف الموحّدة لغرض التأكّد من صحتها أوّلاً وعدم وجود اختلاف بينها ثانياً. ففي هذه المرحلة كان التساهل أوضح.

حدّث ابن أبي داود عن بعض أهل الشام، كان يقول: «مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة، لأنّ عثمان لمّا كتب المصاحف بلغه قراءة أهل الكوفة على حرف عبد الله. فبعث إليهم بالمصحف قبل أن يعرض ـ أي: قبل مقابلته على سائر النسخ ـ وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث بهما»[٣].

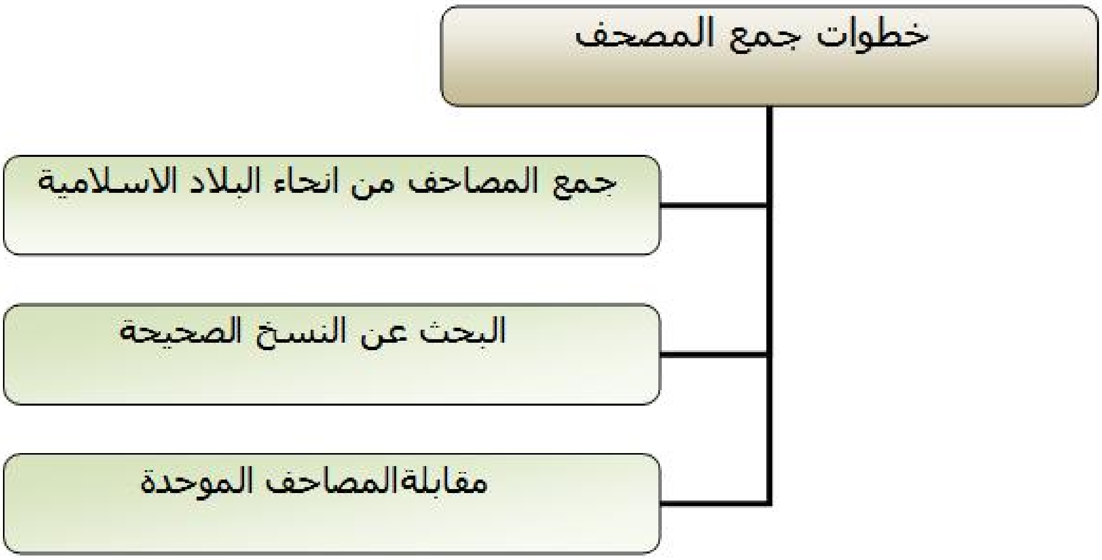
وروي أيضاً: «إنّهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف أتوا به إلى عثمان، فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم. أرى فيه شيئاً من اللحن ـ لكن ـ ستقيمه العرب بألسنتها. ثمّ قال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا»[٤].

١ـ تاريخ اليعقوبي: ٢/١٥٩ ـ ١٦٠.

٢ـ المصاحف للسجستاني: ٩.

٣ـ المصاحف للسجستاني: ٣٥.

٤ـ المصاحف للسجستاني: ٣٤.



قلت: ألم يكن كتاب الله العزيز الحميد جديراً بالاهتمام به ليكون خالياً من كلّ خطأ أو لحن؟! ثمّ ما هذا التمنّي الكاذب، وفي استطاعته بدء الأمر أن يختار مملياً من هذيل وكتبة من ثقيف، وهو يعلم أنّ فيهم الجدارة والكفاءة.

وهذا التساهل أحد أسباب الاختلاف في القراءة فيما بعد كما سيأتي .

الخلاصة

١. أوّل من فكّر في توحيد المصاحف هو حذيفة بن اليمان، عندما شاهد في سفره إلى غزو أرمينية ـ آذربيجان ـ اختلاف الناس في القراءات .

٢. وافق اكثر الصحابة ومنهم الامام علي ع على توحيد المصاحف ، وخالف في هذا الامر ابن مسعود ؛ لعدم اختيار الناس الاكفاء للقيام بهذه المهمة .

٣. انتدب الخليفة عثمان ارب رجال للقيام بمهمة توحيد المصاحف ، وهم : زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

٤. لقد مر توحيد المصاحف بخطوات ثلاث :

أ ـ جمع المصاحف المنتشرة في الاقطار الاسلامية .

ب ـ البحث عن النسخ الصحيحة.

ج ـ مقابلة المصاحف الموحدة للتاكد من صحتها ، وعدم اختلافها .

٥.التساهل في امر توحيد المصاحف جعل امكانية حدوث الخطأ واللحن وارد جدا ، وهو الامر الذي اعترف به عثمان نفسه .

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن

(الدرس ٢٥)

المصاحف العثمانية

المقدمة

بع ان تحقق ما اراده اكثر الصحابة مـن ضـروة توحيـد القـران الكـريم علـى قـراءة واحـدة جهزت مجموعة من النسـخ للمصحف الموحد ، والتي عرفت بالمصاحف العثمانية نسـبة الخليفـة عثمـان وبعثـت الـى المراكـز الاســلامية المهمـة ، ولكـن لـم يخلـو عـدد تلـك المصـاحف والبلـدان التـي ارســلت اليهـا مـن الاخـتلاف بـين المـؤرخين ، وفـي الـدرس سـنعرف على عدد و صفات المصاحف العثمانية .

المحتواي العلمي

المصاحف العثمانية

عدد المصاحف العثمانيّة:

قال ابن أبي داود: «كانت ستّة حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزيّة الخاصّة: مكّة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن. وحبس السابعة ـ وكانت تسمّى الأمّ أو الإمام ـ بالمدينة»[1]. وزاد اليعقوبي: مصر والجزيرة [2]. وكان المصحف المبعوث إلى كلّ قطر يحتفظ عليه في مركز القطر، يستنسخ عليه ويرجع إليه عند اختلاف القراءة. ويكون هو حجّة. ومصحف المدينة كان مرجعاً للجميع بصورة عامّة. وروي: «أنّ عثمان بعث مع كلّ مصحف قارئاً يقرىء الناس على قراءة ذلك المصحف»[3].

مزايا المصاحف العثمانيّة:

١ـ **الترتيب:** كانت المصاحف العثمانيّة ـ بصورة عامّة ـ ذات ترتيب خاصّ ـ وهو الترتيب الحاضر في المصحف الكريم ـ يقرب من ترتيب مصاحف الصحابة مع اختلاف يسير.

٢ـ **النقط والتشكيل:** كانت المصاحف العثمانيّة خاليةً عن النقط والتشكيل وكان على القاري بنفسه أن يميّز بين الحروف المتشابهة ـ مثل الباء والياء والتاء والثاء ـ عند القراءة حسب ما يبدو له من قرائن. كما كان عليه أن يعرف هو بنفسه وزن الكلمة وكيفية إعرابها أيضاً. ومن ثمّ كانت قراءة القرآن في الصدر الأوّل موقوفة على مجرّد السماع والنقل فحسب.

وهذا كان منشأ اختلاف القراءات إذ بطول الزمان ربّما كان يحصل اشتباه في النقل أو خلط في السماع مضافاً إلى تخلّل الأمم غير العربيّة في الجزيرة وتضخّم جانبهم مطّرداً مع التوسعة في القطر الإسلامي العريض.

١ـ المصاحف للسجستاني: ٣٤.

٢ـ تاريخ اليعقوبي: ٢/١٦٠.

٣ـ مناهل العرفان: ١/٣٩٦ ـ ٣٩٧.

ضبط الخط الذي دون به المصحف الشريف

كان الخطّ عندما اقتبسه العرب من السريان والأنباط، خالياً من النقط ولا تزال الخطوط السريانيّة بلا نقط إلى اليوم. ولمّا كثر التصحيف في القراءات بازدحام القطر الإسلامي بأجانب عن اللغة العربية قام نصر بن عاصم ويحي بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدّئلي بتنقيط المصحف. وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ ـ ٨٦ هـ)[١].

ثمّ إنّ القرآن في الصدر الأوّل كان محفوظاً في صدور الرّجال ومأموناً عليه من الخطأ واللّحن بسبب أنّ العرب كانت تقرؤه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية التي كانت محفوظة لحدّ ذاك الوقت مضافاً إلى شدّة عنايتهم بالأخذ والتلقي عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة. ولكن بعد منتصف القرن الأوّل حيث كثر الدخلاء ـ وهم أجانب عن اللغة العربيّة ـ مسّ الحاجة إلى وضع علامات تؤمن عليهم الخطأ واللحن. من ثمّ عزم أبو الأسود الدّئلي على تشكيل المصحف وذلك في زمن ولاية زياد بن أبيه على الكوفة (٥٠ ـ ٥٣ هـ).

قال جلال الدين السيوطي: «كان الشكل في الصدر الأوّل نقطاً، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف والضمة نقطة على آخره والكسرة تحت أوّله»[٢]. وفي الأغلب يكتبونها بلون غير لون خط المصحف والأكثر يكتبونها بلون أحمر. والظاهر أنّ تبديل النقط السود إلى نقطة ملوّنة حدث بعد وضع الإعجام للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة والتي هي علامة الإعجام. وأوّل من وضع الهمز والتشديد و... الخليل بن أحمد الفراهيدي[٣].

وهكذا كلّما امتدّ الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من طور إلى طور حتّى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرّسم ذروته في الجودة والحسن.

وأمّا وضع علائم التحزيب والتجزئة فقيل: «إنّ المأمون العباسي هو الذي أمر بذلك». وقيل: «إنّ الحجّاج فعل ذلك»[٤].

وينتصف القرآن على الفاء من قوله تعالى: (وَلْيَتَلَطَّفْ)**[٥]**.

وعدد آياته ـ في قول علي(عليه السلام) ـ : ٦٢١٨ آية وفي رواية: ٦٢٣٦ آية.

١ـ دائرة المعارف القرن العشرين: ٧٢٢/٣، ومناهل العرفان: ٣٩٩/١، وتاريخ القرآن: ٦٨.

٢ـ الإتقان: ١٧١/٢.

٣ـ الإتقان: ١٧١/٢ وكتاب النقط لأبي عمرو الداني: ١٣٣.

٤ـ راجع: البرهان للزركشي: ٢٤٩/١ـ٢٥٢.

٥ـ الكهف: ١٩.

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزءته إلى ثلاثين جزءً تسهيلاً لقراءته في المدارس وغيرها.

وأطول سورة في القرآن هي البقرة، وأقصرها الكوثر.

وأطول آية في القرآن آية الدين (البقرة: ٢٨٢). وأقصرها (وَالضُّحَى)[١]، ثمّ (وَالفَجْرِ)[٢].

وأطول كلمة في القرآن (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)[٣].

١ـ الضحّى: ١.

٢ـ الفجر: ١.

٣ـ الحجر: ٢٢.

الخلاصة

١. ذكر ابن أبي داود: «كانت ستّة حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزيّة الخاصّة: مكّة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن. وحبس السابعة ـ وكانت تسمّى الأُمّ أو الإمام ـ بالمدينة»[١].

٢. اتصفت المصحف العثماني بصفتين اساسيتين :

الاولى ان ترتيبه ونظمه كان خاصا وهو قريب من الترتيب الموجود في المصحف الان .

الثانية : خلوه من التنقيط والتشكيل ، فكان على القارئ معرفة الفرق بين الاحرف وحركات اخر الكلمات .

٣. اول من نقط المصحف هما نصر بن عاصم ويحي بن يعمر ، في زمن ولاية الحجاج على العراق .

٤. ان ابو الاسود الدؤلي هو اول من ضبط شكل المصحف في زمن ولاية زياد بن ابيه على الكوفة .

٥. اول وضع الهمز والتشديد هوالخليل بن احمد الفراهيدي .

١ـ المصاحف للسجستاني: ٣٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ٢۶)

اول من قام بالشكل والاعجام

المقدمة:

كان الخطّ عندما اقتبسه العرب من السريان والأنباط، خالياً من النقط والاشكال ، ولا تزال الخطوط السريانيّة بلا نقط إلى اليوم. ولمّا كثر التصحيف في القراءات بازدحام القطر الإسلامي بأجانب عن اللغة العربية قام نصر بن عاصم ويحي بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدّؤلي بتنقيط المصحف. وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ ـ ٨٦ هـ)[١].

١ـ دائرة المعارف القرن العشرين: ٧٢٢/٣، ومناهل العرفان: ٣٩٩/١، وتاريخ القرآن: ٦٨.

المحتوى العلمي :

تطور الخط العربي ودوره في الرسم القراني

ثمّ وبعد ان كان القرآن محفوظاً في الصدر الأوّل كان في صدور الرّجال ومأموناً عليه من الخطأ واللّحن؛ وذلك لأنّ العرب كانت تقرؤه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية والتي كانت محفوظة لحدّ ذاك الوقت، مضافاً إلى شدّة عنايتهم بالأخذ والتلقي عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة. ولكن بعد منتصف القرن الأوّل حيث كثر الدخلاء ـ وهم أجانب عن اللغة العربيّة ـ مسّ الحاجة إلى وضع علامات تؤمن عليهم الخطأ واللحن. من ثمّ عزم أبو الأسود الدّؤلي على تشكيل المصحف وذلك في زمن ولاية زياد بن أبيه على الكوفة (٥٠ ـ ٥٣ هـ).

قال جلال الدين السيوطي: «كان الشكل في الصدر الأوّل نقطاً، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف والضمة نقطة على آخره والكسرة تحت أوّله»[١].

وفي الأغلب يكتبونها بلون غير لون خط المصحف والأكثر يكتبونها بلون أحمر.

> والظاهر أنّ تبديل النقط السود إلى نقطة ملوّنة حدث بعد وضع الإعجام للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة والتي هي علامة الإعجام.

وهكذا كلّما امتدّ الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من طور إلى طور حتّى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرّسم ذروته في الجودة والحسن.

والمهم فأن الكتابة والقراءة كانت معروفة عند العرب وإن كانت بشكل بسيط ، ولكن كان الخط الذي تكتبه وتقرأه العرب عار عن الشكل والاعجام ، ولكن بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأجانب أخذت عملية اللحن في كلامهم تسري بشكل واضح، ويروي لنا التاريخ أن أبا الأسود الدؤلي تـ(٦٩هـ) دخل على ابنته يوماً فقالت له:

١ـ الإتقان: ١٧١/٢.

يا ابتِ ما أشدُّ الحر (رفعت دال أشد)

فتصور أنها تسأل عن أي زمان يشتد فيه الحر؟

فقال لها: شهر ناجر يعني شهر صفر حيث كانت الجاهلية تسمى شهور السنة بهذه الأسماء.

فقالت يا أبتِ: إنما أخبرتك ولم أسألك.

فجاء إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) فقال له: ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم فسأله عن الخبر فقص له خبر ابنته.

وهناك رواية أخرى تقول أن أبا الأسود الدؤلي قد سمع قارئاً يقرأ القرآن وهو يقول:)**أَنَّ** اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (بكسر اللام في رسوله، فقال أبو الأسود: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله: فذهب إلى علي بن أبي طالب(عليه السلام) فأمره أن يشتري صحفاً بدراهم وأملي عليه... وقال له أكتب: الكلام كله لا يخرج من اسم وفعل وحرف... ثم رسم أصول النحو... وقيل لأبي الأسود الدؤلي من أين لك هذا العلم يعني النحو ـ فقال: أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب(عليه السلام)[1].

ويتضح مما تقدم أن أول من نقَّط القرآن ، حيث وضع نقاطا مدورة على الحروف بدل الحركات بالشكل التالي:

١ـ علامة الفتحة نقطة فوق الحرف.

٢ـ علامة الكسرة نقطة أسفل الحرف.

٣ـ علامة الضمة نقطة آخر الحرف أو بين أجزاء الحرف.

٤ـ علامة التنوين جعلها نقطتين.

ومن ثم قام نصر بن عاصم ويحي بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدّئلي بتنقيط المصحف. وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ ـ ٨٦ هـ)[2]. بعد ذلك جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٥٧هـ) حيث استبدل النقط المدورة بعلامات وهي الفتحة والكسرة والضمة والسكون

---

[1] أبو الفرج الاصبهاني: الأغاني: ج١٢ ص٢٩٨ وما بعدها.

٢ـ دائرة المعارف القرن العشرين: ٧٢٢/٣، ومناهل العرفان: ٣٩٩/١، وتاريخ القرآن: ٦٨.

وأمّا وضع علائم التحزيب والتجزئة فقيل: «إنّ المأمون العباسي هو الذي أمر بذلك».
وقيل: «إنّ الحجّاج فعل ذلك»[1].

وينتصف القرآن على الفاء من قوله تعالى: (وَلْيَتَلَطَّفْ)[2].

وعدد آياته ـ في قول علي(عليه السلام) ـ: ٦٢١٨ آية وفي رواية: ٦٢٣٦ آية.

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزءته إلى ثلاثين جزءً تسهيلاً لقراءته في المدارس وغيرها.

وأطول سورة في القرآن هي البقرة، وأقصرها الكوثر.

وأطول آية في القرآن آية الدين (البقرة: ٢٨٢). وأقصرها (وَالضُّحَى)[3]، ثمّ (وَالفَجْرِ)[4].

وأطول كلمة في القرآن (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)[5].

١ـ راجع: البرهان للزركشي: ١/٢٤٩ـ٢٥٢.

٢ـ الكهف: ١٩.

٣ـ الضحّى: ١.

٤ـ الفجر: ١.

٥ـ الحجر: ٢٢.

الخلاصة:

١ ـ اول من نقط المصحف هما نصر بن عاصم ويحي بن يعمر ، في زمن ولاية الحجاج على العراق.

٢ ـ ان ابو الاسود الدؤلي هو اول من خلال تنقيط شكل المصحف بالدوائر في زمن ولاية زياد بن ابيه على الكوفة.

٣ ـ كان الخط الذي تكتبه وتقرأه العرب عار عن الشكل والاعجام ، ولكن بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأجانب أخذت عملية اللحن تسري في كلامهم بشكل واضح ، فاضطروا الى وضع قواعد الشكل والاعجام.

٤ ـ يحدثنا التاريخ عن انتشار اللحن في الكلام العربي ، فاضطر ابو الاسود بمساعدة الامام علي الى وضع علم النحو.

بسم الله الرحمن الرحیم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٢٧)

المخالفات فى رسم الخطّ القرانى

المقدمة:

قال تعالى (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[١].

من الابحاث التي عنت بها علوم هو رسم الخط القراني وشكله ، حيث إنّ الخطّ بصورة عامة وضع ليعبّر عن المعنى بنفس اللفظ الذي ينطق به، وعليه فيجب أن تكون الكتابة مطابقة للّفظ المنطوق به تماماً ليكون الخطّ مقياساً للّفظ من غير زيادة أو نقصان. غير أنّ أساليب الإنشاء والكتابة تختلف عن هذه القاعدة بكثير ولكن لا بأس بذلك ما دام الإصطلاح العامّ جارياً عليه، فلا يسبّب اشتباهاً أو التباساً في المراد.

١ـ فصّلت: ٤٢.

المحتوى العلمى :

اختلاف الخط القراني عن قواعد الخط العامة

ليقد تخلف رسم الخط في المصحف الشريف حتّى عن المصطلح العام. ففيه كثير من الأخطاء الإملائيّة والتناقضات المتعددة في رسم الكلمات، ولو لم يكن هناك سماع وتواتر في قراءة القرآن ـ والتي لم يزل المسلمون يتوارثونها ، بدقّة وعناية بالغة جيلاً بعد جيل ـ لأصبح قراءة كثير من كلمات القرآن مستحيلة. ويرجع السّبب ـ كما تقدّم ـ إلى عدم تسلّط العرب على فنون الخطّ وأساليب الكتابة في ذلك العهد. بل لم يكونوا يعرفون الكتابة سوى عدد قليل منهم بحدوج الخط البدائي الردئ ، كما يبدو من الخطوط الباقية من صدر الأوّل[1]. ولم يمسّوا القرآن بيد إصلاح بعد ذلك قطّ، لئلاّ يقع القرآن عرضة تحريف أهل الباطل بعدئذ بحجّة الإصلاح.

والأخطاء الإملائية الموجودة في المصحف لاتمسّ كرامة القرآن وصيانته وذلك لوجوه :

أوّلاً: القرآن ـ في واقعه ـ هو الذي يقرأ لا الّذي يكتب. فما دامت القراءة باقية على سلامتها الأُولى لا تضرّ الكتابة. ولا شكّ أنّ المسلمين احتفظوا على نصّ القرآن بلفظه المقروء صحيحاً.

ثانياً: تخطئة الكتاب هي استنكار على الكتبة الأوائل وليست قدحاً في نفس الكتاب الّذي (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[2].

ثالثاً: إن بقاء الأخطاء على حالها ظلّت باقية، يفيد المسلمين في احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون. إذ أنّ الأخطاء الإملائية لا شأن لها بذلك، وان كان تلك الاخطاء بالإصلاح ، لكنها ابقيت سليمة عن التغيير، تكريماً لمقام السلف فيما كتبوه، فأجدر بنصّ الكتاب العزيز أن يبقى بعيداً عن احتمال التحريف والتبديل رأساً.

نماذج من مخالفات الرّسم:

١ـ (يَأْتِيهِمْ أَنبَؤُا)[3]. والصحيح: أَنبَاء.

٢ـ (يَنْؤَنَ عَنْهُ)[1]. والصحيح: يَنْأَوْنَ عَنْهُ.

١ـ راجع: مقدّمة ابن خلدون: ٤١٩ ـ ٤٣٨.

٢ـ فصّلت: ٤٢.

٣ـ الأنعام: ٥.

٣ـ (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاىْءٍ)[٢]. والصحيح: لِشَيْءٍ.

٤ـ (أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ)[٣]. والصحيح: لَأَذْبَحَنَّهُ.

٥ـ (وَجِاْىءَ بِالنَّبِيِّينَ)[٤]. والصحيح: وَجِيءَ...

التناقضات في الرسم العثماني:

والشيء الأغرب وجود تناقضات في رسم المصحف، بينما الكلمة مثبتة في موضع برسم خاصّ وإذا هي بذاتها مرسومة في موضعٍ آخر بما يخالفها، وإليك نموذجاً من ذلك

الكلمة برسمها الملحون	الكلمة برسمها الصحيح
١ـ (لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ)[٥].	(إِذًا لَّاتَّخَذُوكَ)[٦].
٢ـ (فَقَالَ الضُّعَفَؤُا)[٧].	(لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ)[١].
٣ـ (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ)[٢].	(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ)[٣].
٤ـ (عَلَى بَيِّنَتٍ مِّنْهُ)[٤].	(عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ)[٥].
٥ـ (فَقَالَ المَلَؤُا)[٦].	(وَقَالَ المَلأ)[٧].

التناقض الغريب:

١ـ الأنعام: ٣٦.

٢ـ الكهف: ٢٣.

٣ـ النّمل: ٢١.

٤ـ الزمر: ٦٩.

٥ـ الكهف: ٧٧.

٦ـ الإسراء: ٧٣.

٧ـ إبراهيم: ٢١.

الموقف من الشكل والاعجام

نتيجة لموقع القرآن في قلوب المسلمين ومكانته بينهم واجهت عملية التنقيط والشكل آراء ومواقف متعددة سنذكرها بشكل إجمالي.

١ـ رفض هذه العملية حتى لا يختلط بالقرآن ما هو ليس منه فمثلاً عبد الله بن مسعود قال: {جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء}[٨].

بل أن الحسن البصري ومحمد بن سيرين قالا بكراهة النقط في القرآن وكذلك مالك لم يجوز النقط في المصاحف التي تقرأ وجوز ذلك في المصاحف التي معدة للتعليم[٩].

٢ـ قال آخرون أن الحفاظ على القرآن من اللحن أهم من مسألة التنقيط في القرآن خصوصاً وأنها لا تمس القرآن بشيء ، يقول الجرجاني (تـ٤٠٣هـ):وأما النقط فيجوز لأنه ليس له صورة فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً وإنما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها[١٠].

٣ـ ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك وقالوا باستحباب التنقيط قال النووي (٦٧٦هـ) نقط المصحف وشكله مستحب لأنه صيانة له من اللحن والتحريف[١١].

١ـ التوبة: ٩١.

٢ـ فاطر: ٤٣.

٣ـ الفتح: ٢٣.

٤ـ فاطر: ٤٠.

٥ـ محمد(ص): ١٤.

٦ـ المؤمنون: ٢٤.

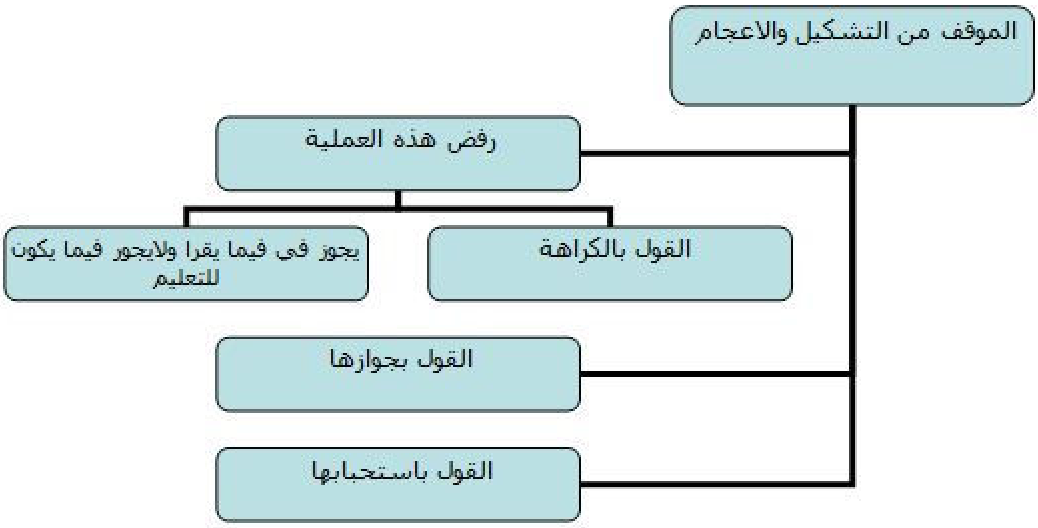
٧ـ المؤمنون: ٣٣.

[٨] الهيثمي، مجمع الزوائد: ج٧ ص١٥٨.

[٩] الاتقان: ج١ ص٢٩١.

[١٠] الاتقان: ج١ ص٢٩١.

[١١] المصدر نفسه.


الموقف من التشكيل والاعجام
رفض هذه العملية
القول بالكراهة
يجوز في فيما يقرا ولايجور فيما يكون للتعليم
القول بجوازها
القول باستحبابها

الخلاصة:

١ـ ان أساليب الإنشاء والكتابة قد تختلف القاعدة القاضية بضروة مطابقة المنطوق للمكتوب ، ولكن يبدو ان اهل الفن وافقوا بذلك في بعض الاحيان ما دام الإصطلاح العامّ جارياً عليه، ولم يسبّب اشتباهاً أو التباساً في المراد.

٢ ـ ذكروا عدة وجوه لتبرير الاخطاء الاملائية في المصحف :

اولا : القران ـ في الواقع ـ يقرأ ولايكتب فما دامت القراءة محفوظة فلاضير في ذلك .

ثانيا : ان الانكار واقع على الكتبة الاوائل وليس على النص القراني لانه محفوظ بنص الكلام الالهي .

ثالثا : ان غض الطرف عن الاخطاء الاملائية تكريما للكتبة الاوائل ،وينفع ايضا في تاييد صيانة القران من التحريف .

٣ ـ هناك ثلاث مواقف من عملية التنقيط والاعجام وهي : رفض هذه العملية ، والقول بجوازها ، والقول باستحبابها.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٢٨)

الإناقة والتجويد

المقدمة:

لم يزل القرآن ـ منذ الصدر الأوّل ـ في طور التجويد والتحسين، لا سيّما في ناحية كتابته وتجميل خطّه من جميل إلى أجمل. وقد أسهم الخطّاطون الكبار في تجويد خطّ المصاحف وتحسين كتابتها. وأوّل من تنوّق في كتابة المصحف وتجويد خطّها، هو خالد بن أبي الهياج ـ صاحب أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ـ (م ح١٠٠ هـ) وكان مشهوراً بجمال خطّه وكمال ذوقه. ويقال: إنّ سعداً ـ مولى الوليد وحاجبه ـ اختاره لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦) فكان هو الذي خطّ قبلة المسجد النبويّ بالمدينة بالذهب من سورة الشمس إلى آخر القرآن[١].

١ـ تاريخ اليعقوبي: ٣/٣٠و٣٦.

المحتوى العلمى :

انواع الخطوط التي دوّن بها المصحف الشريف

لقد تعددت الخطوط التي كتب بها القران الكريم ، فكان الخطّاطون يكتبون المصاحف بالخطّ الكوفي حتّى أواخر القرن الثالث ثمّ حلّ محلّه خط النسخ الجميل في أوائل القرن الرابع على يد الخطّاط الشهير محمد بن علي بن الحسين بن مُقْلَة (٢٧٢ ـ ٣٢٨). وقد بلغ الخطّ العربي ذِروته في الجودة والحسن في القرن السابع على يد الخطّاط المستعصمي ياقوت بن عبد الله الموصليّ (٦٨٩م).

وهكذا صارت المصاحف تكتب على أُسلوب خطّ ياقوت حتّى القرن الحادي عشر. ومنذ مفتتح القرن الثاني عشر اهتمّ الأتراك العثمانيّون بالخطّ العربي الإسلامي فجعل الخطّ العربي يتطوّر على أيدي الخطّاطين الفرس الّذين استخدمهم العثمانيُّون في امبراطوريّتهم. وقد نقل السلطان سليم جميع الخطّاطين إلى عاصمته، وأضافوا للخطّ العربيّ أنواعاً جديدة لا زالت تستعمل في الكتابات الدارجة كالخطّ الرقعي والخطّ الديواني والخطّ الطغرائي والخطّ الإسلامبولي وغيرها.

أمّا طباعة المصحف الشريف فقد مرّت ـ ككتابته خطاً ـ بأطوار التجويد والتحسين. وأوّل دولة إسلاميّة قامت بطبع القرآن، هي إيران[1]. طبعت طبعتين حجريّتين ومنقّحتين في حجم كبير مع ترجمة موضوعة تحت كلّ سطر من القرآن ومفهرستين بعدّة فهارس. إحداهما كانت في طهران ِسنة١٢٣٤هـ والأُخرى في تبريز سنة١٢٤٨هـ.

١ـ الدكتور صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٩٩.

الخلاصة:

١ ـ اول من كتب القران هو خالد بن أبي الهياج ـ صاحب أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ، وكان مشهوراً بجمال خطّه وكمال ذوقه .

٢ ـ لقد كتب القران بخطوط عديدة منها الخط الكوفي والنسخ ، وقد بلغ ذروة حسنه وجماله على يد الخطاط ياقوت بن عبد الله الموصلي .

٣ ـ وقد تطوّر الخط العربي ايضا على أيدي الخطّاطين الفرس الّذين استخدمهم العثمانيُّون في امبراطوريّتهم .

٤ ـ اول دولة طبعت القران هي ايران ، حيث قام بطباعته مرتين : الاولى : في طهران ، والثانية : في تبريز.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ٢٩)

نشوء القراءات وتطوّرها

المقدمة:

ذكرنا سابقا أنّ الجماعة الّذين انتبدهم عثمان لمسألة توحيد المصاحف، لم يكونوا أكفاء لهذا الأمر الخطير، ومن ثمّ وقعت في نفس تلك المصاحف أخطاء إملائية وحصل فيها وبعض الاختلاف والتناقض، الأمر الذي أعاد على المسلمين اختلافهم في قراءة القرآن. ورغم ماقام به عثمان من ارسال مقرئ مع كل مصحف ليقرأه على الناس على ضوء الثبت الموحّد في تلك المصاحف، على اعتبار أنّها كانت موحّدة ، الا انه لم يمنع من حصول محذور الاختلاف واللحن في ايات القران نظراً لوجود الاختلاف في ثبت تلك المصاحف، مضافاً إلى عوامل أُخرى ساعدت على هذا الاختلاف[1].

١ـ راجع: تهذيب الأسماء للنووي: ق١، ص٢٥٧.

المحتوى العلمى :

عوامل نشوء الاختلاف

لا شك في أنّ اختلاف مصاحف الأمصار كان أهمّ عوامل نشوء الاختلاف القرائي. لان نشأ اختلاف قراءة الأمصار كان قبل اختلاف القرّاء ، فكانوا يقولون: قراءة مكّة، قراءة الشام، قراءة المدينة، قراءة الكوفة، قراءة البصرة، وهكذا .

الى جانب ذلك كانت هناك عوامل أُخرى ساعدت على هذا الاختلاف نذكر منها ما يلي:

١. بداءة الخطّ:

كان الخطّ عند العرب في ذلك الزمان في مرحلة بدائيّة، ومن ثمّ لم تستحكم أُصوله ولم تتعرّف العرب إلى فنونه والإتقان من رسمه وكتابته الصحيحة، وكثيراً ما كانت الكلمة تكتب على غير قياس النطق بها. كانوا يكتبون الكلمة وفيها تشابه واحتمال وجوه، فالنون الأخيرة كانت تكتب بشكل لا يفترق عن الراء وكذا الواو عن الياء. كما ربّما كانوا يفكّكون بين حروف كلمة واحدة فيكتبون الياء منفصلة عنها كما في «يَسْتَحْيي» أو يحذفونها رأساً كما في «إيلافِهِم» كتبوها «إلافِهِم» بلا ياء. الأمر الذي أشكل على بعض القرّاء واختلف القراءات. ولذلك قرأ بعضهم: «لِيْلافِ قريشٍ» بحذف الهمزة وإثبات الياء. و«إلافِهِم رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيفِ» بإثبات الهمزة وحذف الياء. وقرأ بعضهم «ألْفِهِم» بالهمزة وسكون اللام.

٢. الخلوّ عن النقط:

كان الحرف المعجم يكتب كالحرف المهمل بلا نقط فلا يفرّق بين السين والشين في الكتاب ولا بين العين والغين أو الراء والزاي و... فكان على القارئ نفسه أن يميّز بحسب القرائن الموجودة أنّها باء أو ياء...

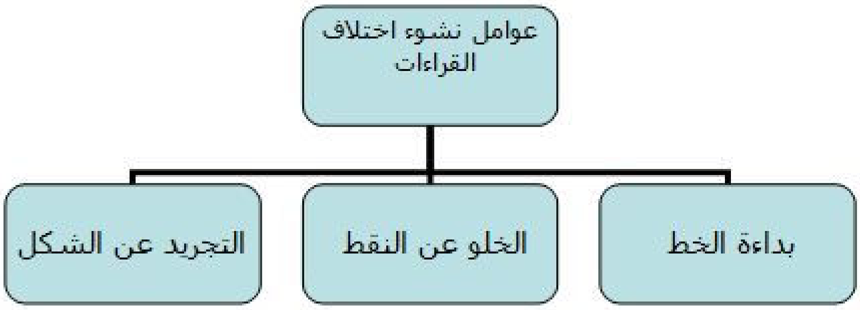
من ذلك قراءة ابن عامر وحفص: (وَيُكَفِّرُ عَنكُم)[١] وقرأ الباقون: «نُكَفِّرُ».

٣. التجريد عن الشكل:

كانت الكلمة تكتب عارية عن علائم الحركات القياسيّة في وزنها وفي إعرابها وربّما

١ـ البقرة: ٢٧١.

يحتار القارئ في وزن الكلمة وفي حركتها فيما إذا كانت الكلمة محتملة لوجوه، مثلاً: لم يكن يدرى «اعلم» أمر أم فعل مضارع متكلم. قرأ حمزة والكسائي: «قالَ اعْلَمْ أنّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ»[1] بصيغة الأمر وقرأ الباقون بصيغة المتكلّم.



[1] ـ البقرة: ٢٥٩.

الخلاصة:

١. رغم ما قام به عثمان من ارسال مقرئين مع كل مصحف الا ان ذلك لم يمنع من وقوع الاختلاف في القران ؛ لانه في نفس المصحف الموحد لحن وتفاوت.

٢. ان الاختلاف ف مصاحف الامصار هو السبب الرئيسي الذي كان وراء اختلاف القراءات، حتى تعددت القراءات بتعدد الامصار ، فيقال : قراءة المدينة وقراءة الشام وقراءة البصرة .....

٣. من الاسباب الاخرى التي ادت الى حدوث الاختلاف بين قراءةواخرى هي :

بداءة الخط و اساليب الكتابة ، و خلو النص القراني من التنقيط ، وتجرده عن الشكل.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٠)

اسباب اخرى فى تعدد القراءات

المقدمة:

بينا في الدرس السابق ظاهرة نشوء الاختلاف في القراءات وتعددها ، ولاهمية هذا البحث افرد المتعرضون للدراسات القرانية مباحث عديدة من اجل معالجة هذه الظاهرة او التسليم بها كلون من الوان عذوبة النص القراني وطراوته ، وكيف كان رأيهم فان هناك مجموعة من الاسباب والدوافع التي كانت وراء ظهور هذا التفاوت ذكرنا ثلاثة منها واليك باقي الاسباب:

المحتوى العلمى :

٤ – إسقاط الألفات:

كان الخطّ العربيّ الكوفيّ منحدراً عن خطّ السريان وكانوا لا يكتبون الألفات الممدودة في ثنايا الكلم، وقد كتبوا القرآن بالخطّ الكوفي على نفس المنهج. الأمر الذي أوقع الاشتباه في كثير من الكلمات. قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير: «وما يُخادِعُونَ إلاّ أنْفُسَهُم»[١]، نظراً إلى أنَّ يخادعون في صدر الآية قد كتب بلا ألف فزعموهما من باب واحد.

أضف إلى ذلك بعض الزيادات المخلّة بالمقصود إذا لم يكن القارئ عارفاً بأصل النصّ من سماع خارج. كما في قوله تعالى: (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ)[٢]. فزادوا ألفاً أثناء كلمة واحدة فربّما يحسب القارئ الجاهل بالواقع أنّها لا النافية في حين أنّها لام تأكيد والهمزة حرف المتكلّم والألف زائدة.

٥. تأثير اللهجة:

لا شكّ أنّ كلّ أُمّة ـ وإن كانت ذات لغة واحدة ـ فإنّ لهجاتها تختلف حسب تعدّد القبائل المنشعبة. وهكذا كانت القبائل العربيّة تختلف مع بعضها في اللهجة وفي التعبير والأداء. من ذلك اختلافهم في الحركات، مثل «نستعين» ـ بفتح النون وكسرها ـ قال الفرّاء: هي مفتوحة في لغة قيس وأسد. وغيرهم يقولونها بكسر النون[٣]. واختلافهم في الحركة والسكون، مثل قولهم: «معكم» بفتح العين وسكونها. واختلافهم في الإعراب نحو «ما» النافية، فإنّها غير عاملة عند تميم وعاملة عمل ليس عند الحجازيين. وغير تلك من موارد الاختلاف.

١ـ البقرة: ٩.

٢ـ النمل: ٢١.

٣ـ أنظر كتاب سيبويه: ٢/٢٥٧.

٦. تحكيم الرأي والاجتهاد:

هذا أكبر العوامل تأثيراً في اختيارات القرّاء، كان لكلّ قارئ رأي يعتمده في القراءة التي يختارها وكانوا ـ أحياناً ـ مستبدّين بآرائهم ولو خالهم الجمهور أو أهل التحقيق. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ)[١] بالتنوين والرفع. وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين. قال مكّي: وجه القراءة الأولى: أنّ «لا» بمعنى «ليس» والخبر محذوف. ووجه الثانية: أنّ «لا» نفي للجنس دلالة على النفي العامّ. لأنّ التي بمعنى ليس لا تنفي إلاّ واحدة والمقصود في الآية العموم[٢].

٧. غلتو في الأدب:

من العوامل التي كانت تبعث على اختيار قراءة ـ ولو كانت شاذّة خارجة على المشهور أو مخالفة لرسم الخطّ ـ هو غلّو القارئ فيما اختصّ به من الأدب العربي معجباً بنفسه فيزعم الصحيح فيما رآه، وفقاً للقواعد العربية التي تسلّمها كلّيات لا ينخر من بوجه. من ذلك ما نجده في أبي بكر العطار المقرئ النحوي (٢٦٥ ـ ٣٥٥). كان أعلم دهره بالنحو والقراءة ومن ثمّ لم يكن يتوجّه بالمأثور من القراءات وكان يختار لنفسه قراءة يراها صحيحة ومناسبة في سياق معنى الآية ففي قوله تعالى: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا)[٣]. قرأ «نَجِباً»[٤] جمع «نجيب». فكان مآل أمره أن ثارت عليه ضجّة الفقهاء وحاكمه الأمير، فلم يستطع الدّفاع فأراد ضربه لكنّه استسلم أخيراً فاستتيب[٥].

٨. الشذوذ النفسي:

وهو ما يرجع إلى عللٍ روحيّة، يروم أصحابها الاشتهار بمخالفة المشهور، أو عُقَدٍ نفسيّة تنفجر في وجه الأعراف التقليديّة، فتتمثل في قالب الاختيارات الشاذّة. كما

١ـ البقرة: ١٩٧.

٢ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/٢٨٥ ـ ٢٨٦.

٣ـ يوسف: ٨٠.

٤ـ إعجاز القرآن للرافعي: ٥٧.

٥ـ النشر: ١/١٧.

ذكرنا في أبي بكر العطّار.

٩. عوامل أُخرى:

زعموها ذات صلة بتكييف قراءة القرآن أو اختيار قراءة غير قراءة الآخرين:

أ. زعم خطأ النسخة: زعم بعضهم في قوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ)[١]. أنّها كانت «وَوَصّى رَبُّكَ» فاستمدّ الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصّاد[٢].

ب. تخليط التفسير بالنصّ: كأكثر القراءات المنسوبة إلى ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما، ممّا فيها زيادة ـ تفسيريّة ـ نحو قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [فاختلفوا] فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ)[٣]. هذه الزيادة ترفع إبهاماً عن الآية: هل كانت بعثة الأنبياء سبباً للاختلاف، أم كان العكس؟ وذيل الآية يعيّن هذا الأخير. وجاءت الزّيادة توضّح هذا الجانب أكثر. وربّما جاء قارئ متأخّر فزعمها قراءة خاصّة.

ج. أهداف سياسيّة: قرأ: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ـ بالرّفع ـ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ)[٤] ـ بإسقاط الواو ـ . كان يعتقد اختصاص المهاجرين بالسابقيّة وأنّ فضل الأنصار في متابعتهم. وبذلك صرّح لمن أنكر عليه قراءته هذه[٥].

د. نظرات كلاميّة: قرأ بعض المعتزلة: (وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[٦] بنصب لفظ الجلالة[٧]، زاعماً أنّه تعالى لا يتكلّم على حقيقته.

هـ. عدم معرفة القاري بقواعد اللّغة والأدب: فربّما يلحن في قراءة القرآن ويعدّ ذلك

١ـ الإسراء: ٢٣.

٢ـ الإتقان: ١/١٨٠. والدر المنثور: ٧/١٧٠.

٣ـ البقرة: ٢١٣.

٤ـ التوبة: ١٠٠.

٥ـ أنظر: تفسير الطبري: ١١/٧

٦ـ النساء: ١٦٤.

٧ـ الإشارات للقسطلاني: ١/٦٦.

قراءة، نظراً لموقعه الاجتماعي المعروف، كقراءات منسوبة إلى أبي حنيفة ـ وهو مشهور باللّحن في كلامه ـ يحكي عنه: أنّه قرأ (إِنَّمَا يَخْشَى اللّهُ ـ بالرّفع ـ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءَ ـ بالنصب ـ)[1]. وتنسب إلى عمر بن عبد العزيز ـ أيضاً ـ[2]. وربّما توجّه بأنّ معنى الخشية ـ في هذه القراءة ـ هو التعظيم والتكريم. وهي محاولة لتوجيه قراءة شاذّة[3].

القراءات من هذا القبيل ساقطة رأساً. والمراد من القراءة في موضوع بحثنا هي التي تبتني على اجتهاد صاحبها، ولو عن خطأ في استنباطه يراه صحيحاً في نظره.

١ـ فاطر: ٢٨.

٢ـ راجع: القرطبي: ١٤/٣٤٤.

٣ـ أنظر: البرهان: ١/٣٤١.

الخلاصة:

الاسباب الاخرى التي ذكرت لتتعدد القراءات هي :

أ. اسقاط الالفات .

ب. تاثر اللهجة .

ج. تحكيم الرأي والاجتهاد .

د. غلوّ في الأدب .

ه. الشذوذ النفسي .

و. زعم خطأ النسخة .

ز. تخليط التفسير بالنصّ .

ح. أهداف سياسيّة .

ط. نظرات كلاميّة .

ي. عدم معرفة القاري بقواعد اللّغة والأدب.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣١)

ضوابط قبول القراءة

المقدمة:

اتضح للطلاب الاعزاء ما مر به النص القراني من ادوار ومراحل عديدة سواء من ناحية الرسم القراني ونوع الخط الذي دون به وكيفية القراءة التي قرأ بها، وبما ان هذه القراءات مختلفة ومتغيرة لها ارتباط وثيق بنفس الاسماع لكلمات الله سبحانه وتعالى ، حاول المهتمين بالدراسات القرانية ان يضعوا مجموعة الضوابط والشروط لتلك القراءات وهذا الدرس وما بعده يتكفل بهذه المهمة.

المحتوى العلمى :

شروط قبول القراءة

ذكر أئمّة الفنّ لقبول القراءة شروطاً ثلاثة: صحّة السند وموافقة الرسم واستقامة وجهها في العربية.

وإذا فقد أحد هذه الشروط تصبح القراءة شاذّة، لا تصحّ القراءة بها، لا في صلاة ولا في غيرها وتسقط عن اعتبارها قراناً رأساً، سواء كانت من السبعة أم من غيرهم.

ونحن إذ كنّا نعتبر القرآن ذا حقيقة ثابتة، مستقلاً بذاته، متغايراً عن القراءات جملة، فإنّ مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» عندنا منحلّة. والقراءة الصحيحة:

> هي التي تتوافق مع النصّ المتواتر بين المسلمين، منذ الصدر الأوّل إلى الآن.

هذا ولم يكن اختلاف القراءات سوى الاختلاف في كيفيّة التعبير عن هذا النّص المحفوظ كاملاً على يد الأمّة عبر الأجيال. وهكذا تعاهد المسلمون نصّ القرآن أُمّة عن أُمّة، نقلاً متواتراً في جميع خصوصيّاته الموجودة، نظماً وترتيباً، ورسماً وقراءة، بكلّ أمانة وإخلاص عبر العصور، معجزة قرآنية خالدة: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]، أي: على يد هذه الأُمّة مع الأبدية.

وتوضيح ذلك يتوقّف على تمهيد مقدّمة نستوضح فيها مسألة «تواتر النصّ القرآني» ثمّ التعرّيج إلى مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» نظراً للعلاقة القريبة بين المسألتين في هذا البحث، وإليك بإيجاز:

تواتر القرآن:

ممّا يبعث على اعتزاز هذه الأمّة، هو تحفّظهم على كتاب الله نصّاً واحداً ـ كما أُنزل على النبي(ص) ـ طول التاريخ. المسلمون ـ على اختلاف آرائهم ومذاهبهم ـ اتّفقوا، منذ الصدر الأوّل ـ عهد الصحابة الأوّلين ـ إلى العصر الحاضر ـ وسيبقى مع الدهر ـ على نصّ القرآن الأصيل، في جميع حروفه وكلماته ونظمه وترتيبه وقراءته. تلقّوه من

١ـ الحجر: ٩.

الرسول الأعظم(ص) وتوارثوه يداً بيدٍ. وما نقرؤه اليوم هو الذي كان يقرؤه المسلمون في العهد الأوّل. حدّث محمّد بن سيرين (١١٠م) عن عبيدة السلماني (٧٣م) قال: «القراءة الّتي عرضت على النبي(ص) في العام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم»[١]. ومن راجع الروايات يشهد بوضوح أنّها تجعل المعيار لمعرفة القراءة الصحيحة هو «قراءة الناس»، وتجعل غيرها شاذّة لا تجوز قراءته بتاتاً أو يضرب عنق قارئها ـ كما هو التعبير في بعضها ـ وليس لسوى أنّه خارج عن قراءة الناس[٢].

ويدلّ ـ أيضاً على تواتر النصّ الموجود ـ من غير أن يؤثّر عليه شيء من اختلاف القراءات ـ تلك المخالفات في رسم الخطّ وربّما كتبت وفق قراءة العامّة وتثبت رغم تقلّبات الدّهور ومرّ العصور. من ذلك قوله تعالى: (لَمْ يَتَسَنَّهْ)[٣]، الهاء زائدة للوقف. كتبت وقرئت هكذا منذ العهد الأوّل وثبتت مرّ الدّهور، قال عبد الله بن هاني البريزي ـ مولى عثمان ـ «كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبي بن كعب فيها: «لَمْ يَتَسَنَّ». وفيها «لا تَبْدِيْلَ لِلْخَلْقِ الله». وفيها «فأمْهِل الكافرينَ». فدعا بدواة فمحى اللامين وكتب «لِخَلْقِ الله». ومحى «فأمْهِلْ» وكتب «فمَهِّلْ». وكتب «لَمْ يَتَسَنَّه» فألحق الهاء»[٤]. ولولا أنّه السماع من رسول الله(ص) لم يكتبها أُبي بالهاء، كما أنّ اختلاف القرّاء فيما بعد وتطّور الكتابة والخطّ كليهما لم يؤثر على تغيير الكلمة عمّا كتبها الأوائل وقرأها السلف، ومن ورائهم عامّة المسلمين عبر الأجيال.

وأيضاً فإنّ قضية تشكيل المصحف على يد أبي الأسود، وتنقيطه على يد تلميذيه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر دليل على أنّ القرآن كان ذا حقيقة ثابتة في صدور المسلمين فجاء تقييدها في المصحف على يد زعماء الأُمّة خشية تحريف من لا عهد له بالقرآن. والمصاحف المرسومة وفق المصطلح الأوّل باقية لا تختلف عن النصّ الموجود.

كما أنّ المخالفات التي جرت على ألسن بعض السلف، وقعت موضع إنكار العامّة وعرفت منذ العهد الأوّل أنّها غير نصّ الوحي، كقراءة أبي بكر لما احتضر: «وجاءت

١ـ الإتقان: ١/٥٠.

٢ـ راجع: المرشد الوجيز: ١٨٠ ـ ١٨١ ومناهل العرفان: ١/٤٥٢.

٣ـ البقرة: ٢٥٩.

٤ـ الإتقان: ١/١٨٣.

سكرةُ الحَقّ بالموتِ»[1]. وأرباب التاريخ ـ المفسرون والمحدّثون ـ رموا ـ منذ ذلك العهد ـ هذه القراءة بالشذوذ المخالف للرسم[2].

فلولا أنّ للقرآن حقيقة ثابتة معهودة عند الجميع لما كان لهذا الغوغاء سبب واضح.

وعليه فالملاك في تعيين القراءة هو:

موافقتها مع النصّ الأصل المحفوظ لدى عامّة المسلمين بشروط نذكر بعضها الان .

ملاك صحّة القراءة:

موافقة القراءة مع النصّ الأصل تتحقّق إذا توفّرت فيها الشروط التالية:

أوّلاً: موافقتها مع الثبت المعروف بين عامّة المسلمين، في مادة الكلمة وصورتها وموضعها من النظم القائم، حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف. ففي مثل قوله تعالى: (فَتَبَيَّنُواْ)[3] من التبيّن و«فَتَثَبَّتُوا» من التثبّت[4]، لا شكّ أنّ الصحيح هو إحدى القرائتين والأُخرى باطلة ، لأنّ المصحف أوّل ما شكّل ونقّط كان تشكيله وتنقيطه على أحد الأمرين وهو الذي كان معروفاً ومتعاهداً بين عامّة المسلمين، ولم يكن أبو الأسود ولا تلميذاه متردّدين في وضع العلائم المذكورة، وثبت الكلمات والحروف وفق مرتكزهم العامّ، كما تلقّوها يداً بيد من غير ترديد أصلاً. وإنّما الاختلاف جاء من قبل اجتهاد القرّاء المتأخّرين، شيئاً خارجاً عن النصّ الأصل المعروف عند عامّة الناس. ومن ثمّ فلمّا سأل فضيل بن يسار، الإمام الصادق(عليه السلام) عن حديث «نزل القرآن على سبعة أحرف» قال: «كذبوا ـ أعداء الله ـ ولكنّه نزل على حرف واحد». ثمّ لتعيين هذا الحرف الواحد جعل الإمام(عليه السلام) المقياس معهود عامّة المسلمين، قال: «اِقْرَأ كما يَقْرأُ الناسُ». وفي رواية أُخرى: «اِقْرَأُوا كَما عُلِّمْتُم»[5]. فجعل المقياس «كما يَقْرَأُ الناسُ» أي: عامّة المسلمين، ولم يعتبر من قراءة القراء شيئاً، والرواية الأُخرى أصرح،

١ـ راجع: تفسير القرطبي: ١٢/١٧ ـ ١٣. في أشهر الروايتين.

٢ـ راجع أيضاً: البرهان: ١/٣٣٥.

٣ـ الحجرات: ٦.

٤ـ قرأ حمزة والكسائي بالثاء وقرأ الباقون بالباء. الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/٣٩٤.

٥ـ راجع: وسائل الشيعة: ٤/٨٢١ ـ ٨٢٢.

«كما عُلِّمْتُمْ» أي: تعاهدتموه جيلاً عن جيل وأُمَّة عن أُمَّة لا قراءة أفرادهم آحاد. فالصحيح من القرائتين هي «فَتَبَيَّنوا» لأنّ ثبت المصحف قديماً وحديثاً والذي تعاهدته الأُمّة هو بالباء والقراءة الأُخرى ساقطة عندنا وغير جائزة إطلاقاً.

وفي مثل قوله تعالى: (حَتَّى يَطْهُرْنَ)[1] ـ ثلاثياً بمعنى انقطاع الدم، أو «يَطَّهَّرْنَ» مزيداً فيه من باب التفعّل على معنى التطهّر بالماء[2] ـ نرجّح التخفيف، لأنّ شرط جواز إتيانهنّ بلا كراهة أمران: انقطاع الدم والاغتسال. وأمّا على قراءة التشديد فيبقى أمر انقطاع الدّم مسكوتاً عنه.

وفي مثل قوله تعالى: (وَجَاءتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقّ)[3]، الذي قرأه أبو بكر: «وجاءت سكرةُ الحقِّ بالموتِ». نرجّح الأُولى لأنّها مشهورة والأُخرى باطلة، لمخالفتها الرسم والمتعاهد بين عامّة المسلمين جميعاً.

١ـ البقرة: ٢٢٢.

٢ـ قرأ الحرميّان وأبو عمرو وابن عامر وحفص مضموم الهاء مخفّفاً. وقرأ الباقون بفتح الهاء مشدّداً. الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٩٤/١.

٣ـ ق: ١٩.

الخلاصة:

١. ذكر العلماء ضوابط ثلاثة لقبول القراءة : صحّة السند وموافقة الرسم واستقامة وجهها في العربية، واذا فقد احدهذه الشروط تكون القراءة شاذه .

٢. مايدل على تواتر النص القراني امور :

أ. اتفاق المسلمين وتظافرهم على نقله واهتمامهم الكبير به .

ب.المخالفات في رسم الخط القراني .

ج. تشكيل المصحف وتنقيطه .

٣ ـ أنّ المخالفات التي جرت على ألسن بعض السلف، وقعت موضع إنكار العامّة وعرفت منذ العهد الأوّل أنّها غير نصّ الوحي .

٤ ـ الملاك في صحة القراءة هو : موافقتها مع النصّ الأصل المحفوظ لدى عامّة المسلمين بشروط احدها ان يتفق مع الثبت الموجود لدى المسليمن .

٥ ـ اقرأ كما يقرأ الناس شعار رفعه الامام الصادق لتصحيح القراءة ، وجعل ماهو المعروف لدى الناس من قراءة هو المعيار.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٢)

تتمة الشروط الخاصة بتوافق القراءة مع الثبت

المقدمة:

كنا قد تعرضنا في الدرس السابق لبحث القراءة الصحيحة وتواترها ، وقلنا ايضا ان هناك شروطا وضوابط لمعرفة القراءة الصحيحة ، وذكرنا ان القراءة الصحيحة حتى تكون كذلك فلابد تتفق مع النص القراني والثبت الاصل ، وهو يتحقق بعدة امور ذكرنا في الدرس الماضي واحدا منها، وفي هذا الدرس سنحاول اكمال ما تبقى منها.

المحتوى العلمى :

تتمة الشروط

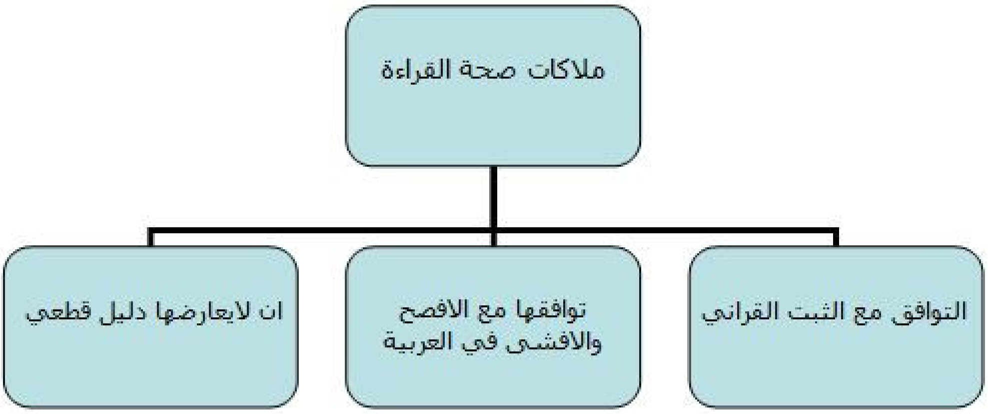
ثانياً: موافقتها مع الأفصح في اللّغة والأفشى في العربية ويعرف ذلك بالمقارنة مع القواعد الثابتة يقيناً من لغة العرب الفصحى. والدليل على ذلك هو أنّ القرآن نزل على أعلى درجة من البلاغة، ويستحيل أن يستعمل كلمة يمجّها الذوق العربي السليم، أو يخالف قياساً تسلّمته العرب الفصحى عادة طبيعيّة متعارفة. فقراءة الحسن «وما تَنَزّلَتْ به الشَّياطُونَ» غلط بلا ريب[1]. توهّم أنّ الشيطانَ يجمع بالواو والنون.

ثالثاً: أنّ لا يعارضها دليل قطعيّ، سواء كان برهاناً عقليّاً أم سنّة متواترة أم رواية صحيحة الإسناد مقبولة عند الأئمّة. فمثل «أرجلِكم» ـ بالخفض ـ وإنْ قرأ بها بعض كبار القرّاء لكنّها مرفوضة حيث كانت معارضة للدليل الأقوى، كما رفضها جمهور المسلمين. وكانت علامة الثبت الأولى والّتي كان عليها ثبت المصاحف هي علامة النصب. أمّا الدليل الأقوى الذي يرجّح النصب على الخفض، فهو اعتبار الاستيعاب ـ طولاً ـ في مسح الأرجل، نظراً لذكر الحدّ ـ بدءً ومنتهىً ـ في الآية الكريمة (من رؤوس أصابع الأقدام إلى الكعبين).

ولتوضيح هذا الجانب ـ من المسألة الفقهيّة المستنبطة من الآية الكريمة ـ لابدّ من تمهيد مقدّمة هي: إنّ مادّة «مسح» يتعدّي بنفسه إلى المفعول به، ولا يحتاج في تعديته إلى إضافة حرف في مدخوله لكن زيادة الباء في هذا الموضع من الآية كانت لنكتة، وهي أنّها لو لم تزد هنا لاستدعى إضافة «مسح» إلى متعلّقه، استيعابَ المسح لمحلّه استدعاءً بالطبع. كما في كلّ فعل أُطلق بالنسبة إلى متعلّقه. كما في «فاغسلوا وجوهَكم» استدعى استيعاب الغَسل لجميع صفحة الوجه طولاً وعرضاً. ومن ثمّ لو لم يقيّد الغَسل في اليدين بقوله «إلى المرافق» لاستدعى استيعاب جميع اليد حتّى المنكب. وعليه فلو لم تزد الباء وقيل «وامسحوا رؤوسَكم» لاستدعى مسح الرأس كلّه نظير الوجه، حرفاً بحرفٍ. فزيدت الباء لتكون دليلاً على كفاية مجرّد المسح الملصق بالرأس، ولو وضع المتوضّي رأس إصبعه على رأسه وجرّها جرّاً خفيفاً، فقد صدق «لصوق المسح بالرأس». والامتثال يقتضي الإجزاء ـ كما في الأُصول ـ ولا امتثال

١ـ راجع: البحر المحيط: ٤٦/٧، الكشّاف: ١٢٩/٣. والقراءات الشاذّة: ١٠٨. قال أبو حاتم: «هي غلط منه أو عليه». وقال النحاس: «هو غلط عند جميع النحويين».

عقيب الامتثال. هذا في الرأس. أمّا في الرِّجل، فلمّا جاء ذكر الحدّ للمسح، كان ذلك دليلاً على إرادة استيعاب ما بين الحدّين (رؤوس أصابع القدم، الكعبين) طولاً. ومن ثمّ فإنّه معطوف على مدخول «وامسحوا» بلا زيادة الباء، أي محلّ المجرور وهو النصب. نعم ليس النصب عطفاً على مدخول «فاغسلوا» ـ كما زعمه القائل بوجوب غَسل الأرجل ـ استناداً إلى قراءة النصب في الآية، وهو فهم مخطأ واستنباط معوجّ، بعد ملاحظة أنّ العطف مع الفصل بالأجنبي مرفوض أو مرجوح في اللغة ولا يحمل عليه القرآن الكريم.



القراءة المختارة:

أمّا القراءة التي نختارها ـ والتي تجمّعت فيها شرائط القبول أجمع ـ فهي :

> قراءة عاصم برواية حفص بالخصوص، لأنّها القراءة التي كان عليها جماهير المسلمين وتلقّوها يداً بيدٍ منذ الصدر الأوّل حتى توالي العصور. وستأتي مزايا أُخرى حوتها هذه القراءة بالذات دون غيرها من سائر القراءات.

لكن الشائع بين الفقهاء هو جواز القراءة بالسبع في الصلاة وغيرها، الأمر الذي يمكن توجيهه على مشارب فقهاء العامّة، إمّا لأجل تواترها عندهم ـ كما يراه البعض ـ أو لانطباق حديث الأحرف السبعة عليها، حسبما زعمه آخرون. لكن الأمر يشكل على مباني فقهائنا الإماميّة الّذين يرون القرآن واحداً نزل من عند واحد. إذن فما وجه

تجوزيهم القراءة بالسبع وغيرها؟

عمدة الاستدلال على جواز الأخذ بالقراءات المعروفة تتلخّص في:

١ـ سيرة المسلمين على الأخذ بها.

٢ـ إجماع الفقهاء على جواز ذلك.

٣ـ تظافر النصوص الواردة عن الأئمة^ في الأمر بالعمل بما عند الناس والمعروف لدى المسلمين.

الخلاصة:

١. ملاكات صحة القراءة ثلاثة : ان توافق الثبت القراني . موافقتها للافصح في العربية . ان لا تخالف دليلا قطعيا .

٢. القراءة الصحيحة هي قراءة عاصم برواية حفص بالخصوص، لأنّها القراءة التي كان عليها جماهير المسلمين وتلقّوها يداً بيدٍ منذ الصدر الأوّل حتى توالي العصور .

المشهور بين الفقهاء قبولهم للقراءات السبعة ، وهذه الموافقة لاتخلو من ثلاثة اسباب: سيرة المسلمين ، اجماع الفقهاء ، تظافر النصوص.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٣)

وجوه اختلاف القراءات

المقدمة:

قبل التعرض الى محور هذا الدرس علينا ان نميز اولا بين صورة الكلمة وبين معنى الكلمة ؛ فمرة تكون صورة الكلمة واحدة ومعناها مختلف واخرى بالعكس ، ومثاله : ننشزها وننشرها ، فالصورة واحدة والمعنى مختلف ، واخرى يكون المعنى واحد والصورة مختلفة ، مثل : العهن المنفوش والصوف المنفوش .فلو ميزننا بين الاثنين سهل علينا هذا الدرس ، لان اغلب الوجوه التي سنذكرها تدور حول هذه النقطة.

المحتوى العلمى :

الوجوه التي اوردها ابن قتيبة

قال ابن قتيبة: قد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

الأوّل: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها... نحو قوله تعالى: (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ)[1] ـ بضمّ الباء وسكون الخاء ـ و«البَخَل» ـ بفتح الباء والخاء ـ[2].

الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب. نحو قوله تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِنَتِكُمْ)[3] ـ بتشديد القاف ـ و«تَلْقُوْنَهُ» ـ بالتخفيف ـ[4].

الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: (وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا)[5] و«نُنْشِرُها»[6].

الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى: (كَالعِهْنِ المَنفُوشِ)[7] و«كالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ»[8].

الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: (طَلْحٍ مَّنضُودٍ)[9] و«طَلْعٍ مَنْضُودٍ»[10].

السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ)[11]. «وجاءَتْ سكرةُ الحَقِّ بالموتِ»[1].

١ـ النساء: ٣٧.

٢ـ هي قراءة حمزة والكسائي. والأولى قراءة الباقين. الإتحاف: ص٣٥٩.

٣ـ النور: ١٥.

٤ـ الثانية قراءة ابن السميقع. القرطبي: ٢٠٤/١٢. والقراءات الشاذّة: ١٠٠.

٥ـ البقرة: ٢٥٩.

٦ـ الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والثانية قراءة الباقين. الاتحاف: ص١٦٢.

٧ـ القارعة: ٥.

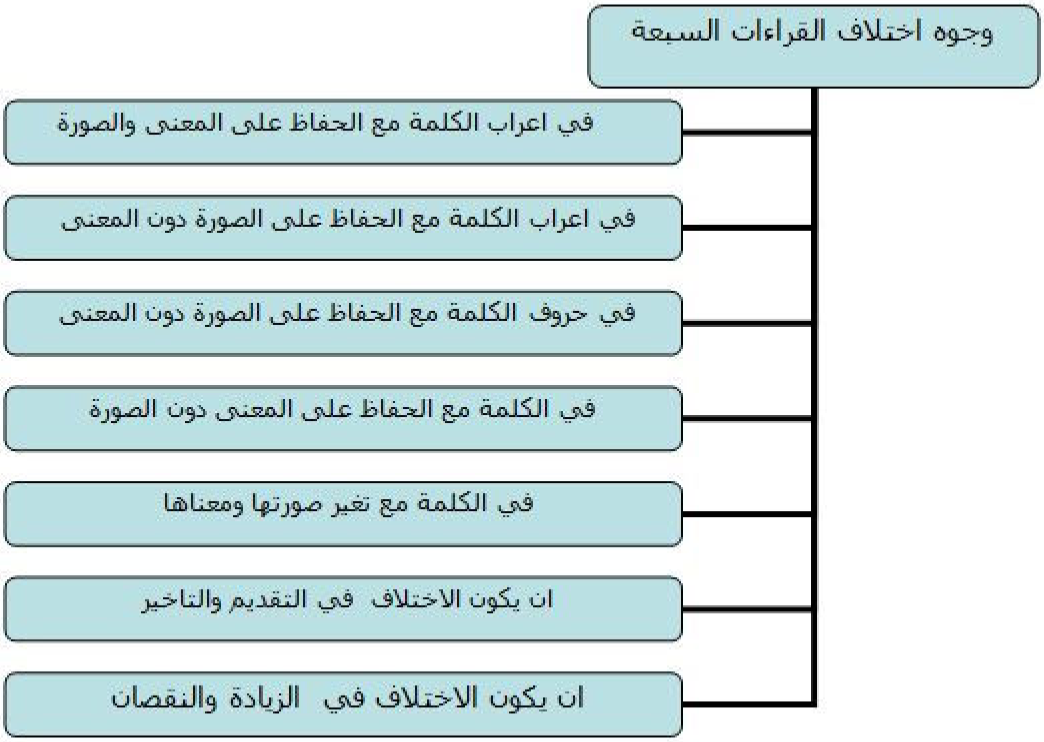
٨ـ الثانية قراءة ابن مسعود. الكشاف: ٥٥٨/٢.

٩ـ الواقعة: ٢٩.

١٠ـ الثانية منسوبة إلى أمير المؤمنين×. القراءات الشاذّة: ١٥١. وراجع: تفسير القرطبي: ٢٠٨/١٧.

١١ـ ق: ١٩.

السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)[2] و«ما عَمِلَتْ أيْدِيْهِمْ»[3].



١ـ الثانية قراءة أبي بكر عند ما حضرته الوفاة في قصّة مع ابنته عائشة. راجع: القرطبي: ج١٧، ص١٢ـ١٣. والقراءات الشاذّة: ص١٤٤.

٢ـ يس: ٣٥.

٣ـ الثانية في مصاحف أهل الكوفة. راجع: الكشّاف: ٢٥٢/٢.

الخلاصة:

اورد ابن قتيبة مجموعة من الوجوه التي تميز قراءة عن اخرى تتمحور حول اعراب الكلمة و شكلها و حروفها مما يسبب التغير اما بمعنى الكلمة او في صورتها ، اويكون التغير بمعنى الجملة كما في وجه التقديم والتاخير.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ٣۴)

الاعجاز لغة واصطلاحاً

المقدمة:

يمكن القول وبظرس قاطع ان الصفة البارزة في القران الكريم هو كونه معجزا و هي الصفة التي لايمكن انفصالها عن القران باي وجه من الوجوه ، والا خرج عن كونه كتابا سماويا واصبح كتابا عاديا يناوله الجميع ، ولاهمية الاعجاز ودوره في تبليغ الدعوة وصدق النبوة وما يلعبه من دور عضيم في اظفاء المنزلة الرفيعة والقيمة الكبرى لهذا الكتاب العزيز نشاهد تصنيفا كبيرا فيه واهتماما بالغا من قبل كبار علماء المسلمين من اجل الوقوف على معانية ومصاديقة ، وسنحاول في هذا الدرس الوقوف على معناه وتعريفه.

المحتوى العلمى :

الاعجاز لغة

يطلق الاعجاز في اللغة على اثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء، فعندما يقال، اعجز فلانا عن الامر، اذا حاول تحقيقه فلم يحققه، والاعجاز ضد القدرة، وهو زوال القدرة عن الاتيان بالشيء من عمل او رأي او تدبير.[1]

وقال في « معجم مقاييس اللغة»:

«العين والجيم والزاء اصلان صحيحان يدل احدهما على الضعف، والاخر على مؤخر الشيء... فالاول: عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز اي ضعيف ويقولون العجز في فلان اذا عجزت عن طلبه وادراكه»[2].

وقال ابن منظور: الاعجاز هو الفوت والسبق بالنظر الى حال المُعجِز وهو الضعف بالنظر الى حال العاجز[3].

وجمع الراغب الاصفهاني بين معاني الاعجاز اللغوية بالقول:

«العجز آصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عَجُز الامر اي مؤخِّرة... وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء, وهو القدرة قال: « أعجزت ان اكون»،٤ واعجزتُ فلانا وعجَّزته وعاجزته، جعلته عاجزاً، قال: « واعلموا انكم غير معجزي الله»[5]، « وما انتم بمعجزين في الارض»،٦ « والذين سعو في اياتنا معجزين».[7]»[8]

---

[1]. بصائر ذوي التمييز، الفيروز ابادي، ج١، ص٦٥.
[2]. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا، مادة ع ج ز.
[3]. لسان العرب، ابن منظور، مادة ع ج ز.
[4]. المائدة: ٣١.
[5]. التوبة: ٢.
[6]. العنكبوت: ٢٢.
[7]. سبأ: ٥.
[8]. مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، مادة ع ج ز.

ونقل الزبيدي في « تاج العروس»:«أعجزه: صيره عاجزاً، اي عن ادراكه واللحوق به.»[1]

نتيجة المعنى اللغوي لمصطلح الاعجاز

المتأمل في المعاني اللغوية المتقدمة يجدها تدور حول معاني عدة منها:

١ـ عدم القدرة .	٢ـ الضعف .	٣ ـ الانقطاع .

الاعجاز اصطلاحاً

يمكن تعريف الاعجاز في الكلام بانه اداء الكلام بطريقه واسلوب يصل الى حد يفوق فيه كل الطرق والاساليب بلاغة، وهذا المعنى للاعجاز شامل لكل كلام، بشكل مطلق من دون اضافة، اي من دون النظر الى نسبة هذا الكلام سواء كان لله تعالى او للبشر.

المعجزة لغة واصطلاحاً

المعجزة لغة

الاعجاز الذي تكلمنا عليه سابقاً هو المصدر، واما المعجزة فهي اسم فاعل من الاعجاز وهي للانبياء خاصة، والهاء فيها للمبالغة والجمع المعجزات.[2]

ونقل القاضي عياض سببا لتسمية المعجزة فقال:

«واعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان

---

[1]. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى زبيدي (١٢٠٥)، مادة عجز.

[2]. تاج العروس من جواهر القاموس، مادة عجز.

بمثلها»[١].

المعجزة اصطلاحاً

والمعجزة ـ في مصطلحهم ـ تطلق على كلّ أمرٍ خارق للعادة، إذا قرن بالتحدّي وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه ليكون دليلاً على صدق رسالتهم.

فقد عرفت بتعاريف عديدة ومتنوعة اختلفت في ما بينها باضافة الشروط وحذفها، وسنحاول ذكر مقدار منها مع قائليها وهي كالتالي:

١. عرفها السيوطي بانها: امر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.[٢]

٢. ابن خلدون قال: ان المعجزات أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة، وليست في مقدور العباد، وانما تقع في غير محل قدرتهم.[٣]

٣. نصيرالدين الطوسي: هو ثبوت ما ليس بمعتاد او نفي ما هو معتاد مع خرق العادة، ومطابقة الدعوى.[٤]

٤. القوشجي: هو الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارضة.[٥]

٥. القرطبي: سميت معجزة لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها وشرائطها خسمة، فان اختل منها شرط لا تكون معجزة... وشروطها:

أ) ان تكون لما لا يقدر عليها الا الله سبحانه.

ب) ان تخرق العادة.

ت) ان يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عزوجل.

---

١. الشفا بتعريف حقوق لمصطفى(ص)، القاضي عياض، ج١، ص٣٤٩، تحقيق لاستاذ علي محمد البجاوي، مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢. الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٢، ص١١٦، ط القديمة.

٣. المقدمة، ابن خلدون، ص٩٠، طبع دار الشعب.

٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، ص٢١٨، ط صيداء.

٥. شريح التجريد، القوشجي، ص٤٦٥.

ث) ان تقع على وفق دعوى المتحدي بها.

ج) ان لا يأتي احد بمثلها على وجه المعارضة.[1]

٦. عرفها البلاغي: المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته.[2]

أ) السيد باقر الحكيم: المعجزة: هي أن يحدث تغييراً في الكون ـ صغيراً أو كبيراً ـ يتحدى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحسّ والتجربة.[3]

هذه مجموعة من التعاريف الكلامية للمعجزة وكلها تشير الى معنى واحد وان اضيف في بعضها شروط اضافية ولكنها لم تكن قريبة الى تعريف المعجزة التي نتحدث عنها للانبياء.

وارى أقرب تعريف ذُكر هو تعريف السيد الخوئي• يقول: المعجزة: هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الالهية بما يخرق نواميس الطبيعية ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه.[4]

---

[1]. الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ج١، ص٦٩ ـ ٧٧، مؤسسة الاعلى، بيروت.

[2]. الرحمن في تفسير القرآن، البلاغي، ج١, ص٣، دار احياء التراث العربي.

[3]. علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ص١٢٧، ونسب ذلك البحث والتعريف للشهيد الصدر، مجمع الفكر الاسلامي.

[4]. البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص٣٣، دار الثقلين.

الخلاصة:

١. الاعجاز في اللغة : اثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء ، وتدور التعاريف اللغوية التي فسرت الاعجاز حول ثلاثة معان اساسية :

١ ـ عدم القدرة . ٢ـ الضعف . ٣ ـ الانقطاع .

٢. الاعجاز في الكلام اصطلاحا : هو اداء الكلام بطريقه واسلوب يصل الى حد يفوق فيه كل الطرق والاساليب بلاغة .

٣. المعجزة في اللغة : هي مايعجز الخلق عن الاتيان بمثلها ، فهي اسم فاعل من الاعجاز وهي للانبياء خاصة .

٤. المعجزة اصطلاحا : هي كلّ أمرٍ خارق للعادة، إذا قرن بالتحدّي وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه ليكون دليلاً على صدق رسالتهم.

ان اقرب التعاريف هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الالهية بما يخرق نواميس الطبيعية ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٥)

المراحل والادوار التى مر بها بحث الاعجاز

المقدمة:

عند قرائتنا للقران الكريم وعندما نتمعن في ايته الشريفة لا نشا هد أي اثر لمصطلح المعجزة والاعجاز او مصطلح خارق للعادة وما شابه ذلك ، بالتالي فالقران لم يستخدم شيئا من هذه المصطلحات التي نشاهدها اليوم ، لكن هذه المصطلحات انطلقت من افواه المفكرين والباحثين في الشؤون القرآنية، وظهر هذا المبحث في النصف الثاني من القرن الثاني حتى بدأت الكتابات تتكثر شيئاً فشيئاً.

المحتوى العلمى :

اسباب انحسار الكتابات القرانية في العهد القرون الاولى

لقد ذكر الدكتور احمد جمال العمري سببين لذلك:

الاول: ضعف العقلية الاسلامية عن هذه المسائل الدقيقة.

الثاني: نظرة الاجلال والتقديس التي كانوا ينظرون بها للقرآن ، بحيث يمنعهم عن الخوض في مثل هذه الامور .[1]

ولكن المتأمل في تلك الفترة يمكن له ان يضيف لهذين السببين اسباب اخرى تمثلت في الصراعات التي حدثت بين المسلمين في العصور الاولى وانشغالهم بالحروب والغزوات وما شابه ذلك.

وفي نهاية القرن الثاني بدأت الكتابات في اعجاز القرآن تظهر بشكل اكثر سعة، حيث كتب ابوعبيدة معمر بن مثنى (م٢٠٩) كتاب اعجاز القرآن.

ثم بدأت الكتابات في هذا العنوان، وسنحاول ان نذكر هذه الكتابات بشكل متسلسل وفق المرحلة الزمنية لذلك.

١. الجاحظ، ابوعثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥) له كتاب اسمه « نظم القرآن» وذكر الاعجاز في هذا الكتاب، ويذهب الى ان اعجاز القرآن في النظم والتأليف، ورد على شيخه واستاذه ابراهيم بن سيار النظام (ت٢٢٤) الذي ذهب الى ان الاعجاز متحقق بسبب نظرية الصرفة.

٢. ابوسليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ت٣٨٨) له كتاب « بيان اعجاز القرآن»، وذهب فيه الى ان الاعجاز متحقق في اللفظ القرآني باعتباره افصح الالفاظ، في احسن نظوم التأليف، مضمنا اصح المعاني.[2]

ثم التفت الى وجه اخر في الاعجاز وهو «صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس...

[1]. مفهوم الإعجاز القرآني، د. أحمد جمال العمري: ص٤٢ ـ ٤٣، دار المعارف القاهرة.

[2]. بيان اعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، ص٢٧، طبع ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧.

تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور... فكم من عدو للرسول (ص) من رجال العرب وفتاكها اقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا ايات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم ان يتحولوا عن رأيهم الاول، وان يركنوا الى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوئهم موالاة، وكفرهم ايماناً.»[1]

٣ ـ ابوالحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦) له كتاب « النكت في الاعجاز القرآن» وذكر سبع جهات للاعجاز هي:

أ) ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

ب) التحدي للكافة.

ج) الصرفة.

د) البلاغة.

ه) الاخبار الصادقة عن الامور المستقبلة.

و) نقض العادة.

ز) قياسة بكل معجزة.

٤ـ ابوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣) وله كتاب « اعجاز القرآن» وذكر الاعجاز من وجوه ثلاث:

أ) اخبار عن الغيبيات.

ب)قصص الاولين واخبار الماضين.

ج) انه بديع النظم وعجيب التأليف.[2]

د)ابوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١) له رسالة اسمها «الرسالة الشافية» ذكر فيها الاعجاز وله كتاب « دلائل الاعجاز» واشار الى النظم وعجيب التأليف.[3]

---

[1]. المصدر اعلاه، ص٧٠.

[2]. اعجاز القرآن، الباقلاني، ص٣٣ ـ ٣٥، تحقيق السيد احمد صقر، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

[3]. دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص٣٩١.

٥ ـ القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤) له كتاب اسمه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى» وحدد وجوه الاعجاز في اربع:

أ) حسن التأليف.

ب) النظم العجيب والاسلوب الغريب.

ث) الاخبار بالمغيبات.

ج) اخباره عن القرون السابقة.

وجوه اخرى ذكرت في الاعجاز منها.[١]

أ) علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣) ذهب الى ان الاعجاز في النظم والاسلوب، وفصل بين الاعجاز وبين ما تحدى به الكتاب، حيث جعل الاعجاز بديع النظم وغرابة الاسلوب، واما الاخبار عن المغيبات واخبار القرون الماضية وما يتعلق بالخلق والارض والسماء في رأيه ليس مما تحداهم به، وانما هذه الامور تدل على صدق الرسول(ص).[٢]

ب)ابو عبدالله محمد بن احمد القرطبي (ت٦٨٤) حيث جعل وجوه الاعجاز عشرة ذكرها في جامعة.[٣]

ج) الزركشي بدر الدين (ت٧٩٤) ذكر وجوه متعددة في البرهان.[٤]

د) السيوطي جلال الدين (ت٩١١) له كتاب « الاتقان في علوم القرآن» والف كتاب:« معترك الاقران في اعجاز القرآن» وذكر وجوه كثيرة للاعجاز.

اسم المؤلف	اسم الكتاب	وجوه الاعجاز

[١]. الشفا، عياض بن موسى، ج١، ص٥٢٦ وما بعدها، تحقيق محمد امين قره على واخرين، ط٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧.

[٢]. اجمال القراء وكمال الاقراء، السنحاوي، ص٤٤، تحقيق د. علي حسين البواب، ط١، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٤٠٨.

[٣]. الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ص٧٣، دار الفكر طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

[٤]. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٢، ص١٠٦، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، ط٢، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٢.

الجاحظ، ابو عثمان	نظم القرآن	النظم والتاليف
ابوسليمان الخطابي	بيان اعجاز القران	تحقق الاعجاز في اللفظ القراني
ابو الحسن الرماني	النكت في اعجاز القران	سبعة: منها الصرفة والبلاغة ونقض العادةو ..
ابو بكر الباقلاني	اعجاز القران	ثلاثة: منها الاخبار عن الغيب و ..
ابو بكر الجرجاني	الرسالة الشافية ، دلائل الاعجاز	النظم وعجيب التاليف
القاضي عياض بن موسى	الشفا بتعريف حقوق المصطفى	اربعة: منها حسن التاليف والاخبار بالمغيبات
علي بن محمد السخاوي	_	النظم والاسلوب
ابو عبدالله القرطبي	_	عشرة ذكرها في جامعه
بدر الدين الزركشي	البرهان في علوم القران	ذكر وجوه متعددة
جلال الدين السيوطي	الاتقان في علوم القران ومعترك الاقران في اعجاز القران	وجوه كثيرة

جدول بياني يعرض بعض مادون عن الاعجاز من القرن الثاني الى العاشر الهجري

التحدّي ومراحله:

لقد تحدّى القرآن عامّة العرب، فحاولوا معارضته ولكن لا بالكلام، لعجزهم عنه، بل بمقارعة السيوف وبذل الأموال والنفوس، دليلاً على فشلهم عن مقابلته بالبيان. وربّما كانوا ـ في بدء الأمر ـ استقلّوا شأنه، حيث قالوا: (لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا

أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ)[١]، و(إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ)[٢]، و(إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)[٣]، و(مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ)[٤]، إلى أمثالها من تعابير تكشف عن سخف أوهامهم. لكن سرعان ما تراجعت العرب إلى أعقابها فانقلبوا صاغرين، وقد ملكتهم روعة هذا الكلام وطغت عليهم سطوته، متهكّماً بموقفهم

لقد تحدى القران الكريم خصومه على مراحل:

١ ـ (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ)[٥].

٢ـ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ)[٦].

٣ـ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)[٧].

٤ـ (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[٨].

٥ـ (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٩].

١ـ الأنفال: ٣١.

٢ـ المدّثّر: ٢٥.

٣ـ النحل: ١٠٣.

٤ـ الأنعام: ٩١.

٥ـ الطور: ٣٣ ـ ٣٤.

٦ـ هود: ١٣ ـ ١٤.

٧ـ يونس: ٣٨ ـ ٣٩.

٨ـ البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

٩ـ الإسراء: ٨٨.

الخلاصة:

- ولد اصطلاح الاعجاز والمعجزة على أيدي علماء القرءانيات عندما صنف اول بحث حول تحدي القران لخصومه في النصف الثاني من القرن الثاني .

- يعود غياب موضوع الاعجاز عن التدوين الاسلامي في القرن الاول الى مجموعة من الاسباب منها : انشغال المسلمين بالحروب والفتوحات و ضعف العقلية الاسلامية انذاك.

- انتشرت بعد القرن الثاني الهجري مجموعة كبيرة اهتمت ببحث الاعجاز وفصلت فيه ، وقد فصلت في الجدول المتقدم فلاحظ .

- لقد تحدى القران خصومه على مراحل متعددة اشارت اليها الايات الكريمة ، فهو تحداهم ان ياتوا بحديث مثله فلم يستطيعوا ، ثم تحداهم ان ياتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، ثم تحداهم ان ياتوا بسورة واحدة وعجزوا عن ذلك ايضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٦)

وجوه اعجاز القرآن

المقدمة:

يتردد كثيرا القول ان القرآن الكريم هو معجزة النبي الاكرم(ص) ، فما هو المقصود من هذه العبارة؟ وبمعنى اخر ما هو الاعجاز الذي يوصف به كتاب الله تعالى ؟ من هنا فقد وقع كلام كثير بين الاعلام حول حقيقة الاعجاز القرآني، وذكروا له وجوهاً متعددة ومختلفة، واختار كل واحد منهم وجهاً وساق له الادلة والشواهد ، وسنحاول في هذا الدرس البحث عن هذه الوجوه والقائلين بها، وقبل البدء بذلك سوف نذكر جدولاً وفهرساً للوجوه التي ذكرت للاعجاز القرآني وهي كالتالي:

الوجه الاول: نظرية الصرفة

الوجه الثاني: الاعجاز البياني

الوجه الثالث: اعجازه في ذكر اخبار الغيب

الوجه الرابع: اعجازه في عدم اختلاف اياته

الوجه الخامس: اعجازه لاحتواءه معارف ومعاني عاليه الوصول

الوجه السادس: الاعجاز للصوت والجاذبية لهذا الكتاب

الوجه السابع: الاعجاز العددي للقرآن

الوجه الثامن: الاعجاز العلمي

وفي هذه المرحلة الدراسية لعلوم القران سنبحث بعض هذه الوجوه ، ويترك ماتبقى منها الى المراحل الدراسية الاخرى.

المحتوى العلمى :

١ـ الإعجاز البياني:

فصاحته بالغة وبلاغته فائقة. تعابيره دقيقة. كلماته منظّمة على أنظمة صوتيّة دقيقة، متناسبات الأجراس، متناسقات التواقيع، في تقاسيم وتراكيب سهلة سلسة، عذبة سائغة، ذات رنّة وجذبة شعريّة واستهواء سحري غريب. قال أرباب الأدب: «لو انتزعت منه لفظة ثم أُدير بها لغة العرب كلّها على أن يوجد لها نظير في موضعها الخاصّ، لم توجد البتّة».

ان من وجوه الاعجاز التي ذكرت للقرآن الكريم هو الاعجاز البياني على مستوى اللفظ والمعنى، بمعنى ان للقرآن طريقة واسلوباً في اللفظ، وكيفية دلالته على المعنى، يختلف عن كل الاساليب، فنحن لو تصفحنا الاساليب التي استخدمت اللفظ في الدلالة على المعنى لوجدناها ثلاثة:

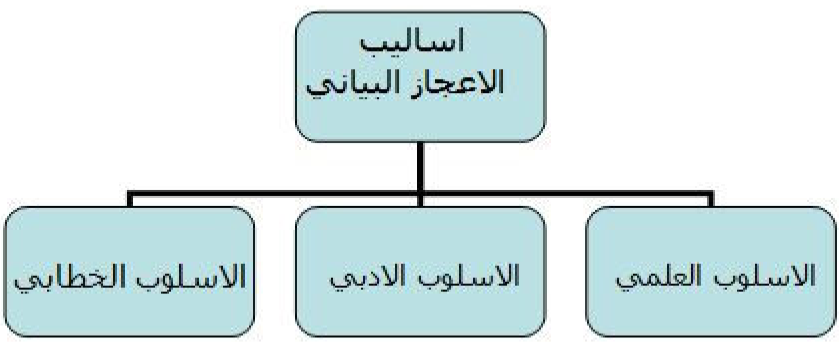
١. الاسلوب العلمي (Scientific Style)

٢. الاسلوب الادبي (Literature)

٣. الاسلوب الخطابي (Artaratoire)

وقبل التعرف على كل واحد من هذه الاساليب، لا بد من التعرف على معنى الاسلوب

فالاسلوب: هو الطريقة التي يصاغ بها اللفظ بشكل يكون اقرب لنيل المقصود من الكلام، وانجع في نفوس السامعين، وللاسلوب معاني اخرى عديدة منها الطريقة كما تقول سلكت اسلوب فلان أي : سلكت طريقته، ويقال ايضاً اساليب القول اي فنون القول وغير ذلك من المعاني اللغوية .



الخلاصة:

١. اختلفت اراء العلماء والباحثين ومشاربهم في تبينهم لانواع ووجوه الاعجاز ، فبعضهم تبنى وجها واحدا من الوجوه المذكورة واخر تبنى ثلاثة او اربعة منها وبعضهم اكثر من ذلك.

٢. يتعلق الاعجاز البياني باللفظ والمعنى بمعنى ان القران الكريم وظف افضل واعذب الالفاظ والمعاني والجمل والكلمات في اسلوب غاية في الدقة والاحكام لايصال المقصود الى المخاطب.

٣. اساليب القران ثلاثة: الاسلوب العلمي والادبي والخطابي.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ٣٧)

اساليب الاعجاز البيانى

المقدمة:

قد ذكرنا في الدرس السابق وجوه عديدة للاعجاز ، وارتـأينا ان نقف عند بعضها ، وكان اول وجه ونوع نقف عنده هو الاعجاز البياني ، فبينا معناه ، وقلنا انه يحتوي على ثلاثة اساليب هي : الاسلوب العلمي والاسلوب الكتابي الادبي والاسلوب الخطابي ، وفي هذا الدرس سنحاول شرح هذه الاساليب واحدا تلو الاخر ، ليتضح للطالب الكريم خصائص ومميزات كل واحد منها ، وبالتالي يمكنه الوصول الى درجةالبلاغة في النص القراني المقدس.

المحتوى العلمي :

اولاً: الاسلوب العلمي:

هو الاسلوب الذي يشرح الحقائق العلمية بشكل لاخفاء فيه ولا غموض, ومن اهم مميزات هذا الاسلوب هو الوضوح والبيان الساطع وسهولة الالفاظ بحيث يبتعد عن المجاز والاستعارة، وكل الكتب العلمية الدرسية هي ابرز مثال لذلك الاسلوب.

ثانياً: الاسلوب الادبي:

هو استخدام الكلام الانشائي البليغ الذي يُقصد به التأثير على عواطف القراء والسامعين،[1] ومن مميزات هذا الاسلوب:

١. استخدام الخيال.

٢. التصوير الدقيق.

٣. محاولة ايجاد الفروق الدقيقة من ناحية التمثيل والتشابه وتقريبها بين الاشياء ،

فمثلا يرى الاسلوب العلمي الحُمَّى بانها نتيجة لجراثيم معينه داخلة الى الجسم لكن في الاسلوب الادبي يصورها المتنبي بمايلي:

وزائرتي كان بها حياءً   فليس تزور إلا في الظلام

بذلتُ لها المطارف والحشايا   فعافتها وباتت في عظامي[2]

فالاسلوب الادبي يحاول ايجاد حالة الشبه بين شيئين ثم يبدأ بأخذ اوصاف كلا الشيئين ويعطها للآخر وهكذا.

ويمتاز هذا الاسلوب ايضاً بالوضوح وعدم الغموض، فمثلاً يرثي المتنبي احد الرجال بعدما حُمل نعشة بالقول:

ما كنت امُلُ قبل نعشك أن ارى   رضوى على ايدي الرجال يسيرُ[3] ١٩

---

[1]. معجم مصطلحات الادب، ص٥.

[2]. يشبه المتنبي الحمى بالفتاة التي تأتيه ليلاً فيفرش لها رداءه والحشايا اي الفراش المحشو فتترك كل ذلك وتبيت في عظامه.

[3]. يشبه المتنبي الحمى بالفتاة التي تأتيه ليلاً فيفرش لها رداءه والحشايا اي الفراش المحشو فتترك

وكذلك ابن المعتز[٢] عندما قال وهو يرثي ابن العباس:

قد ذهب الناسُ ومات الكمال   وصاح صرفً الدهر: اين الرجال

هذا ابوالعباس في نعشه   قوموا انظُروا كيف تسيرُ الجبال

وهكذا تشبيهات مهمة يستخدمها الاسلوب الادبي بشكل بديع وجميل.

ثالثاً: الاسلوب الخطابي:

هو اسلوب يعتمد على اشياء ثلاث:

١. المعاني والالفاظ .

٢. الحجة والبرهان .

٣. قوة العقل .

وهذا الاسلوب تؤثر فيه عدة مؤثرات منها: ما يرتبط بالمتكلم نفسه، وطريقته وكيفية اداءه، وهذا الاسلوب يعتمد على التكرار، والترادف، والامثال، واختيار الكلمات المؤثرة على السامع، وقيل أن خطبة اميرالمؤمنينυ من اروع مفردات الاسلوب الخطابي عندما غارت خيل سفيان بن عوف الاسدي عامل معاوية على الانبار وقتل عامل عليυ وهو حسان البكري فقال: «هذا اخو غامد[٣] قد بلغت خيله الانبار وقتل حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها[٤] وقتل منكم رجالاً صالحين، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينزع حَجلَها[٥] وقلبَها،[٦] ورِعاثَها[٧] ثم انصرفوا وافرين[٨] ما نال رجلاً منهم كَلمٌ[٩] ولا اريق لهم دمٌ، فلو أنّ رجلاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً.»

فالامام تدرج في طرح مطالب خطبته من بيان عملية الغزو الى ما وصل من جراء تلك

كل ذلك وتبيت في عظامه.

[١]. رضوى اسم جبل بالمدينة فشبه المتنبي الرجل الميت بذلك الجبل لفظمتة.

[٢].هو عبدالله بن المعتز العباسي احد خلفاء العباسيين (ت٢٩٦).

[٣]. يقصد به عامل معاوية سفيان بن عوف الاسدي وهو عامل معاوية وهو من قبيلة بني غامد في اليمن.

[٤]. وهي الثغور.

[٥]. الحجل الخلخال.

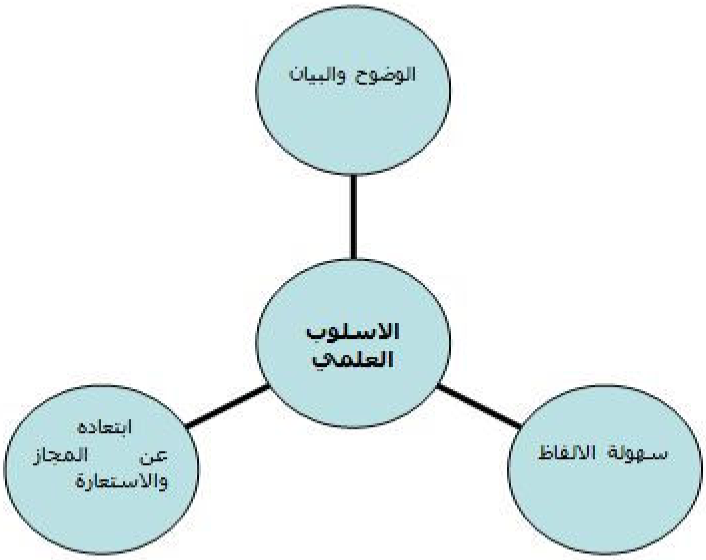
[٦]. القُلب: السوار.

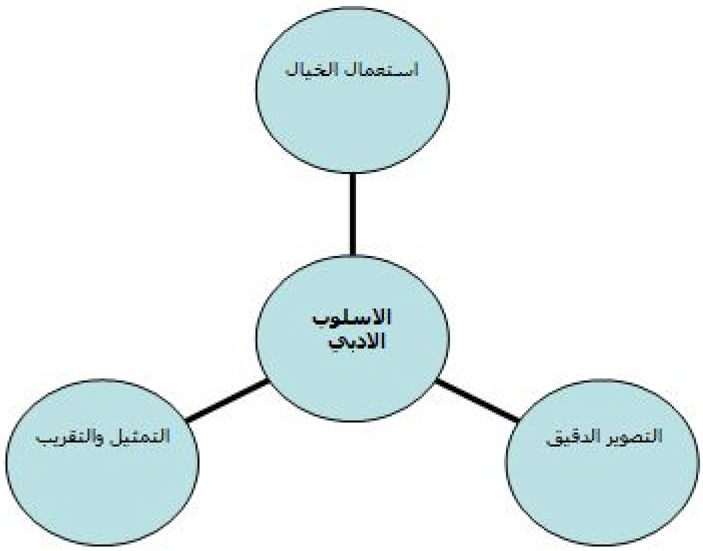
[٧]. الرعاث جمع رعثه بمعنى: القرط.

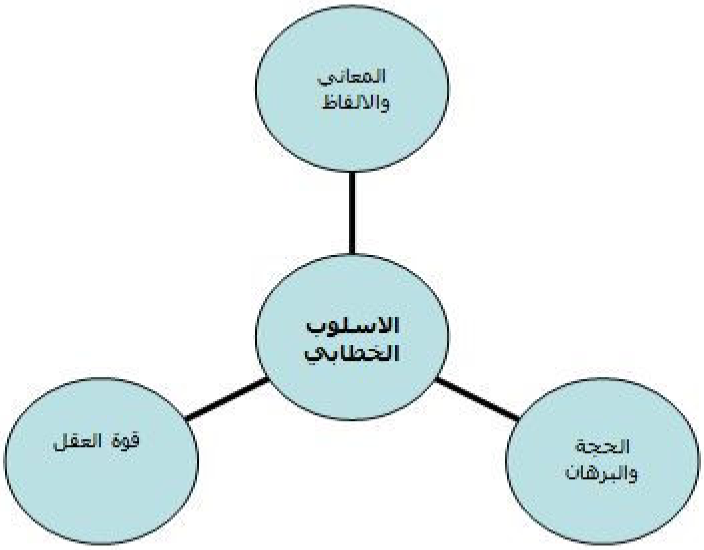
[٨]. وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

[٩]. الكَلم: الجرح.

العملية من احداث الى اثارة شعورهم في عدم مواجهة عدوهم وغير ذلك من قدرة عالية في القاء الخطبة لا يدانيه فيها احد.






المعاني
والالفاظ
الاسلوب
الخطابي
قوة العقل
الحجة
والبرهان

الخلاصة:

١. الاسلوب العلمي يتكفل بشرح الحقائق العلمية الدقيقة باسلوب واضح وجلي .
٢. الاسلوب الادبي يعتمد على الكلام البليغ ويستخدم الادوات التي تحرك مشاعر واحاسيس الجماهير .
٣. يراعى في الاسلوب الخطابي الحديث المؤثر في السامع ويتفاد في استخدامه التمثيل والحجة والبرهان.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٨)

سمو اسلوب القران عن الاساليب الثلاثة

المقدمة:

لاشك في الاساليب الثلاثة المتقدمة تستعمل في البيان والتفهيم ، وهي اساليب رائعة جدا لو طبقت قواعدها بشكل صحصح ، ولكن يبقى السؤال عن اعجاز القرآن البياني مطروحا ، هل نقصد به واحدا من هذه الاساليب؟ ام نقصد به معنى اخر يفوق تلك الاساليب؟ ومن حيث المبدأ نجيب: بان الفاظ القرآن واسلوبه تشكل اعجازاً فاق كل الاساليب المتقدمة، ولكن كيف نثبت ذلك؟ هذا ماسنحاول الاجابة عنه في هذا الدرس.

المحتوى العلمى :

الدليل على سمو اسلوب القران

يمكن اثبات ذلك من جهتين:

الاولى: من خلال كلمات اولئك العظام الذي استخدموا تلك الاساليب المتقدمة لنرى ماذا يعني الاعجاز البياني للقرآن عندهم؟

الثانية: من خلال نفس القرآن.

اما الجهة الاولى: فمثلاً نجد علي بن ابي طالبυ يصف القرآن بالقول «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه.»[1]

ووصفه في وصف آخر: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا ينجو توقده وبحراً لا يدرك قعره.»[2]

اما الوليد بن المغيرة، وهذا كان من الذين تتحاكم لديه الادباء قال بحق القرآن لما سمع النبي يتلو بعض اياته فقال: «والله لقد سمعت من محمد انفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وأن له لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وان اعلاه لمثمر، وان اسفله لمغدق وأنه ليعلو وما يُعلى عليه.»[3]

اما عتبة بن ربيعة عندما سمع ايات من الذكر الحكيم قال: «اني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة... فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم.»[4]

وهناك قصة قد حكاها القرآن بقوله: }وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ{.[5]

والقصة تشير الى وجود ثلاث اشخاص كانوا يأتون ليلاً ليسمعوا من الرسول(ص) القرآن وكان لا يعلم احدهم بالاخر، فكل واحد منهم يأخذ مكاناً في استار الليل ليسمع من

---

[1]. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة ١٣١، ص٢٨١، انتشارات ذوي القربى، قم، ١٣٨٤ش.
[2]. المصدر اعلاه، الخطبة ١٩٦، ص٤٢٠ ـ ٤٢٧.
[3]. المجلسي، دار الأنوار: ج٩ ص١٦٧.
[4]. البغوي، تفسير البغوي: ج٤ ص١١١.
[5]. فصلت: ٢٦.

الرسول(ص) وكانوا يتفرقون فيلتقون في الطريق ويتواصوا بعدم الذهاب ثانية، ثم يكرروها الى ان قال بعضهم لبعض: «لا تعودوا فلو رأكم بعض سفهائكم لا وقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا».[1]

ألم يكونوا هؤلاء اصحاب البلاغة والفصاحة، وملوك البيان والشعر، فلماذا اسرهم القرآن بهذا الشكل اذا لم يكن فيه تفوق على ما يمتلكونه من فصاحة وبلاغة، هذه من الجهة الاولى.

---

[1]. ابن كثير، تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٧.

الخلاصة:

١. ان اسلوب القران الكريم يفوق الاساليب التي تقدم شرحها سواء كانت علمية ام ادبية ام خطابية.

٢. يستدل على تفوق بيان القران الكريم واسلوبه بوجهين: الاول: شهادات واعترافات كبار الفصحاء وملوك البيان. والثاني حديث القران عن نفسه.

٣. من ابرز اللذين بينوا عظمة خطاب هذا الكتاب واعتروفوا بسمو عرضه واسلوبه هم علي ابن ابي طالب والوليد ابن المغيرة و عتبه ابن ربيعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٣٩)

اثبات تفوق الاسلوب القرانى من نفس القران

المقدمة:

تقدم في الدرس الماضي ان القران الكريم متقدم من ناحية البيان والاسلوب عن فحوى الاساليب الثلاثة المتقدمة وقلنا ان الاستدلال على ذلك يتم من جهتين : الاولى شهادة ملوك البيان العرب، والثانية دلالة نفس ايات القران وجمله وكلماته ، وقد بينا الجهة الاولى وشرحناها في الدرس السابق ، ونحاول الان بيان وتقريب الجهة الثانية.

المحتوى العلمى :

تقريب الجهة الثانية

يمكن اثبات فصاحة وبلاغة القرآن من نفس الكتاب الكريم وآياته، وذلك من زوايا عدة منها:

أ) اختيار الكلمات والالفاظ

الكلمات والالفاظ المستخدمة في القرآن الكريم منسجمة مع بعضها البعض في الصوت والنغم والفصاحة، بحيث يعطي القرآن دروساً وعبراً بعبارة واحدة لا تحتوي على اكثر من ثلاث او اربع كلمات، فمثلاً حاولت العرب ان تسمى قانون يقف امام عمليات القتل فقالت «القتل انفى للقتل» بمعنى ان قتل القاتل افضل مانع للقتل لكن القرآن صاغ ذلك بعبارة معجزة في الفاظها سهلة في اسلوبها "الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" (في قوله ( ) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).[1]

فلو تلمسنا الفروق بين هذه العبارة «القتل انفى للقتل» وبين عبارة «القصاص حياة» لوجدنا ذلك من عدة جهات كما ذكرها الشيخ الطوسي.[2]

١. الاية اكثر فائدة من العبارة المذكورة لان الاية فيها معنى العبارة المتقدمة مع زيادة والزيادة هي:

أ) اظهار العدل لذكر الاية القصاص.

ب) اظهار الحياة الشيء الجميل المرغوب والدافع لتطبيق المادة.

ت) الاية فيها ترغيب وترهيب، في نفس الوقت فيها القصاص وفيها الحياة اما العبارة اقتصرت على القتل.

٢. ان الاية اقل حروفاً واكثر ايجازاً من العبارة المذكورة فالحروف في قوله «القصاص حياة» عشرة اما الحروف في العبارة «القتل انفى للقتل» اربعة عشر حرفاً.

---

[1]. بقرة: ١٧٩.

[2]. التبيان، الطوسي، ج٢، ص١٠٥، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي، ط١، مكتبة الاعلام الاسلامي، قم.

٣. العبارة المذكورة فيها تكرار للقتل وهذا غير حسن في الكلام البليغ اذ امكن تعويضه بعبارة ليس فيها تكرر من قبيل «القصاص حياة».

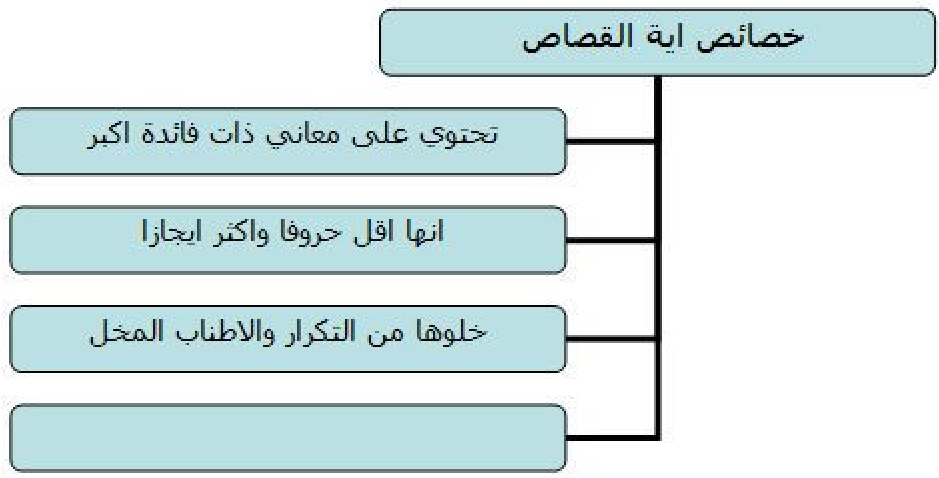
٤. التأليف في الاية افضل من التأليف في العبارة المذكورة، فنحن ندرك ذلك بالوجدان، فالاية « في القصاص حياة» خرجت من الفاء الى اللام وذلك اعدل كما يقول علماء اللغة من الخروج من اللام الى الهمزة كما في عبارة «القتل أنفى للقتل».

وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من الالف الى اللام.

وهناك فروق اخرى ذكرت بين العبارتين منها:

ـ ان القتل لا ينفي القتل اما اذا كان القتل بعنوان القصاص فهو النافي للقتل حقيقة.

ـ الاية فيها جنبه ايجابية « في القصاص حياة» اما في العبارة فيها جنبة نفي «القتل أنفى للقتل» ويقال ان في القانون العبارة الايجابية اولى وافضل من العبارة السلبية.



ـ في الاية يوجد فيها محسنات معنوية، نحن نعلم ان في علم البديع نوعات من المحسنات:

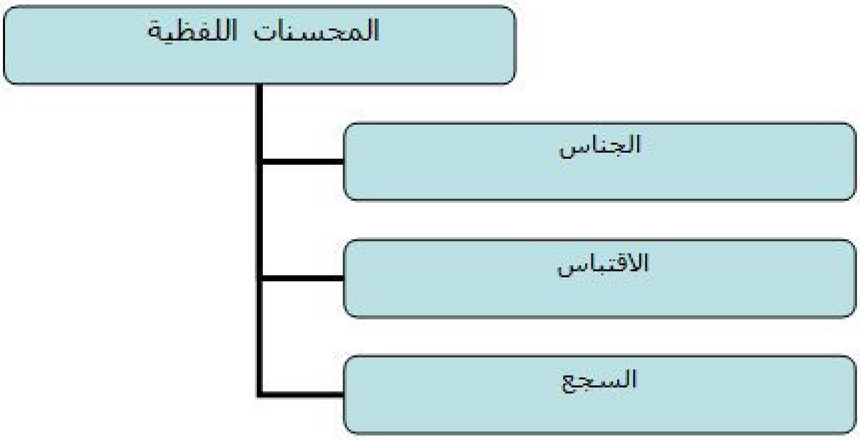
محسنات لفظية وهي:

١. الجناس: تشابه اللفظ في النطق ويختلف في المعنى، مثال: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ).[1]

٢. الاقتباس: ان تقتبس شيئا من القرآن، او الشعر لتضمنه الكلام، كما قال: عبدالمؤمن الاصفهاني[2]: «لا تغرّنّك من الظّلمة كثرة الجيوش والانصار: « انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار».[3]»

٣. السجع: يستخدم في النثر بحيث تتوافق الكلمتين في الحرفين الاخيرين واحسنه عندما تتوافق الفقرات مثال: الحر اذا وعد وفى واذا اعان كفى واذا ملك عفى.



اما المحسنات المعنوية فهي:

١. التورية: وهي ذكر لفظ له معنيان قريب ظاهر غير مقصود وبعيد خفي مقصود ومراد.

قال سراج الدين الوراق:[4]

آصون أديم وجهي عن أناسلقاء الموت عندهم الاديب

وربّ الشّعر عندهم بغيضولو وافى به لهم «حبيب»

فكلمة حبيب لها معنى وهو متبادر الى الذهن وهذا معنى ظاهر خصوصاً وان الشاعر استخدم مفردة (بغيض) ولكن لها معنى اخر هو يريد (حبيب بن اوس) وهو الشاعر ابو

---

[1]. الروم: ٥٥.

[2]. وهو اديب مشهور صوفي له كتاب عارض فيه « اطباق الذهب» الزمخشري.

[3]. ابراهيم: ٤٢.

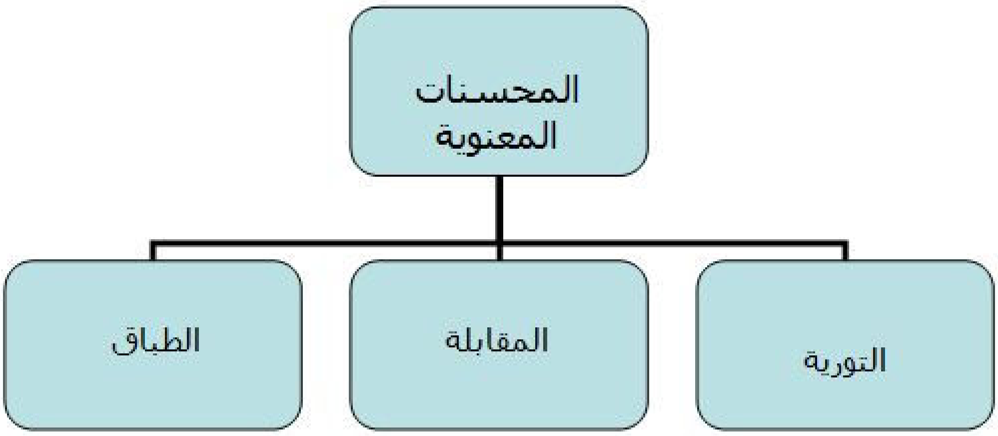
[4]. شاعر بصري برع في التورية ولد سنة ٦١٥ ومات ٦٩٥.

تمام. وهو يقصد هذا المعنى.

٢. المقابلة: ان تأتي بمعنيين أو اكثر تم تأتي بما يقابلها على الترتيب. مثال: قال للانصار: (إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عن الطمع)[١].

٣. الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهنا في الاية جمع بين (القصاص والحياة) وهما ضدان لان القصاص هو من القتل وفي الظاهر انه ضد الحياة وفي نفس الوقت هو موجد للحياة.

فهذه العبارة القرآنية الواحدة تمثل بحق معجزة الهية في صياغتها واسلوبها وتركيبها ومعناها. والشواهد كثيرة في القرآن.



ب)اتساق الكلام ودقة التعبير

وهو مايظهر من مجموعة من الايات :

فمن دقيق تعبيره أنّه حينما يذكر السرقة يورد السارق مقدّماً على السارقة، (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا)[٢]، أمّا في الزّنا فيذكر الزّانية مقدّمة على الزاني، (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ)[٣]. والحكمة واضحة، فالمرأة في الزنا هي البادئة وهي التي تدعو الرجل بزينتها وتبرّجها، أمّا في السّرقة فهي أقلّ جرأة من الرّجل.

ومن تناسب فواصل الآيات قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى

---

[١]. الباقلاني، إعجاز القرآن: ص٨١.

٢ـ المائدة: ٣٨.

٣ـ النور: ٢.

يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[1].

ختمت الآية الأولى بقوله: (أَفَلَا تَسْمَعُونَ)، لأنّه المناسب لذكر الليل السرمد وهي الظلمة المطبقة لا موضع فيها لحسّ البصر، سوى حسّ السمع يسمع حسيسها، وأمّا الآية الثانية فكان الكلام فيها عن النهار السرمد، فناسبه الإبصار.

١ـ مريم: ٤.

الخلاصة:

١. يمكن اثبات بلاغة القران وسمو اسلوبه بنفس القران من جهتين :

الاولى : اختيار الكلمات والالفاظ .

الثانية : اتساق الكلام ودقة التعبير .

٢. هناك فرق شاسع بين استخدام العرب للجمل والكلمات وبين استخدام القران لها ، فالعرب تعبر : القتل انفى للقتل ، ولكن القران يعبر : ان القصاص حياة .

٣. ان الجملة التي استخدمها القران بجعل القصاص حياة افضل مما استخدمها العرب عندما قالوا : القتل انفى للقتل ، لوجوه :

الاول انها اكثر فائدة ، والثاني انها مختصرة واكثر دلالة ، والثالث خلوها من التكرار و....

٤. ان الجملة التي استخدمها القران فيها من المحسنات اللفظية كالجناس والاقتباس والسجع ، والمحسنات المعنوية كالتورية والمقابلة والطباق .

٥. هناك ايات عديدة دلت على اتساق الكلام ودقة التعبير منها: قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) وكذا : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) ، وغيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٤٠)

الإعجاز العلمى

المقدمة:

أنّ القرآن الكريم كتاب حكمة وهداية وتربية وإرشاد (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ)[١]، (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَآئِثَ)[٢]، (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)[٣]. هذه هي رسالة القرآن في الأرض، (أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)[٤]. إذاً لم الشريعة دراسة طبيعة، ولم يكن القرآن كتاب علم بالذات، سوى مايحمله من إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، وإلماعات خاطفة وسريعة إلى بعض أسرار الوجود، يعرفها العلماء الراسخون، وهي في نفس الأمر تكشف عن مخزون علم لا يتناهى. (قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[٥]، (وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)[٦].

١ـ آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢.

٢ـ الأعراف: ١٥٧.

٣ـ الفرقان: ١.

٤ـ الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

٥ـ الكهف: ١٠٩.

٦ـ الطلاق: ١٢.

المحتوى العلمى :

بعض الاشارات القرانية لاثبات الاعجاز العلمي

وإليك بعض ما وصلت إليه أفهام البشريّة من العلوم الطبيعيّة المقطوع بها تقريباً، وكان ذلك دليلاً على معجزة القرآن، الخارقة للعادة، في زمان كان سرّ هذه العلوم والآراء النظريّة مكتوماً على البشريّة، وأصبح اليوم مكشوفاً، وسيكتشف أيضاً حسب مرّ الأيّام.

أ. قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)[١]، يشير إلى أنّ أصل الحياة من الماء، في نشأتها وتكوينها وظهورها في عالم الوجود. قال سيّدنا الأُستاذ العلّامة الطباطبائي&: «في ظلّ البحوث العلميّة الحديثة ظهرت صلة الحياة بالماء»[٢].

ب. قوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)[٣]، يشير إلى أنّ نشأة الإنسان من ماء الرجل، كما قال تعالى: (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ)[٤]، والنطفة ماء الرجل ومنيّه ينزله بشهوة ودفق. صرّح بذلك أهل اللغة. يقول الطبّ الحديث: «إنّ الماء الدافق هو ماء الرجل. أي: المني، يخرج من بين صلب الرجل وترائبه ـ أي: أُصول أرجله ـ وذلك لأنّ معظم الأمكنة والممرّات التي يخرج منها السائل المنويّ تقع من الناحية التشريحيّة بين الصلب والترائب»[٥].

ج. قوله تعالى: (وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)[٦]، ـ أي: بنيناها بقوّة وإحكام ـ يشير إلى حقيقة كانت خافية على البشر ثلاثة عشر قرناً، وهي أنّ فسحة السّماء لا تزال تتمدّد وتتوسّع مع توالي الأحقاب. وأوّل من تنبّه لذلك هو العالِم الفلكي لومتر البلجيكي، في عام ١٩٢٧ الميلادي.

١ـ الأنبياء: ٣٠.

٢ـ الميزان: ٣٠٥/١٤.

٣ـ الطارق: ٥ ـ ٧. الدفق: الدفع بشدّة، الصلب: العمود الفقري الممتدّ من الكاهل حتى العجب، والترائب: جمع تريب وتريبة، أُطلق على عظام متساوية الأطراف ومترادفة التركيب في هيكل الإنسان العَظمي... منها: العظم المنحني المتساوي الطرفين الكائن بين أُصول الفخذين فوق العانة، كما نقل عن الضحاك ـ فيما رواه ابن كثير ـ قال: الترّائب: بين الثديين والرجلين والعينين. تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٤.

٤ـ النحل: ٤.

٥ـ مع الطب في القرآن الكريم: ٣٣.

٦ـ الذاريات: ٤٧.

د. قوله تعالى: (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء)[١]، يشير إلى أنّ الطبقات العليا من الفضاء خالية من الهواء، أي: ومن يرد أن يضلّه فهو كمن يحسّ بحرج في تنفّسه وتتضايق عليه الحياة بسبب ارتفاعه في طبقات عليا من الفضاء. هكذا يكشف العلم عن أسرار هذا الكتاب المبين.

هـ. قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا)[٢]، يشير إلى حقيقة كشف عنها العلم، وهي إحاطة الأرض بواسطة غلاف هوائي سميك، قد يبلغ ارتفاعه أكثر من ٣٥٠ كيلومتراً، يكوّن تُرساً واقياً للأرض من قذائف السماء.

و. قوله تعالى: (وَالسَّمَاء ذَاتِ الحُبُكِ)[٣]، يشير إلى الجاذبيّة العامّة والحبك: الشدّ الوثيق.

ز. قوله تعالى: (وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[٤]، يشير إلى حركة الجبال، وليست حركة الجبال في مسير الفضاء سوى حركة الأرض الانتقاليّة في دورتها السنويّة، أو الوضعيّة حول نفسها.

ح. قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ)[٥]، يشير إلى أن هناك معجزة كبرى في تسوية البنان، وبعثُه على صورته الأُولى يكون أكبر من إحياء العظام البالية، الأمر الّذي لم يكشف سرّه إلاّ بعد نزول الآية بأكثر من ألف سنة، حينما عرف أنّ لكلّ إنسان بصمة خاصّة رسمت على بنانه لا يتّفق اثنان في بصمة واحدة، منذ أن خلق الله الإنسان. وهذا سرّ غريب في الخليقة أوّلاً وفي إشارة القرآن إليه ثانياً.

١ـ الأنعام: ١٢٥.

٢ـ الأنبياء: ٣٢.

٣ـ الذاريات: ٧.

٤ـ النمل: ٨٨.

٥ـ القيامة: ٣ ـ ٤.

الخلاصة:

ان الاصل في كتاب الله انه كتاب هداية وارشاد وليس كتابا عمليا او طبيعيا تطرح فيه نظريات في الاحياء الرياضيات، اجل وردت فيه ايرادات علمية تثبت اعجازث العلمي.

من الاشارات العلمية التي وردت القران الكريم : علاقة الحياة بالماء عندما صرح القران بذلك " وجعلنا من الماء كل شئ حي " قبل ان يولد هذه الموضوع في الكتب العلمية.

لقد اثبت القران ان هناك فسحة في السماء لازالت تتمدد وتتوسع " وانا لموسعون " وكان ذلك قبل ان يلتفت اليها العالم البلجيكي بمئات السنين .

"والسماء ذات الحبك" يشير الى قانون الجاذبية الذي اكتشفه "نيوتن" فيما بعد بزمن طويل .

وهناك اشارات عديدة تثبت الاعجاز العلمي من نفس ايات القران الكريم تراجع فيها الكتب المختصة في هذا المجال.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٤١)

الإعجاز الغيبى والتشريعى

المقدمة:

ذكرنا سابقا ان هناك مجموعة من الوجوه التي يمكن ان تتصور لاعجاز القران الكريم بماه كتاب معجز لم يستطع احد من كبار البلغاء والفصحاء ان يدانية وينافسه في عرضه وبيانه ورؤيته و.. ، والى هنا كنا قد بينا في الدروس السابقة نوعين من الاعجاز وهما: الاعجاز البياني والاعجاز العلمي، وفي هذا الدرس سنحاول بيان نوعين اخرين من الاعجاز وههما: الاعجاز الغيبي والاعجاز التشريعي.

المحتوى العلمى :

الاعجاز الغيبي

يطلق الاعجاز الغيبي على إخبار ما غاب عن النبي(ص) وقومه ممّا لم يشهدوه من حوادث وقعت ، أو لم يحضروا وقتها، فلم يكونوا على علم بتفاصيلها. وهو يشمل غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.

فمن غيب الماضي قوله تعالى بشأن قصّة مريم وكفالة زكريّا لها: ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ[1]، وقوله بشأن قصّة نوح وقضيّة الطوفان: تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا[2]. فإنّ ورود أخبار الأمم الماضية بهذا التفصيل الدقيق دليل على كونه وحياً من عند الله علّام الغيوب وليس من عند البشر ذي العلم القصير ولا سيّما من مثل محمد(ص) الذي نشأ في بيئة لا تمكّنه الاطّلاع على مثل هذه الأمور على دقائقها وظرائفها. وليست تهمة قريش بأنّها أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا[3]، إلّا افتراءً مفضوحاً، جاءت على خلاف ما استيقنتها نفوسهم من أُمّيّة الرسول(ص) وعدم اتّصاله بأحد من أهل الكتاب ولم تكن له أسفار علميّة للبحث عن آثار الأمم.

ومن غيب الحاضر ـ والمقصود منه ما جرى على عهد الرسول(ص)، من حوادث لم يحضرها هو ولا الخصّيصون من أصحابه فنزل القرآن متضمّناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى ـ قوله تعالى بشأن المنافقين وبناءهم مسجداً ضراراً: وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[4]. والغاية الأساسيّة من غيب الحاضر هو تأييد الدعوة.

ومن غيب المستقبل قوله تعالى: الم* غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ* وَعْدَ اللّهِ لَا يُخْلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

١ـ آل عمران: ٤٤.

٢ـ هود: ٤٩.

٣ـ الفرقان: ٥.

٤ـ التوبة: ٩٧.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[١]، وقوله تعالى: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[٢]، وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ[٣]، وقوله تعالى: وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا[٤].

الإعجاز التشريعي

والمثال البارز في هذا النوع من الاعجاز مافصلنا في الدروس الماضية في قوله تعالى : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون[٥]، فقد بينا هناك ان هذه الاية تتضمن تشريعا يفوق ما شرّعه العرب للحد من جريمة القتل [٦].

ومازال الانسان في بحث دؤوب عن اسرار الوجود يحاول ان يكتشف اشياء جديدة ، لكنها تبقى محدودة وناقصة ، ويبقى القران مستمرا في اعجازه وعلاجه للكثير من المسائل الحياتية يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.

١ـ الروم: ١ ـ ٦. كانت الحروب دامية بين الروم والفرس من سنة٦٠٣م إلى سنة٦٢٧م، وكانت الغلبة لإيران في أوّل الأمر، حتّى عام٦٢٢م، وبعده انقلب الأمر. والآية نزلت بمكّة حين كانت الغلبة للفرس على الروم، فكانت الهجرة ـ وكان في سنة٦٢٢م ـ مقارنة لغلبة الروم على الفرس، تمهيداً للفتوحات التي كانت تنتظر المسلمين تجاه قوى الفرس.

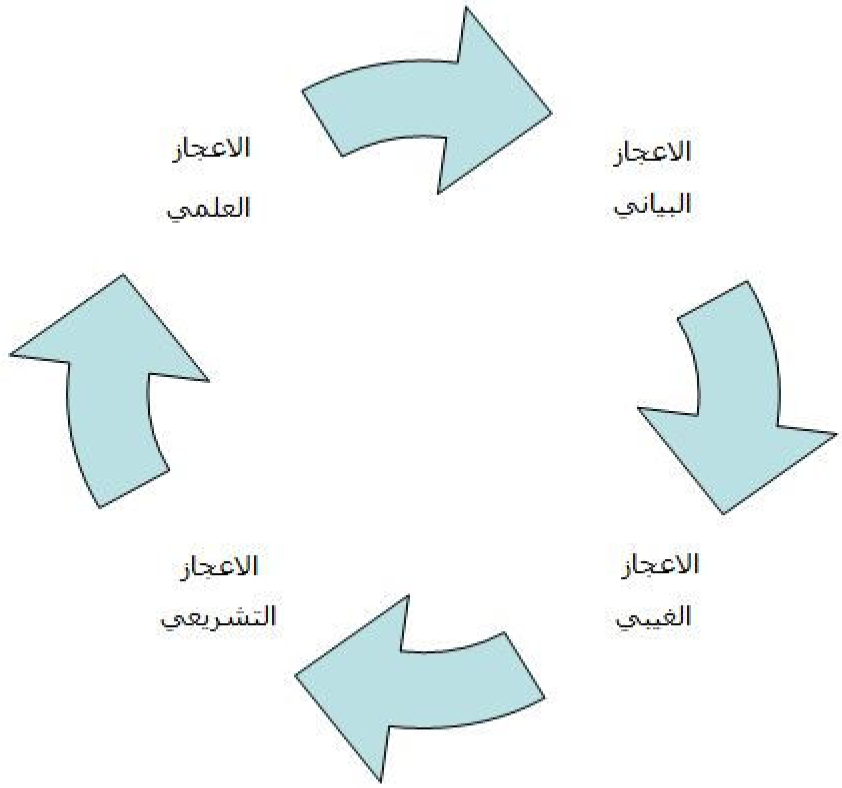
٢ـ البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

٣ـ الصف: ٩.

٤ـ النور: ٥٥.

٥. بقرة: ١٧٩.

٦ ـ انظر الدرس : ٣٩ هن هذه الدورة الدراسية .


الاعجاز العلمي
الاعجاز البياني
الاعجاز الغيبي
الاعجاز التشريعي

الخلاصة:

١. يطلق الاعجاز الغيبي على إخبار ما غاب عن النبي(ص) وقومه ممّا لم يشهدوه من حوادث وقعت ، أو لم يحضروا وقتها .

٢. ينقسم الاعجاز الغيبي الى غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل ، فمثال الاول اخباره عن مجموعة من قصص الانبياء السابقين، ومثال الثاني اخباره ما فعله المنافقون عندما بنوا المسجد ، ومثال الثالث اخباره بانتصار الروم لاحقا.

٣. من جوه الاعجاز الاخرى هو الاعجاز الغيبي وابرز مثال قراني يمكن ذكره هنا هو تشريع القصاص.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ۴۲)

صيانة القران من التحريف

المقدمة:

يدور الكلام في موضوع تحريف القران على ماجرت عليه العادة في كتب الدراسات القرانية وتفصيل اقسامه وابراز معناه من اجل ازالة الشكوك التي قد تحدث لدى البعض، والا فنحن نعتقد ان القران الذي بين ايدي المسلمين الان والكتاب الذي يقرأونه ويتداولونه هو نفس الكتاب الذي نزل على صدر النبي الكريم محمد (ص) وهو قران خالي من أي نقص وزيادة سالم عن التحريف والخطأ.

المحتوى العلمى :

التحريف في اللغة

تحريف الشيء: إمالته والعدول به عن موضعه إلى جانب، مأخوذ من حَرْفِ الشيءِ بمعنى طرفه وجانبه. قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ)[١].

قال الزمخشري: أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه. وهذا مَثَلٌ لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأنّ، وإلاّ فرّ وطار على وجهه[٢].

تحريف الكلام: تفسيره على غير وجهه، أي: تأويله بما لا يكون ظاهراً فيه، تأويلاً من غير دليل.

والتحريف بهذا المعنى إنّما هو تغيير في معنى الكلم، كما قال تعالى: (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)[٣] أي: يفسّرونها على غير وجهها بما لا دلالة للكلام وضعاً فيه. وهذا تحريف معنوي لا غير. قال الطبرسي& في تفسير قوله تعالى: (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ): أي: يفسّرونها على غير ما أُنزل ويغيّرون صفة النبي(ص)

فيكون التحريف بأمرين، أحدهما: سوء التأويل، والآخر التغيير والتبديل، كقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ)»[٤].

١ـ الحج: ١١.

٢ـ الكشاف: ٢/١٤٦.

٣ـ النساء: ٤٦، المائدة: ١٣.

٤ـ آل عمران: ٧٨، مجمع البيان: ٢/١٧٣.

التحريف في الاصطلاح:

التحريف في الاصطلاح جاء على سبعة وجوه:

١ـ تحريف مدلول الكلام: وهو تفسيره على غير وجهه بمعنى تأويله بما لا يكون اللفظ ظاهراً فيه بذاته لا بحسب الوضع ولا بحسب القرائن المعهودة ومن ثمّ فهو تأويل باطل، المعبّر عنه بالتفسير بالرأي المنهيّ عنه في لسان الشريعة المقدسة. قال(ص): «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار»[1].

٢ـ تحريف موضعي: بأن يكون ثبت الآية أو السورة على خلاف ترتيب نزولها، وهذا في الآيات قليل نادر، لكن السور كلّها جاء ثبتها في المصحف على خلاف ترتيب النزول، كما تقدّم.

٣ـ تحريف في القراءة: بأن يقرأ الكلمة على خلاف قراءتها المعهودة لدى جمهور المسلمين، وهذا كأكثر اجتهادات القرّاء في قراءاتهم المبتدعة لا عهد لها في الصدر الأوّل، الأمر الذي لا نجيزه بعد أن كان القرآن واحداً نزل من عند واحد كما في الحديث الشريف[2]. وقد ذكرنا ذلك في بحث القراءات.

٤ـ تحريف في لهجة التعبير: كما في لهجات القبائل تختلف عند النطق بالحرف أو الكلمة في الحركات وفي الأداء. الأمر الّذي يجوز، ما دامت بُنية الكلمة الأصليّة محتفظة لا يختلف معناها وقد نزّلنا حديث الأحرف السبعة ـ على فرض صحّة الإسناد ـ على إرادة اختلاف لهجات العرب في أداء الكلمات والحروف، بل وحتّى إذا لم تكن اللهجة عربيّة، فإنّ الملائكة ترفعها عربيّة كما في الحديث[3]. نعم لا يجوز إذا كان لحناً ـ أي: خطأً ومخالفاً لقواعد الإعراب ـ قال تعالى: (قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)[4]، وقد أُمرنا بقراءة القرآن عربيّة صحيحة «تعلّموا القرآن بعربيّته»[5] وهكذا إذا كان التحريف اللهجة مغيّراً لمعنى الكلمة فإنّه لا يجوز، ولا سيّما إذا كان عن عمدٍ ولغرض خبيث، كما كانت تفعله اليهود عند النطق بلفظ «راعنا» فكانت تميل حركة العين إلى فوق

١ـ غوالي اللئالي: ٤/١٠٤، رقم١٥٤.

٢ـ الكافي (الأصول): ٢/٦٢٧.

٣ـ وسائل الشيعة: ٤/٨٦٦، رقم٤.

٤ـ الزمر: ٢٨.

٥ـ وسائل الشيعة: ٤/٨٦٥، ب٣٠ ح١.

لتصبح معنى الكلمة «شرّيرنا» حسبما ذكره الحسين بن علي المغربي[١] وذكره القرآن في سورة البقرة (آية١٠٢) وفي سورة النساء (آية٤٦).

٥ـ تحريف بتبديل الكلم: بأن تتبدّل الكلمة إلى غيرها مرادفة لها أو غير مرادفة. الأمر الذي كان يجوّزه ابن مسعود في المترادفات نظراً منه إلى حفظ المعنى المراد وأنّه لا بأس باختلاف اللفظ. وقد أسبقنا عدم جواز ذلك في نصّ الوحي لأنّ الإعجاز قائم بلفظه كما هو قائم بمعناه[٢].

٦ـ التحريف بالزيادة: نسب إلى جماعة ـ كابن مسعود ـ أنّهم كانوا يزيدون في نصّ الوحي، لا عقيدة بأنّها من القرآن، بل لغرض إيضاح الآية ورفع الإبهام من لفظها. وهذا لا بأس به مع التزام الشرط وعدم الالتباس. وهكذا نجد زيادات تفسيريّة في المأثور عن الأئمّة الصادقين^.

ولم نجد من زعم زيادة في النصّ الموجود سوى ما يحكى عن العجاردة (أصحاب عبد الكريم بن عجرد من زعماء الخوارج) أنّهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن، وكانوا يرون أنّها قصّة عشق ولم يجوزوا ان تكون من الوحي[٣]. ولهم مقالات فاسدة غير ذلك[٤]. وسيأتي ردّ مقالتهم. نعم كان ممّا اشتبه على ابن مسعود زعمه أنّه المعوّذتين تعويذان ليستا من القرآن وكان يقول: «لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه»، وكان يحكّمها من المصحف[٥].

٧ـ التحريف بالنقص: إمّا بقراءة النقص، كما أُثر عن ابن مسعود أنّه كان يقرأ: «والليلِ إذا يغشى والنهارِ إذا تجلّى والذكرِ والأُنثى» باسقاط «ما خَلَقَ»[٦]، وعن الأعمش أنّه كان يقرأ: «حم سق» بإسقاط «ع» قيل: «وهكذا قرأ ابن عباس»[٧]. أو بزعم أنّ في النصّ الحاضر سقطاً، كان من القرآن فأُسقط إمّا عن عمد أو عن نسيان وهذا إمّا في حرف واحد أو كلمة أو جملة كاملة أو آية أو سورة كما زعم. وكلّ ذلك ورد مأثوراً في أُمّهات الكتب الحديثيّة كالصحاح الستّة وغيرهما. الأمر الذي ننكره أشدّ الإنكار، وهو

١ـ راجع: تفسير البلاغي (آلاء الرحمن): ٢/١٣٤.

٢ـ راجع بحث القراءات.

٣ـ الملل والنحل للشهرستاني: ١/١٢٨. لكنَّ أبا الحسن الأشعري لم يتحقق عنده صحّة هذه النسبة، قال «وحكي لنا عنهم ما لم نتحقّقه: أنّهم يزعمون أنّ سورة يوسف ليست من القرآن». راجع مقالات الإسلاميين: ١/١٧٨.

٤ـ راجع المقالات: ج١، ص١٧٨.

٥ـ فتح الباري بشرح البخاري: ٨/٥٧١.

٦ـ صحيح البخاري: ٦/٢١١، و٥/٣٥.

٧ـ مجمع البيان: ٩/٢١.

الّذي وقع الكلام حوله في مسألة تحريف الكتاب. ولا مجال لتغيير العبارة والقول بأنّه من منسوخ التلاوة أو منسيّها ـ كما التزم به بعض أئمّة أهل السنّة ـ فإنّه من الالتواء في التعبير، وتغيير العنوان لا يغيّر الواقع المعنون.

ومجمل القول في ذلك: أنّ ما ورد بهذا الشأن من الروايات العاميّة الإسناد، لا تعدو كونها من صنع الزنادقة والوضّاعين المعروفين بالكذب والاختلاق. أو أنّ لها تأويلاً صحيحاً لا يمسّ جانب تحريف الكتاب. وإلاّ فهي أوهام وخرافات لا اعتبار بشأنها أصلاً .

القرآن ولفظ التحريف:

لم يستعمل القرآن لفظ التحريف في غير معناه اللغوي، أي: التصرّف في معنى الكلمة وتفسيرها على غير وجهها المعبّر عنه بسوء التأويل أو التفسير بالرأي. وهو تحريف معنويّ ليس سواه. وقد أسبقنا الكلام عن قوله تعالى: (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)[1]. قوله (عَن مَّوَاضِعِهِ) أي بعد أن كان الكلام مستعملاً في معناه الحقيقي الظاهر فيه بنفسه أو المستعمل فيه بدلالة القرائن المعهودة، فجاء التحريف بعد ذلك خيانة في أمانة الأداء والبلاغ. وفي قوله تعالى: (مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)[2]، تصريح بهذا المعنى، حيث إنّ التحريف إزاحة للّفظ عن موضعه الذي هو معناه.

وفي سورة البقرة: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ)[3]، أي: جاء تحريف المعنى إلى ما أرادوه بعد علمهم بالمعنى الحقيقي المراد المراد الذي كان على خلاف مصالحهم فيما زعموا. ومن ثمّ فهو من سوء التأويل كما عبّر عنه الطبرسي ومن قبله الشيخ في التبيان. قال: «فالتحريف يكون بأمرين: بسوء التأويل وبالتغيير والتبديل»[4]، أي: بتغيير لهجة الكلام بحيث يغيّر المعنى بذلك، كما جاء في سورة آل عمران: ٧٨.

والخلاصة: كان تحريف العهدين الّذي أشار إليه القرآن إمّا بسوء التأويل ـ أي التصرف في تفسيرهما بغير الحقّ، من غير أن يمسّوا يداً إلى لفظ الكتاب ـ أو مع تغيير في

١ـ النساء: ٤٦، المائدة: ١٣.

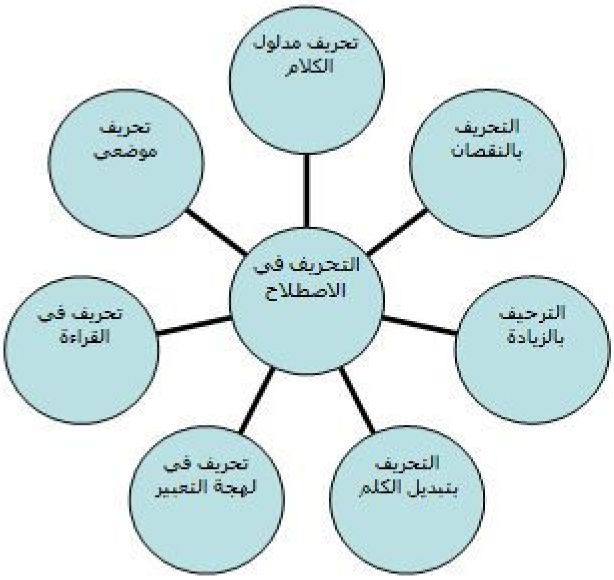
٢ـ المائدة: ٤١.

٣ـ البقرة: ٧٥.

٤ـ التبيان: ٣/٤٧٠.

لهجة التعبير عند النطق بالكتاب، كما قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ السِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[١]. لأنّ اللفظ إذا لهج به على غير لهجته الأولى لم يكن نفسه وإنّما هو غيره، وإنّما كانوا يعمدون إلى ذلك ذريعة لكتمان الحقيقة وإخفاء البشائر بمقدم نبيّ الإسلام(ص).

أمّا التحريف بمعنى الزيادة أو النقصان أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها ـ الّذي هو المعنى الاصطلاحي ـ فلم يعهد استعماله في القرآن، حسبما عرفت.



١ـ آل عمران: ٧٨.

الخلاصة:

١. التحريف في اللغة يقع في امرين : تحريف الشئ : وهو امالته والعدول به عن موضعه ، وتحريف الكلام : تفسيره على غير وجهه .

٢. التحريف الاصطلاح : جاء على وجوه سبعة وهي مبينة بصورة واضحة في الشكل اعلاه .

٣. الوجوه الوجوه الاصطلاحية للتحريف كلها ممنوعة ماعدا اعترافنا بوقوع التحريف باللهجة والتحريف الموضعي وان كان نادرا في الايات .

٤. لم يستعمل القرآن لفظ التحريف في غير معناه اللغوي ، وأمّا التحريف بمعنى الزيادة أو النقصان أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها ـ الّذي هو المعنى الاصطلاحي ـ فلم يعهد استعماله في القرآن .

٥. أنّ ما ورد بشأن تحريف القران زيادة اونقيصة هي روايات عاميّة الإسناد ، من صنع الزنادقة والوضّاعين . أو أنّ لها تأويلاً صحيحاً لا يمسّ جانب تحريف الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ۴۳)

موانع حدوث التحريف

المقدمة:

بعد ان تعرفنا على معاني التحريف وحدوده وذكرنا الوجوه السبعة التي اصطلحت في التحريف نريد ان نتعرف الان على موانع وقوع التحريف ، والذي نقصده من التحريف هنا هو الزياده والنقيصة في القران، فهل هناك ادلة تمنع من وقوع مثل هذا التحريف ؟ والجواب: نعم ان هناك موانع وهي تنقسم الى قسمين : الاول خارجي والثاني داخلي من نفس القران.

المحتوى العلمى :

دلائل بطلان شبهة التحريف

۱. بديهة العقل:

من بديهة العقل أنّ مثل القرآن الكريم يجب أن يسلم عن احتمال أيّ تغيير أو تبديل فيه، حيث إنّه كان الكتاب الذي وقع ـ من أوّل يومه ـ موضع عناية أُمّة كبيرة واعية، ولا عجب فإنّه المرجع الأوّل لجميع شؤونهم في الحياة الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، فكان أساس الدين ومبنى الشريعة وركن الإسلام. وهو المنبع الأصل لأُمّهات مسائل فروع الدين وأُصوله. ومن ثمّ كان الجميع في حراسته والمواظبة على سلامته وبقائه مع الخلود.

قال شيخ الفقهاء، كاشف الغطاء: «وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها ولا سيّما ما فيه من نقص ثلث القرآن أو كثير منه. فإنّه لو كان ذلك لتواتر نقله، لتوفّر الدواعي عليه ولاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله... كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه، وخصوصاً ما ورد أنّه صُرّح فيه بأسماء كثير من المنافقين؟ وكيف يمكن ذلك وكان من حكمة النبي(ص) الستر عليهم ومعاملتهم معاملة أهل الدين؟»[١]. وأخيراً قال: «يااللعجب من قوم يزعمون سلامة الأحاديث وبقائها محفوظة، وهي دائرة على الألسن ومنقولة في الكتب، في مدّة ألف ومائتي سنة، وأنّها لو حدث فيها نقص لظهر واستبان وشاع، لكنّهم يحكمون بنقص القرآن، وخفي ذلك في جميع الأزمان»[٢].

۲. ضرورة تواتر القرآن:

من الدلائل ذوات الشأن النافية لشبهة التحريف هي مسألة «ضرورة كون القرآن متواتراً» في مجموعه وفي أبعاضه، في سوره وآياته، حتّى في جمله التركيبيّة وفي كلماته وحروفه بل وحتى في قراءته وهجائه على ما أسلفنا في بحث القراءات، وقلنا:

> إنّ الصحيح من القراءات هي القراءة المشهورة الّتي عليها جمهور المسلمين وقد انطبقت على قراءة عاصم برواية حفص.

١ـ راجع: البرهان للبروجردي: ١١١.

٢ـ راجع: البرهان للبروجردي: ١٢٠ـ١٢١.

فإنّ هذا ممّا يرفض احتمال التحريف، لإنّ ما قيل بسقوطه وأنّه كان قرآناً يتلى إنّما نقل إلينا بخبر واحد، وهو غير حجّة في هذا الباب، حتّى لو فرض صحّة إسناده.

هكذا استدلّ العلامة الحلّي[١] وجماعة من المحقّقين كالسيد المجاهد محمد بن علي الطباطبائي[٢] والفقيه المحقّق المولى أحمد الأردبيلي[٣] والمحقق المتتبّع السيد محمد جواد العاملي[٤] وغيرهم.

٣. مسألة الإعجاز:

ممّا يتنافى مع احتمال التحريف في كتاب الله هي مسألة الإعجاز المتحدّى به. وقد اعتبروه العلماء من أكبر الدلائل على نفي التحريف. أمّا احتمال الزيادة ـ كما احتمله أصحاب ابن العجرد من الخوارج، قالوا بزيادة سورة يوسف في القرآن، لأنّها قصّة عشق ولا يجوز أن تكون وحياً[٥]، وكما زعمه ابن مسعود بشأن سورتي المعوّذتين[٦] ـ فهو احتمال باطل، إذ يستدعي ذلك أن يكون باستطاعة البشريّة أن تقوم بإنشاء سورة كاملة تماثل سور القرآن تماماً. وقد قال تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٧]، (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ)[٨]، (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ)[٩]، (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ)[١٠]. فهذا التحدّي الصارخ يبطل دعوى كلّ زيادة في سور القرآن وآياته الكريمة.

وكذا احتمال التبديل، فإنّ المتبدَّل لا يكون من كلامه تعالى وإنّما هو من كلام مبدِّله والكلام يسند إلى قائله إذا كان مجموع الكلمات مستندة إليه لا البعض دون البعض. إذن فاحتمال التبديل ولو في بعض كلمات القرآن يبطل إسناد مجموع الكتاب إليه

١ـ كشف الغطاء: كتاب القرآن من كتاب الصلاة، المبحث السابع والثامن: ص٢٩٨ـ٢٩٩.

٢ـ عن كتاب «الحقّ المبين»: ١١.

٣ـ راجع: مجمع الفائدة: ج٢ ص٢١٨.

٤ـ راجع: مفتاح الكرامة: ٣٩٠/٢.

٥ـ الملل والنحل للشهرستاني: ١٢٨/١.

٦ـ فتح الباري لابن حجر: ٥٧١/٨.

٧ـ الإسراء: ٨٨.

٨ـ هود: ١٣.

٩ـ يونس: ٣٨.

١٠ـ البقرة: ٢٣.

سبحانه وتعالى. ومن ذلك تعلم فساد ما قيل في قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[١]: إنّها تبدلت الى «كُنْتُمْ خَيْرَ أئِمَّةٍ»، كما زعمه الشيخ النوري والسيد الجزائري[٢] الجزائري[٢] وغيرهما. وزعموا في كثير من كلمات قرآنيّة مثل ذلك وقالوا: «ومثل هذا كثير»[٣]. كلّ ذلك باطل لأنّه ورد بخبر واحد وهو غير حجّة في باب القطعيّات.

وهكذا التبديل الموضعي يخلّ بنظم الكلام المبتني على الإعجاز نظماً وأسلوباً. قالوا في قوله تعالى: (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَامًا وَرَحْمَةً)[٤]: «إنّها متغيّرة من «ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى» قالوا: «تقدّم حرف على حرف»، فذهب معنى الآية[٥] حسب زعمهم.

ومثله النقص بإسقاط كلمة أو كلمات ضمن جملة واحدة. إنّها إذا كانت منتظمة في أسلوب بلاغي بديع، فإنّ حذف كلمات منها يؤدّي إلى إخلال في نظمها ويذهب بروعتها الأولى ولا يدع مجالاً للتحدّي بها. الأمر الذي غفل عنه زاعمو التحريف. زعموا إسقاط اسم الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) من مواضع من القرآن[٦]، ذهولاً عن أنّه لو أثبتناه في تلك المواضع لذهب عنها تلك الرّوعة، في حين عدم الحاجة إلى ذكر الإسم، وإنّما هو بيان شأن النزول لا غير.

وأسخف مزعومة زعمها هؤلاء هي سقط أكثر من ثلث القرآن ـ أي ما يزيد على ألفي آية ـ من خلال آية واحدة وهي قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي اليَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)[٧]. حيث إنّهم زعموا عدم تناسبها مع ذيلها[٨].

١ـ آل عمران: ١١٠.

٢ـ منبع الحياة للجزائري: ٦٧.

٣ـ راجع: فيما نسبوه إلى النعماني، بحار الأنوار: ٩٠/٢٦ـ٢٧ ط بيروت مؤسسة الوفاء.

٤ـ هود: ١٧.

٥ـ بحار الأنوار: ٩٠/٢٦ـ٢٧.

٦ـ راجع: منبع الحياة للسيد نعمة الله الجزائري: ٦٧.

٧ـ النساء: ٣.

٨ـ منبع الحياة: ٦٦.

الخلاصة:

١. تتلخص دلائل بطلان شبهة التحريف والامور التي تمنع وقوعه في امور ثلاثة : بداهة العقل وتواتر القران والاعجاز ، وما تبقى منها ستذكر في الدرس القادم .

٢. إنّ الصحيح من القراءات هي القراءة المتواترة المشهورة لدى المسلمين، وقد انطبقت على قراءة عاصم برواية حفص.

٣. ان وقوع التحريف في القران يتنافى مع وقوع التحريف تماما ؛ فان التحريف بالزيادة باطل، لان زيادة سورة كاملة في القران كما عليه العجاردة يخالف القران نفسه ، والتحريف بالتبديل باطل ايضا لانه يستلزم ان ينسب جميع القران الى مبدله وهو باطل اساسا .

٤. هناك اقوال مهجورة وشاذة في القول بالتحريف كالقول باسقاط ثلث القران أي ما يقرب من الفي اية ، وهو مذهب لايستحق الاجابة.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ۴۴)

الدلائل الاخری علی بطلان التحریف

المقدمة:

تناولنا في الدرس الماضي مجموعة من الامور تتنافى مع وقوع التحريف في القران الكريم، منهما بداهة العقل و التواتر القراني والاعجاز ، والان نريد نكمل الامور الاخرى التي ذكرت لمنع التحريف وهي كما يلي.

المحتوى العلمى :

٤. آية الحفظ:

قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[١]. هذه الآية الكريمة ضمنت بقاء القرآن وسلامته عن تطرّق الحدثان عبر الأجيال. وهو ضمان إلهي لا يختلف ولا يتخلّف وعداً صادقاً (إِنَّ اللّهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ)[٢].

وهذا هو متقضى قاعدة اللطف: «يجب على الله تعالى ـ وفق حكمته في التكليف ـ فعل ما يوجب تقريب العباد إلى الطاعة وبعدهم عن المعصية». ولا شكّ أنّ القرآن هو عماد الإسلام وسنده الباقي مع بقاء الإسلام، وهو خاتمة الأديان السماويّة الباقية مع الخلود. الأمر الّذي يستدعي بقاء أساسه ودعامته قويمة مستحكمة ولا تنثلم مع عواصف أحداث الزمان. وأجدر به أن لا يقع عرضة لتلاعب أهل البدع والأهواء، شأن كلّ سند وثيق يبقى، ليكون حجّة ثابتة مع مرّ الأجيال. وهذا الضمان الإلهي هو أحد جوانب إعجاز هذا الكتاب، حيث بقاؤه سليماً على أيدي الناس وبين أظهرهم، وليس في السماء في البيت المعمور في حقائب مخبوءة وراء الستور. ليس هذا إعجازاً إنّما الإعجاز هو حفظه وحراسته في معرض عام وعلى ملأ الأشهاد.

٥. نفي الباطل عنه:

قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[٣]. وعد تعالى صيانته من الضياع وسلامته من حوادث الأزمان. قوله: (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)، الباطل: الفاسد الضائع: أي: لا يعرضه فساد أو نقض لا في حاضره ولا في مستقبل الأيّام. وذلك لأنّه (تَنزِيلٌ مِّنْ) لدن (حَكِيمٍ)، وإنّ حكمته تعالى لتبعث على ضمان حفظه وحراسته مع أبديّة الإسلام. (حَمِيدٍ)، من كان محموداً على فعاله فلا يخلف الميعاد. وقد اعترف الخصم بأنّ مطلق التغيير في القرآن يعدّ باطلاً وتنافياً مع ظاهر الآية الكريمة. سوى أنّ المقصود غير هذا المعنى. قال: «لأن

١ـ الحجر: ٩.

٢ـ الرعد: ٣١.

٣ـ فصّلت: ٤١ ـ ٤٢.

المقصود هو البطلان الحاصل من تناقض أحكامه وتكاذب أخباره»[1].

قلت: «لعلّه لم يتنبّه لموضع قوله تعالى: (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ). والباطل الّذي يمكن إتيانه للكتاب هو تناول يد المحرّفين (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ)[2]. أمّا التناقض والتكاذب في أحكامه وإخباراته فهو من الباطل المنبعث من الداخل، وقد نفاه تعالى أيضاً بقوله: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[3]. ومن ثمّ أطبق المفسّرون على أنّ آية نفي الباطل هي من أصرح الآيات دلالة على نفي احتمال التحريف من الكتاب فلا تناله مغيّر أبداً.

٦. العرض على كتاب الله:

قال الصادق(عليه السلام): «إنّ على كلّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»[4]. الأمر الذي يتنافى مع احتمال التحريف في كتاب الله، وذلك من جهتين:

الجهة الأُولى: أنّ المعروض عليه يجب أن يكون مقطوعاً به، لأنّه المقياس الفارق بين الحقّ والباطل ولا موضع للشكّ في نفس المقياس. إذن فلو عرضت روايات التحريف على نفس ما قيل بسقوطه لتكون موافقة له، فهذا عرض على المقياس المشكوك فيه، وهو دور باطل. وإن عرضت على غيره فهي تخالفه، قال تعالى: (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)[5] و(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[6].

الجهة الثانية: إنّ العرض لابدّ أن يكون على هذا الموجود المتواتر لدى عامّة المسلمين لما ذكرناه ـ في الجهة الأولى ـ من أنّ المقياس لابدّ أن يكون متواتراً مقطوعاً به.

وروايات التحريف إذا عرضت على هذا الموجود بأيدينا كانت مخالفة له، لأنّها تنفي سلامة هذا الموجود وتدلّ على أنّه ليس ذلك الكتاب النازل على رسول الله(ص) وهذا تكذيب صريح للكتاب ومخالفة مع القران

١ـ فصل الخطاب: ٣٦١.

٢ـ الحجر: ٩١.

٣ـ النساء: ٨٢.

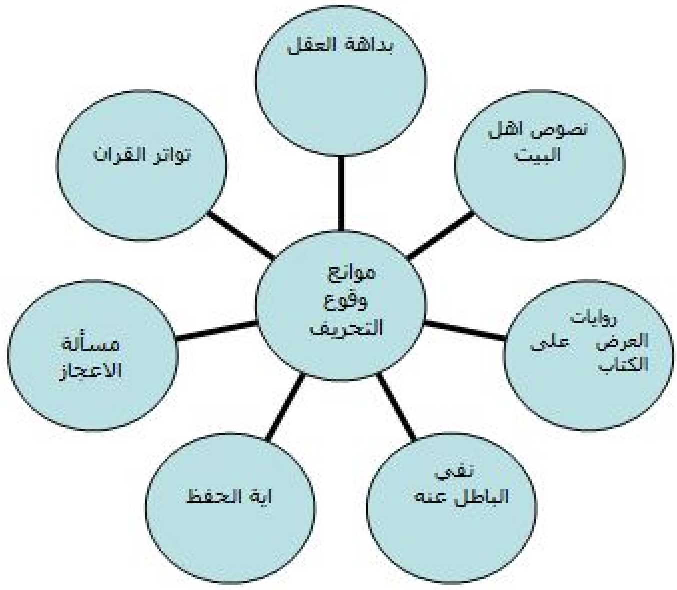
٤ـ الكافي: ١/٦٩، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب

٥ـ فصّلت: ٤٢.

٦ـ الحجر: ٩.

٧. نصوص أهل البيت(ع):

لدينا كثير من أحاديث مأثورة عن أهل البيت(ع) تنصّ على صيانة القرآن من التحريف ـ إمّا تصريحاً أو تلويحاً ـ وأنّه مصون عن التغيير نصّاً، لم ينله مسّ سوء أصلاً. وإنْ نالته الأيدي الأثيمة تأويلاً وتفسيراً بغير حق.



الخلاصة:

١. تعد اية الحفظ ضمان الهي لسلامة القران من التحريف ، لان مقتضى قاعدة اللطف هو بقاءه محفوظا من أي خلل .

٢. أطبق المفسّرون على أنّ آية نفي الباطل هي من أصرح الآيات دلالة على نفي احتمال التحريف من الكتاب .

٣. يعتبر في روايات العرض على الكتاب امران : الاول لابد ان يكون العرض على المقياس المقطوع به لا المشكوك به ، ان يكون العرض على هذه الموجود المتواتر لدى المسلمين .

٤. مما يستدل به على عدم وقوع التحريف هو النصوص الصحيحة عن اهل البيت ، والتي دلت على خلو القران من أي نقص او خلل.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ۴۵)

دعاوی القائلین بالتحریف

المقدمة:

الى هنا تبين للطلاب الكرام جملة من الامور عن موضوع التحريف ، وقد اكملنا في الدرس السابق الادلة السبعة على بطلان التحريف ، ولكن مانشير اليه مرة اخرى هنا هو هو ان موضوع البحث والتحريف الذي دار عليه الكلام ليس هو التحريف الموضعي ولا المعنوي و ... ، بل التحريف بالزيادة والنقيصة في الايات والسور والجمل والكلمات والحروف ، الامر الذي نفيناه قطعا ، وهنا نحاول ان نعرض لكم الدعاوى التي استدل بها اصحاب التحريف ومناصروه وهي كمايلي.

المحتوى العلمى :

الدعوى الأولى

الدعوى الاولى التي ذهب اليها القائلون بالتحريف هي ما ورد عن رسول الله(صلي الله عليه واله) أنه قال: (كل ما كان في الأمم السالفة فأنه يكون في هذه الأمة مثله خذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة)[1]

ومن المعلوم أن التحريف وقع في الأمم السابقة فسوف يقع في الإسلام.

جواب الدعوى

التحريف تارة يكون لفظياً ، وأخرى يقع في عدم اتباع معاني القرآن ، والتحريف الواقع في الإسلام وفي القرآن قد يكون بالمعنى الثاني لا الأول ويصدق الحديث المتقدم. أضف إلى ذلك أن هذه الأحاديث أحاديث آحاد لا يمكن تحكيمها في هكذا مسألة تعتبر من أخطر المسائل في أي ديانة، فلابد من الحصول على الاطمئنان فيها وهذا غير حاصل، ناهيك عن وقوع الكثير من الأمور في الأمم السالفه لم يقع مثلها في الإسلام ، سواء ما يتعلق بالأنبياء والأوصياء أو ما تعلق بالأمم والشعوب من قبيل العذاب الجماعي الذي يحصل كغرق آل فرعون، وتيه بني إسرائيل وولادة عيسى من غير أب وغير ذلك من أمور حصلت في الأمم السالفة ولم تحصل في أمة الإسلام.

الدعوى الثانية

قد ثبت أن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) أتى القوم وهو يحمل مصحفاً يحتوي على أمور ليست موجودة في القرآن الكريم مما يستدعي القول بنقص القرآن الموجود بين أيدينا.

ومن الروايات الواردة في هذا المجال، احتجاج علي(عليه السلام) على بعضهم بالقول: (يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد(عليه السلام) عندي بإملاء رسول الله(صلي الله عليه واله) وخط يدي أو تأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد(صلي الله عليه واله) وكل حلال أو حرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله(صلي الله عليه واله) وخط يدي حتى أرش

---

[1] - الصدوق: كمال الدين: ص٥٧٦ باب ٥٤.

الخدش)[1]

وقول أبو جعفر(عليه السلام): (ما يستطيع أحد أن يدعي عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنة غير الأوصياء)[2]

وغير ذلك من الروايات التي تشير إلى وجود مصحف كامل في يد الإمام علي(عليه السلام) يختلف عن المصحف الموجود في أيدينا.

جواب هذه الشبهة

أن وجود زيادات في مصحف الإمام أمير المؤمنين أمر لاشك ولا شبه فيه ولكن نحن كلامنا ليست في وجود الزيادات وعدم وجودها وإنما في كون هذه الزيادات من القرآن أم لا؟

وهذا ما لا تثبته الروايات المتقدمة، فأن الزيادات قد تكون تفسيراً وشرحاً وتأويلاً للآيات القرآنية من لسان رسول الله(صلي الله عليه واله) ومن الإمام علي(عليه السلام) باعتباره قرين القرآن بنص الرسول(صلي الله عليه واله).

الدعوى الثالثة

هناك بعض الروايات تشير إلى وجود تحريف في القرآن الكريم، وقد عرض السيد الخوئي هذه الروايات على شكل طوائف متعددة ، وللاطلاع على تفاصيل هذه الروايات ومصادرها والرد عليها يراجع كتاب البيان للسيد الخوئي والتمهيد لمعرفة و....

---

[1]- مقدمة تفسير البرهان: ج١: ٢٧٧.

[2]- الكليني، الكافي: ج١: ٢٢٨/ ج٢.

الخلاصة:

١. لقد ذهب البعض الى وقوع التحريف في القران واستدلو بامور ثلاثة :

الاول: حديث النبي ص عن الامم السابقة .

الثاني : مصحف الامام علي ع .

الثالث : الروايات التي اشارت الى وقوع التحريف .

٢. وقد اجيب عن الامر الاول بانه قديكون المقصود من التحريف هنا هو انحراف الائمة عن العمل بدينها ، مضافا الى ان الكثير مما وقع في تلك الامم ليم يتكرر وقوعه في امتنا .

٣. واجيب عن الامر الثاني بان مصحف الامام علي هو شرح للقران وبيان لاسراه وخفاياه وليس شئ من نص القران .

٤. والجواب عن الامر الثالث موكول للمصادر التي اشرنا اليها.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ۴۶)

الناسخ والمنسوخ

المقدمة:

من طبيعة الحركة الإصلاحيّة الآخذة إلى التقدّم بوجه عامّ، أن يتوارد على تشريعاتها نسخ متتابع، حسب تدرّجها التصاعدي نحو قِمَّة الكمال ، وهكذا استدعت التشريعات الإسلاميّة نسخاً متتالياً منذ أن ظهرت الدعوة في مكّة المكرّمة وحتّى إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة وقد انتهت شريعة النسخ ـ فيما يخصّ آي الذكر الحكيم ـ بوفاته؟ حيث انقطع الوحي.

المحتوى العلمى :

اول من صنف في علم النسخ

وأوّل من جمع أُصول هذا العلم في تدوين جامع هو أبو محمّد عبد الله بن عبد الرّحمان الأصمّ المسمعيّ من أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام)، له رسالة في الناسخ والمنسوخ.

تعريف النسخ:

النسخ هو رفع تشريع سابق ـ كان يقتضي الدّوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إمّا ذاتاً ـ إذا كان التنافي بينهما بيّناً ـ أو بدليل خاصّ، من إجماع أو نصّ صريح.

إذن فرفع الحكم عن بعض أفراد العامّ، ليس نسخاً في الاصطلاح، بل هو تخصيص، إذ لم يرتفع التشريع السابق نهائيّاً، وإنّما اختصّ بسائر الأفراد.

وكذلك إذا كان الحكم محدوداً صريحاً من أوّل الأمر فارتفاعه بانتهاء أمده لا يكون نسخاً في الاصطلاح.

وهكذا إذا ارتفع تكليف عند مصادفة حرج أو اضطرار أو ضرر شخصيّ أو لمصلحة وقتيّة ـ على ما يفصّلها الفقهاء ـ لا يكون من النسخ في شيء، إذ جميع ذلك لم يكن من ارتفاع التشريع، وإنّما تبدّل الموضوع بطرو، أحد هذه العناوين. كما لو جاز للمضطرّ أن يأكل من الميتة بقدر ما يسدّ رمقه، فإنّ مثل هذا الجواز لا يكون نسخاً للحرمة الأصليّة التي كان موضوعها الإنسان المختار وقد تبدّل إلى إنسان مضطرّ.

الخلاصة:

١. اول من صنف في علم النسخ هو : أبو محمّد عبد الله بن عبد الرّحمان الأصمّ المسمعيّ .

٢. النسخ هو رفع تشريع سابق ـ كان يقتضي الدّوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إمّا ذاتاً ـ إذا كان التنافي بينهما بيّناً ـ أو بدليل خاصّ، من إجماع أو نصّ صريح.

٣. ان رفع الحكم عن بعض أفراد العامّ، ورفع تكليف عند مصادفة حرج أو اضطرار ورفع الحكم المحدود بوقت بانتهاء أمده.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدی)

(الدرس ۴۷)

حقيقة النسخ

المقدمة:

تكلمنا في الدرس السابق عن معنى ا لنسخ والاصطلاح الخاص به والمعاني الخارجة عنه، وما نريد التعرف عليه في هذا الدرس هو حقيقة النسخ التي يصح ان تصدق في حقه تعالى، حيث من الامور المهمة التي تساعد على فهم مطالب علوم القران وبحوثه هي التعرف على مرامي ومقاصد المصطلحات المتداولة فيه ، وكما تعلمون فان النسخ واحد من بحوثه المهمة، فتعالوا نتعرف على حقيقته وما هو النسخ الذي يجوز ان ننسبه لله تعالى؟ وما هو فرقه عن البداء والتخصيص؟

المحتوى العلمي :

حقيقة النسخ في حقه تعالى

النسخ في حقيقته الأوّليّة ـ بمعنى «نشأة رأي جديد» ـ مستحيل عليه تعالى، إذ هو بذاك المعنى يستدعي تبدّل رأي المشرِّع، بظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق، عثر عليه متأخّراً فأبدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للأوّل، ويكون هذا الأخير هو الكامل الصحيح في نظره فعلاً، ويجوز تبدّل رأيه ثانياً وثالثاً إلى تشريع ثالث ورابع وهكذا، ما دام يحتمل خطأه في كلّ تشريع. هذا المعنى إنّما يختصّ بالمشرّعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأُمور. أمّا العالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعيات في طول الزمان وعرضه على حدّ سواء فيمتنع عليه أن يخطأ في إصابة الواقع، أو يفوته نقص كان غافلاً عنه ثمّ وجده.

إذن فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخ في ظاهره، أمّا الواقع فلا نسخ أصلاً وإنّما هو حكم موقّت وتشريع محدود من أوّل الأمر وأنّه تعالى لم يشرّعه حين شرّعه إلاّ وهو يعلم أنّ له أمداً ينتهي إليه وإنّما المصلحة الواقعيّة اقتضت هذا التشريع المؤقّت. لكن لمصلحة في التكليف أخفى تعالى بيان الأمد ثمّ في نهاية الأمد جاء البيان إلى الناس: إنّ هذا التشريع قد انتهى بهذا الأجل. ومن المصلحة الاختبارُ بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقّاً ـ مثلاً ـ وغير ذلك. وعليه فالتعبير عن هذه الظاهرة الدينيّة بالنسخ تعبير ظاهري وليس من الحقيقة في شيء.

الفرق بين النسخ والبداء:

النسخ خاصّ بالتشريعيات ـ اصطلاحاً ـ والبداء بالتكوينيات. وإنَّ كلّاً منهما في مفهومه الأصلي ـ وهو تبدّل الرأي ـ مستحيل على الله تعالى بالقياس إلى علمه تعالى الأزلي المحيط، بلا فرق.

إذن فكما أنّ النسخ إنّما كان بمعناه الظاهري مستعملاً في الشريعة وهو ظهور الشيء بعد خفاءه على الناس، فكذلك البداءُ ظهورُ أمرٍ بعدَ خفاءٍ. سوى أنّ الأوّلَ ظهورُ أمدِ حكمٍ كان معلوماً عند الله خافياً على الناس، والثاني ظهور أمر أو أجل كان حتمياً عنده تعالى من الأزل، وخافياً على الناس ثمّ بدا لهم أي: ظهرت لهم حقيقته.

الفرق بين النسخ والتخصيص:

إطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً في متداول السلف، ومن ثمّ أكثروا القول في عدد الآي المنسوخة.

ويفترق النسخ عن التخصيص: إنّ النسخ قطع لاستمرار التشريع السابق بالمرّة بعد أن عمل به المسلمون في فترة من الزّمن طويلة أم قصيرة. أمّا التخصيص فهو قصر الحكم العام على بعض أفراد الموضوع وإخراج البقيّة عن الشمول، قبل أن يعمل المكلّفون بعموم التكليف.

فالنسخ اختصاص للحكم ببعض الأزمان. والتخصيص اختصاصه ببعض الأفراد، ذاك تخصيص أزماني وهذا تخصيص أفرادي ولا يشتبه أحدهما بالآخر.

الخلاصة:

١. حقيقة النسخ بمعنى نشأة رأي جديد ، و هو امر يخص الادمين لاي يجوز في حقه تعالى ـ والا لجاز في حقه النقص .

٢. النسخ في حقه تعالى هو نسخ في ظاهره لا في الواقع فان الحكم موقّت والتشريع محدود من أوّل الأمر وأنّه تعالى لم يشرّعه حين شرّعه إلاّ وهو يعلم أنّ له أمداً ينتهي إليه.

٣. الفرق بين النسخ والبداء هو : ان الاول خاص بالتشريعيات ، والثاني خاص بالتكوينيات .

٤. الفرق بين النسخ والتخصيص ان الاول اختصاص الحكم بمقطع من الزمن ، والثاني اختصاصه ببعض الافراد دون غيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهیدی)

(الدرس ۴۸)

شروط النسخ فی القرآن

المقدمة:

بعد ان محصنا معنى النسخ وحقيقته ، وميزنا معناه عن معنى التخصيص والبداء نريد ان نعرف في هذالدرس على شروط النسخ والامور التي يجب تتحققها حتى يتحقق النسخ ، وهي خمسة امور تدور حول الناسخ والمنسوخ ومتعلقاتهما ، فلو انتفى احد هذه الشروط لم يتحقق النسخ.

المحتوى العلمى :

شروط النسخ

الأوّل: تحقّق التنافي بين تشريعين وقعا في القرآن، بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمرّ، تنافياً ذاتيّاً، كما في آيات وجوب الصفح مع آيات القتال، فإنّ قوله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ)[1] أمر بالصفح عن المشركين إذ كان المؤمنون بمكّة في ضعف شديد فنسخت بالإذن في القتال أوّلاً بقوله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[2]. ثمّ التحريض عليه بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)[3] وأخيراً باستئصال المشركينَ عامَّةً بقوله تعالى: (فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ)[4].

أو بدليل قاطع دلّ على نقض التشريع السابق بتشريع لاحق. كما في آية الإمتاع إلى الحول مع آية الاعتداد بأربع أشهر وعشرة أيّام وآية المواريث فإنّ قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[5]، نسخت بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)[6] وقوله تعالى: (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم)[7]. فقد قام الإجماع على نسخ الأولى بالأخيرتين[8].

الثاني: أن يكون التنافي كليّاً على الإطلاق، لا جزئيّاً وفي بعض الجوانب، فإنّ الثاني تخصيص في الحكم العامّ، وليس من النسخ في شيء. فإنّ قوله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ)[9]، لا

١ـ الجاثية: ١٤.

٢ـ الحج: ٣٩.

٣ـ الأنفال: ٦٥.

٤ـ التوبة: ٥.

٥ـ البقرة: ٢٤٠.

٦ـ البقرة: ٢٣٤.

٧ـ النساء: ١٢.

٨ـ راجع: تفسير المختصر لشبّر: ٧٦ ط م.

٩ـ النور: ٦٠.

تصلح ناسخة لقوله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...)[1]، بعد أن كانت الأُولى أخصّ من الثانية والخاصّ لا ينسخ العامّ بل بل يخصّصه بما عداه من أفراد الموضوع.

الثالث: أن لا يكون الحكم السابق محدّداً بأمد صريح، لأنّ الحكم بنفسه يرتفع عند انتهاء أمده من غير حاجة إلى النسخ. فمثل قوله تعالى: (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ)[2]، لا يصدق عليه النسخ عندما تفيء الفئة الباغية وترجع إلى رشدها والتسليم لحكم الله.

الرابع: أن يتعلّق النسخ بالتشريعيّات، فلا نسخ فيما يتعلّق بالأخبار. فقوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ)[3]، لا يصلح ناسخاً لقوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ)[4]. فيما زعمه مقاتل بن سليمان لأنّ الآية إخبار عن واقعيّة لا تتغيّر بالوجوه والاعتبار.

وهكذا الإباحة الأصليّة ترتفع بحدوث التشريع من غير أن يكون ذلك نسخاً، حيث إنّ تلك الإباحة لم تكن بتشريع، وإنّما كانت بحكم العقل الفطري (البراءة العقليّة)، وموضوعها: عدم التشريع فترتفع بالتشريع.

الخامس: التحفّظ على نفس الموضوع، إذ عندما يتبدّل موضوع حكم إلى غيره، فإنّ الحكم يتغيّر لا محالة حيث إنّ الحكم قيد موضوعه. وليس هذا نسخاً، فمثل قوله تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)[5]، ليس ناسخاً لقوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ)[6]. الأمر الذي اشتبه على كثير ممّن كتب في النسخ كابن حزم[7].

١ـ النور: ٣١.

٢ـ الحجرات: ٩.

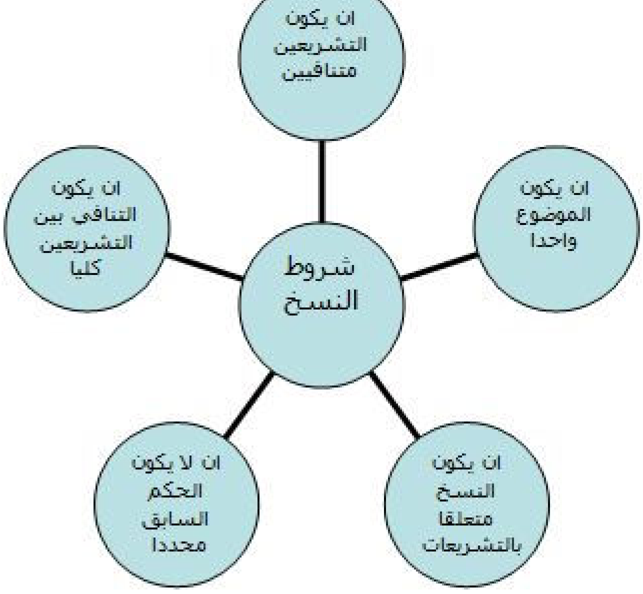
٣ـ الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠.

٤ـ الواقعة: ١٣ ـ ١٤.

٥ـ البقرة: ١٧٣.

٦ـ البقرة: ١٧٣.

٧ـ رسالة الناسخ والمنسوخ ـ بهامش الجلالين: ٢/١٦١.


ان يكون التشريعين متنافيين
ان يكون الموضوع واحدا
ان يكون التنافي بين التشريعين كليا
شروط النسخ
ان لا يكون الحكم السابق محددا
ان يكون النسخ متعلقا بالتشريعات

الخلاصة:

حتى تتم عملية النسخ فلابد من توفر شروط خمسة:

الاول : ان يكون بين الناسخ والمنسوخ تنافي . كما في ايات وجوب الصفح مع ايات القتال.

الثاني : ان يكون التنافي بين الناسخ والمنسوخ كليا على الاطلاق ، فتخرج اية النساء القواعد مع اية غض البصر .

الثالث : ان لايكون الحكم المنسوخ محددا بزمن معين .فتخرج اية (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)

الرابع : ان يكون متعلق النسخ هو التشريعات . فقوله تعالى (ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ) ، لا يصلح ان يكون ناسخاً لقوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ)

الخامس : ان يكون الموضوع بين الناسخ والمنسوخ واحدا . فقوله تعالى (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ، ليس ناسخاً لقوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ وَالدَّمَ) لاختلاف الموضوع.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ۴۹)

اصناف النسخ فى القرآن

المقدمة:

بعد تبينت معاني النسخ وشروطه واين يتحقق واين لايتحقق ، نشرع الان بعرض الصور التي يمكن ان يتصور فيها النسخ ، واي من هذه الصور والاصناف تجوز أي منها لاتجوز ، حيث ان بعض انواع النسخ تكون مرفوضة ويلزم منها توالي فاسدة ، وتتمحور هذه الاصناف حول الحكم والتلاوة ، فتارة يكون المنسوخ هو التلاوة واخرى الحكم وثالثة الاثنان معا ، فهذه ثلاث صور نشرحها تباعا بشئ من التفصيل والبيان.

المحتوى العلمى :

النسخ في القرآن يتصوّر على أقسام:

الأوّل: نسخ الحكم والتلاوة معاً: بأن تسقط من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعي وكان المسلمون يقرأونها ويتعاطون حكمها، ثمّ نسخت وبطل حكمها ومحيت عن صفحة الوجود رأساً وهذا النوع من النسخ مرفوض عندنا، (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[1].

والقائلون بهذا القول استندوا إلى حديث عائشة، قالت: «كان فيما أُنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرّمن»، ثمّ نسخن بـ«خمس معلومات» قالت: وتوفّي رسول الله(ص) وهنّ فيما يقرأ من القرآن[2].

وكانت الصحيفة تحت السرير فاشتغلنا بدفن رسول الله(ص) فدخل داجن البيت فأكله»[3]. وهذا حديث واحد يرجع إلى التلاعب بالقرآن الكريم مضافاً إلى أنّ هذا القول يرجع إلى القول بالتحريف ونسيان آية تتلى حتّى وفاة رسول الله(ص)، الأمر الذي ينكره جماعة المسلمين. ومعلوم أنّ بما ذكرته عائشة لا ينعدم حفظه من القلوب ولا يتعذّر عليهم إثباته في صحيفة أُخرى، فعرفنا أنّه لا أصل لهذا الحديث.

الثاني: نسخ التلاوة دون الحكم: بأن تسقط آية من القرآن الحكيم، كانت تقرأ، وكانت ذات حكم تشريعيّ، ثمّ نسيت ومحيت عن صفحة الوجود لكن كان حكمها بقي مستمرّاً غير منسوخ. وهذا النوع من النسخ أيضاً مرفوض عندنا ، لأنّ القائل بذلك إنّما يتمسّك بأخبار آحاد زعمها صحيحة الإسناد، وغفل عن أنّ نسخ آية محكمة شيء لا يمكن إثباته بأخبار آحاد لا تفيد سوى الظنّ و(إنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا).

هذا فضلاً عن منافاته لمصلحة نزول نفس الآية أو الآيات إذ لو كانت المصلحة التي كانت تقتضي نزولها هي اشتمالها على حكم تشريعي ثابت فلماذا ترفع الآية وحدها، في حين اقتضاء المصلحة بقاءها لتكون سنداً للحكم الشرعي المذكور. والالتزام بذلك التزام صريح بتحريف القرآن وحاشاه من كتاب إلهي خالد مضمون بالحفظ مع الخلود.

قال السرخسي: «إنّ صوم كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابعة، بقراءة ابن مسعود: «فصيام

---

[1] ـ فصّلت: ٤٢.

[2] ـ صحيح مسلم: ٤/١٦٧.

[3] ـ أصول السرخسي: ٢/٧٨ ـ ٨٠.

ثلاثة أيّام متتابعات». وقد كانت هذه قراءة مشهورة إلى زمن أبي حنيفة، ولكن لم يوجد فيها النقل المتواتر، الذي يثبت بمثله القرآن، وابن مسعود لا يشكّ في عدالته وإتقانه، فلا وجه لذلك إلّا أن نقول: كان ذلك ممّا يتلى في القرآن ـ كما حفظه ابن مسعود ـ ثمّ انتسخت تلاوته في حياة رسول الله ﷺ بصرف القلوب عن حفظها إلّا قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله، فإنّ خبر الواحد موجب للعمل به، وقراءته لا تكون دون روايته، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق»[1]. ولا يخفى سخافة هذا الاستدلال.

الثالث: نسخ الحكم دون التلاوة: وذلك بأن تبقى الآية ثابتة في الكتاب يقرؤها المسلمون عبر العصور سوى أنّها من ناحية مفادها التشريعيّ منسوخة، لا يجوز العمل بها بعد مجيء الناسخ القاطع لحكمها.

وهذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسّرين واتّفق الجميع على جوازه إمكاناً وعلى تحقّقه بالفعل أيضاً ، حيث توجد في القرآن الحاضر آيات منسوخة وآيات ناسخة.

وكانت لهذا النوع من النسخ أنحاء ثلاثة، وقع الكلام في إمكان بعضها:

الأوّل: أن ينسخ مفاد آية كريمة بسنّة قطعيّة أو إجماع محقّق، كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)[2]، فإنّه ـ بظاهره ـ لا يتنافى مع قوله: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)[3]، وقوله: (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم)[4]، غير أنّ السنّة القطعية وإجماع المسلمين أثبتا نسخ الأوّل بالأخيرين.

الثاني: أن ينسخ مفاد آية بآية أُخرى، بحيث تكون الثانية ناظرة إلى مفاد الأُولى ورافعة لحكمها بالتنصيص، ولولا ذلك لم يكن موقع لنزول الثانية وكانت لغواً. مثلاً: قوله تعالى

١ـ أصول السرخسي: ٢/٨١.

٢ـ البقرة: ٢٤٠.

٣ـ البقرة: ٢٣٤.

٤ـ النساء: ١٢.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)[1] أوجب التصدّق بين يَدَي مناجاة الرسول(ص)، ونسخته قوله تعالى: (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ)[2]. وهذا النحو من النسخ لم يختلف فيه أحد.

الثالث: أن تنسخ آية بأُخرى من غير أن تكون إحداهما ناظرة إلى الأخرى سوى أنّهم وجدوا التنافي بين الآيتين، بحيث لم يمكن الجمع بينهما تشريعياً ومن ثمّ أخذوا الثانية المتأخرة نزولاً ناسخاً للأولى.

ويجب أن يكون التنافي بين الآيتين كليّاً ـ على وجه التباين الكلّي ـ لا جزئيّاً وفي بعض الوجوه، ويشترط في هذا القسم الثالث، وجود نصّ صحيح وأثر قطعيّ صريح، يدعمه إجماع القُدامى، إذ من الصعب جدّاً الوقوف على تاريخ نزول آية في تقدّمها وتأخّرها، ولا عبرة بثبت آية قبل أُخرى في المصحف، إذ كثير من آيات ناسخة هي متقدّمة في ثبتها على المنسوخة، كما في آية العِدَد برقم: ٢٣٤ من البقرة وهي ناسخة لآية الإمتاع إلى الحول برقم: ٢٤٠ من نفس هذه السورة، وهذا إجماع.

كما أنّ التنافي ـ على الوجه الكلّي ـ لا يمكن القطع به بين آيتين قرآنيّتين سوى عن نصّ معصوم(عليه السلام)، لأنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وليس من السهل الوقوف على كنه آية مهما كانت محكمة.

إشكال: إنّ الالتزام بوجود آيات ناسخة وآيات منسوخة في القرآن يستدعي وجود تناف بين آياته الكريمة، الأمر الذي يناقضه قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[3].

جواب: إنّ الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة هو ما إذا كان حقيقيّاً في ظرف الواقع، أمّا إذا كان شكليّا وفي ظاهر الأمر ـ كما بين الناسخ والمنسوخ ـ فلا تناقضه الآية. مثلاً: يشترط في الاختلاف الحقيقيّ (التناقض) أُمور ثمانية[4]، منها: وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلّف أحدها فلا تنافي ولا اختلاف، كما في الناسخ، ظرفه متأخر وملاكه مصلحة أُخرى، تبدّلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ.

إشكال آخر: ما هي الفائدة وراء ثبت الآية المنسوخة في القرآن؟

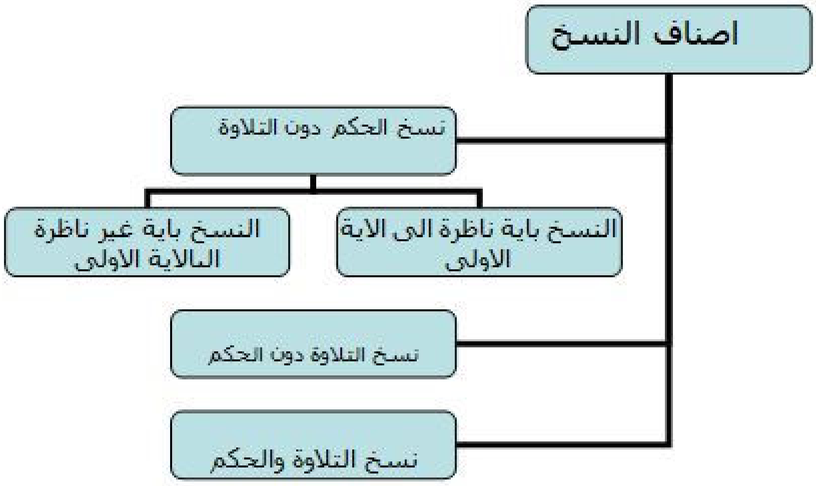
١ـ المجادلة: ١٢.

٢ـ المجادلة: ١٣.

٣ـ النساء: ٨٢.

٤- راجع: المنطق للعلامة المظفّر: ٢/٤٢.

جواب: لا تنحصر فائدة آية قرآنيّة في الحكم التشريعي فقط، بل للآية أهداف كثيرة، منها ـ مضافة إلى الإعجاز والتحدّي العام ـ الدلالة على مراحل الدعوة الإسلاميّة.



الخلاصة:

١. اول انواع النسخ هو نسخ الحكم والتلاوة معا ، وهذا النوع لم يقع وهو باطل عندنا ، والذين صححوا هذا النوع من النسخ استندوا لاحاديث لا اصل لها .

٢. ثاني انواع النسخ هو ان تنسخ التلاوة دون الحكم ، وهو مرفوض عندنا ايضا ، لان الاحاديث التي دلت على ذلك هي احاديث احاد .

٣. والثالث هو نسخ الحكم دون التلاوة ، وهذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسّرين واتّفق الجميع على جوازه إمكاناً وعلى تحقّقه بالفعل أيضاً ، حيث توجد في القرآن الحاضر آيات منسوخة وآيات ناسخة .

٤. ان نسخ الحكم دون التلاوة تارة يكون بواسطة سنة قطعية ، واخرى يكون باية ناظرة الى الاية المنسوخة ، وثالثة باية غير ناظرة الاية المنسوخة .

٥. واشكل على نسخ الحكم دون التلاوة بانه مالقائدة من بقاء الاية في المصحف اذا كان حكمها منسوخ؟ والجواب ان الاية لاتنحصر فائدتها في التشريع فقط ، بل ان بقائها فيه دلالة على مراحل الدعوة الاسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدي)

(الدرس ٥٠)

المحكم والمتشابه

المقدمة:

من الابحاث المهمة في علوم القران والتي وقع فيها كلام كثير هي ابحاث المحكم والمتشابه وطرق التفريق بينهما، ولا لكن لاكلام ولاجدال في اهمية هذا البحث وفائدته الكبيرة في التعرف تصنيف الايات القرانية ومن ثم معرفة مراميها واهدافها، لاسيما في علم التفسير، وسوف نتعرف في هذا الدرس على معنى هذين المصطلحين ودلالتهما.

المحتوى العلمى :

ماهو المحكم؟

الإحكام: هو الإتقان، يوصف به الكلام إذا كان ذا دلالة واضحة، بحيث لا يحتمل وجوهاً من المعاني. مأخوذ من الحَكَم ـ بالفتح ـ بمعنى المنع والسدّ، ومنه حَكَمَة اللجام ـ بفتحات ـ ما أحاط بحنكي الفرس، سميت بذلك لأنّها تمنعه من الجري الشديد، قاله ابن فارس.

فإحكام الكلام: إتقانه تعبيراً وأداءً بالمقصود. وهذا كأكثر آيات التشريع والمواعظ والآداب.

والتشابه: مأخوذ من تشابه الوجوه، أي تماثل بعضها مع البعض، بحيث يحتمل وجوهاً من المعاني، ومن ثمّ كان خفاء في وجه المقصود ومنه قوله تعالى: (إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا)[1]. قال الراغب: «المحكم ما لا تعرض فيه شبهة، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى، والمتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن المراد».

وعليه فالمتشابه ـ حسب المصطلح القرآني ـ هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة .

ومن ثمّ فهو كما يصلح للتأويل إلى وجه صحيح، يصلح للتأويل إلى وجه فاسد، ولأجل هذا الاحتمال وقع مطمع أهل الزيغ والفساد، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله إلى ما يتوافق مع أهدافهم الضالّة.

والتفسير هو كشف القناع عن اللفظ المشكل ـ أي المبهم ـ سواء أكان متشابهاً أم لم يكن .

١ـ البقرة: ٧٠.

والتأويل هو إرجاع الكلام إلى أحد محتملاته العقلانيّة ولو كان ـ في ظاهره ـ واضح المدول .

عوامل التشابه:

من أهمّ عوامل التشابه هو دقّة المعنى وعلوّ مستواه عن المستوى العامّ مضافاً إلى رقّة التعبير وجزالة الأداء كما في قوله تعالى: (اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)[1] فقد وقع فيها تشبيه ذاته المقدّسة بالنور، وهو أدقّ تعبير في تقريب ذاته المقدّسة إلى أفهام العامّة، إذ لو قيل للجمهور: «الله تعالى لا ماهيّة له، ولا هو جسم ولا فيه خواصّ الجسم»، لم يقتنعوا. كيف لا ماهية له ولا جسم؟ فإذا قيل لهم: «إنّه نور»، اقتنعوا، في حين أنّ نفس الإجابة صحيحة يعرفها الراسخون في العلم، إذ كما أنّ النور ـ في المحسوس ـ غير قابل للإدراك ذاتاً، وإنّما يحسّ به من قبل إنارته للأشياء، كذلك وجوده تعالى ـ في غير المحسوس ـ لا يدرك هو، وإنّما يدرك بإفاضته الوجود على الموجودات، فالله تبارك وتعالى يتجلّى من خلال كلّ موجود وليس يُدرك ذاتاً، كالنّور سبب لإدراك الأشياء وتعجز الأبصار عن إدراكه بالذات[2].

١ـ النور: ٣٥.

٢ـ راجع: الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد: ص٩٢ ـ ٩٣.

الخلاصة:

١. إحكام الكلام: إتقانه تعبيراً وأداءً بالمقصود. وهذا كأكثر آيات التشريع والمواعظ والآداب .

٢. المتشابه ـ حسب المصطلح القرآني ـ : هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة .

٣. التفسير : هو كشف القناع عن اللفظ المشكل ـ أي المبهم ـ سواء أكان متشابهاً أم لم يكن .

٤. التأويل : هو إرجاع الكلام إلى أحد محتملاته العقلانيّة ولو كان ـ في ظاهره ـ واضح المدول .

٥. من أهمّ عوامل التشابه هو دقّة المعنى وعلوّ مستواه عن المستوى العامّ ، مضافاً إلى رقّة التعبير وجزالة الأداء.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٥١)

عوامل الابهام ومميزاته

المقدمة:

تعرضنا سابقا الى معنى المحكم والمتشابه وطرحنا الى جنبهما التاويل والتفسير وقد عرفناهما ايضا لنستعين بهما على فهم المحكم والمتشابه ، ثم ذكرنا في اخر الدرس الماضي اهم عوامل التعبير ، لكننا في هذا الدرس سنعرض العوامل الابهام التي تحتاج الى التفسير ، لتتميز عن عوامل التشابه التي ا وردناها في الدرس الماضي.

المحتوى العلمى :

عوامل الإبهام

تعود عوامل الابهام الى امور

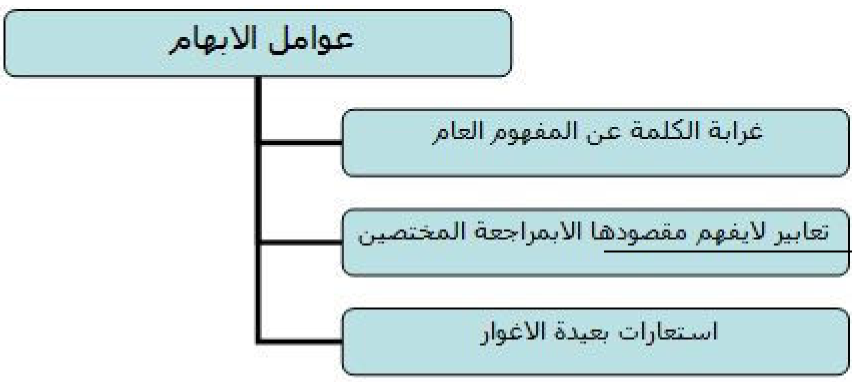
منها: غرابة الكلمة عن المألوف العام، نظراً لاختصاص استعمالها ببعض القبائل دون بعض، فجاء القرآن ليوحّد اللّغة باستعمال جميع لغات العرب، من ذلك «صَلْداً» بمعنى «نَقِيّاً» في لغة هذيل، و«المِنْسَأة» بمعنى «العصا» في لغة حضرموت وغير ذلك.

ومنها: إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، بحيث يحتاج فهمها إلى درس عادات ومراجعة تاريخ، كالنسيء في قوله تعالى: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ)[1]، أو تعابير إجماليّة يحتاج الوقوف على تفاصيلها إلى مراجعة السنّة وأقوال السلف، كقوله تعالى (أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ) و(وَآتُوا الزَّكَاةَ) و(للهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ) وأمثال ذلك.

ومنها: تعابير عامّة صالحة لمعاني لا يعرف المقصود منها إلاّ بمراجعة ذوي الاختصاص، كالبرهان في سورة يوسف: (لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[2] والكوثر في: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ)[3] وأمثال ذلك.

ومنها: استعارات بعيدة الأغوار، يحتاج البلوغ إليها إلى تعمّق كثير، كقوله تعالى: (اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ)[4]. ونحو ذلك.

وعليه فبين عوامل التشابه وعوامل الإبهام فرق ولا يشتبه مورد أحدهما بالآخر وإن كانا يشتركان في خفاء المراد بالنظر إلى ذات اللفظ.



١ـ سورة براءة: ٣٧.
٢ـ يوسف: ٢٤.
٣ـ الكوثر: ١.
٤ـ يس: ٦٥.

هل في القرآن متشابه؟

لاشكّ أنّ القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات في أكثريّة غالبة، مشتمل على آيات متشابهات في عدد قليل. قال تعالى: (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[1].

سؤال: هلّا كانت جميع آي القرآن محكمات؟ فكان ذلك أسلم من الالتباس وأقرب إلى طرق الاهتداء العامّ.

جواب: إنّ وقوع التشابه في القرآن ـ الكتاب السماوي الخالد ـ شيء كان لا محيص عنه، ما دام كان يجري في تعابيره الرقيقة مع أساليب القوم، في حين سموّ محتواه عن مستواهم الهابط. القرآن جاء بمفاهيم حديثة كانت غريبة في طبيعة المجتمع البشري آنذاك، ولاسيّما جزيرة العرب البعيدة عن أنحاء الثقافات، في حين التزامه ـ في تعبيراته الكلامية ـ نفس الأساليب التي كانت دارجة ذلك العهد.

كانت الألفاظ والكلمات ـ التي كانت العرب تستعملها في محاوراتها ـ محدودة حسبما كانت العرب تألفه من معان محسوسة أو قريبة من الحسّ ومبتذلة إلى حدٍّ ما. فجاء استعمالها من قبل القرآن غريباً عن المألوف العامّ. ومن ثمّ قصرت أفهامهم عن إدراك حقائقها ما عدا ظواهر اللفظ والتعبير. إذ كانت الألفاظ تقصر بالذات عن أداء مفاهيم لم تكن تطابقها، ومن ثمّ كان اللجوء إلى صنوف المجاز وأنواع الاستعارات أو الإيفاء بالكناية ودقائق الإشارات. الأمر الذي قرّب المفاهيم القرآنية إلى مستوى أفهام العامّة من جهة وبعّدها من جهة أُخرى. قرّبها من جهة إخضاعها لقوالب لفظيّة كانت مألوفة لدى العرب. وبعّدها حيث سموّ المعنى كان يأبى الخضوع لقوالب لم تكن موضوعة لمثله. هذا هو السبب الأقوى لوقوع التشابه في تعبيرات القرآن بالذّات. مثلاً: جاء التعبير المجازي في آيتين لا تختلفان من حيث الأداء والتعبير، غير أنّ إحداهما لمّا كانت تعبّر عن معنىً هو فوق مستوى العامّة، حصل فيها التشابه، أمّا الأُخرى فكانت تعبيراً عن معنىً

١ـ آل عمران: ٧.

محسوس، ومن ثمّ لم يقع فيها إشكال. فقوله تعالى: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[1] فيها مجاز الحذف، أي «إلى رحمة ربّها ناظرة» كما في آية أُخرى نظيرتها: (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ)[2]، أي «واسأل أهلَ القريةِ»، غير أنّ الأُولى صارت متشابهة، لقصور أفهام العامّة عن إدراك مقام الألوهيّة، فحسبوا منها جواز رؤيته تعالى. أمّا الآية الثانية فلم تتوقّف في فهم حقيقتها، لأنّها في معنىً محسوس.

وهناك عامل آخر كان ذا أثر في إيجاد التشابه في غالب الآيات الكريمة، إذ لم تكن متشابهة من قبل، وإنّما حدث التشابه فيها على ظهور مذاهب جدليّة، بعد انقضاء القرن الأوّل الذي مضى بسلام. مثلاً: لما سمعت العرب قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ)[3]، ربّما لا تفهم منه سوى استقلاله تعالى بملكوت السماوات والأرض وتدبيره لشؤون هذا العالم نظير قول شاعرهم:

ثُمَّ اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِراقِ مِنْ غَيْرِ سيفٍ ودمٍ مُهْراقٍ

لكنّ الأشاعرة ـ ومن ورائهم سائر أهل التشبيه ـ أبوا إلاّ تفسيره بالاستقرار على العرش جلوساً متربّعاً فوق السماوات العلى، وقد ينزل إلى السماء الدنيا ليطّلع على شؤون خلقه فيغفر لهم ويجيب دعاءهم، إذ لا يمكنه ذلك وهو متربّع على كرسيّه فوق السماوات[4].

١ـ القيامة: ٢٣.

٢ـ يوسف: ٨٢.

٣ـ يونس: ٣٠.

٤ـ راجع: الإبانة، ٣٥ فما بعد. ورسالة الرّد على الجهميّة للدارمي: ص١٢ فما بعد.

الخلاصة:

١.من الامور التي ادت الى الابهام هي غرابة الكلمة عن المفهوم العام ، عندما كان القران يستخدم كلمات متعددة تختلف من قبيلة الى اخرى .

٢.إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، بحيث يحتاج فهمها إلى دراسة العادات ومراجعة التاريخ، كمفردة النسيء .

٣.مفردات يلزم الرجوع في فهمها لذوي الاختصاص ، كالبرهان الذي ورد في سورة يوسف ، والكوثر في سورة الكوثر .

٤.استعارات بعيدة الأغوار، يحتاج البلوغ إليها إلى تعمّق كثير، كقوله تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ)[1]. ونحو ذلك.

٥.أنّ القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات في أكثريّة غالبة، فهو مشتمل ايضا على آيات متشابهات في عدد قليل .

٦.ان سبب وجود الايات المتشابهة في القران هو تقريب المرامي والمقاصد القرانية الى اذهان وافام العرب ، لذلك استخدم القران المجازات والاستعارات في الايات المتشابهة ، مضافا الى ان نفس نشوء الفرق الكلامية كان سببا في ضمور بعض المعاني والمقاصد القرانية.

١ـ يس: ٦٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم القرآن (التمهيدى)

(الدرس ٥٢)

حقيقة التأويل

المقدمة:

لم يكن التأويل بعيدا عن الدراسات والبحوث القرانية منذ ان اسس هذا العلم وقائمت دائمه حيث وقف الباحثون والعلماء على معانية واهميته ودوره في علوم القران ، ونحن هناك سنحاول عرضه ولو بشكل مقتضب من اجل ايضاح ماخفي من دلائله بع ان عرفنا معناه من خلال الدروس السابقة ، لاسيما الدرس السابق.

المحتوى العلمى :

معنى التأويل

التأويل يتسعمل بمعنى توجيه المتشابه، وهو تفعيل من الأوْل بمعنى الرجوع، لأنّ المؤوِّل عندما يُخَرّج للمتشابه وجهاً معقولاً، هو آخذ بزمام اللفظ ليعطفه إلى الجهة التي يحاول التخريج إليها ، ومن ثمّ يستعمل في تبرير العمل المتشابه أيضاً كما في قصّة الخضر (عليه السلام)، قال لصاحبه: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا)[1]. أي: سأطلّعُك على السرّ المبرِّر لأعمال أثارت شكوكك ودعتك إلى الاعتراض.

إذن فكلّ لفظ أو عمل متشابه ـ أي مثير للرّيب ـ إذا كان له توجيه صحيح، فهذا التوجيه تأويله لا محالة. وعليه فالفرق بين التفسير والتأويل هو أنّ الأوّل توضيحُ ما لجانب اللفظ من الإبهام، والثاني توجيهُ ما فيه من مثار الريب، وقد سبق ما بين عوام الإبهام والتشابه من فرق.

وقد اصطلحوا ـ أيضاً ـ على استعمال التأويل في معنى ثانويّ للآية، فيما لم تكن بحسب ذاتها ظاهرة فيه، وإنّما يتوصَّل إليه بدليل خارج، ومن ثمّ يعبّر عنه بالبطن. كما يعبّر عن تفسيرها الأوّلي بالظهر، فيقال: «تفسير كلِّ آية ظهرها وتأويلها بطنها». والتأويل بهذا المعنى الأخير عامٌّ لجميع آي القرآن، كما روي عن النبي(ص) أنّه قال: «ليس من القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن»[2]. وقال الإمام الباقر(عليه السلام): «ظهر القرآن الّذين نزل فيهم، وبطنه الّذين عملوا بمثل أعمالهم»[3]. فقد جاء التنزيل في كلامه(عليه السلام) بمعنى التفسير، أي إنّ للآية مورد نزول يكشف عن مدلولها الأوّلي المنصرم و يعبّر عنه بسبب النزول، ولا غنى للمفسّر عن معرفة أسباب النزول في كشف إبهام الآية، كما في آية النسيء ـ التوبة: ٣٧ ـ وغيرها.

١ـ الكهف: ٧٨.

٢ـ بحار الأنوار: ١٥٥/٣٣.

٣ـ تفسير العياشي: ١١/١، بحار الأنوار: ٩٤/٩٢ رقم٤٦.

نعم هناك عموم ثابت أبدي تنطوي عليه الآية، وبذلك تشمل عامّة المكلّفين مع الأبديّة وهو بطنها وتأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم، ولولا ذلك لبطلت الآية. قال الإمام الباقر(عليه السلام): «ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات اولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شرّ»[١]. فقوله تعالى: (وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٢] نزلت رادعة لعادة جاهليّة، كان الرجل إذا أحرم نقب في مؤخّر بيته نقباً، منه يدخل ويخرج. وهذه العادة أصبحت لا وجود لها بعد أن باد أهلها. غير أنّ الآية لم تمت بذلك وإنّما بقي عموم ردعها عن إتيان الأُمور من غير وجوهها بصورة عامّة[٣] فهذا تأويلها المنطوي عليه الآية، يعمل بها مع الأبد.

ومن ذلك تأويل الرؤيا لأنّه معنىً خفيّ باطن لا يعرفه سوى الّذين أُوتوا العلم. وقد استعمل التأويل في تعبير الرؤيا في القرآن في ثمانية مواضع من سورة يوسف: ٦، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

واستعمل بمعنى «مآل الأمر» في خمسة مواضع: النساء: ٥٩، الإسراء: ٣٥، الأعراف: ٥٣، مكرّرة، يونس: ٣٩.

وبمعنى «توجيه المتشابه» في أربعة مواضع: آل عمران: ٧ مكرّرة، الكهف: ٧٨، ٨٢.

أمّا استعماله بمعنى «البطن» فقد جاء في الآثار ـ كما تقدّم ـ وقد أخذ منه تعبير الرؤيا كما نبّهنا.

هل يعلم التأويل غيرُ الله؟

لا شكّ أنّ القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات مشتمل على آيات متشابهات. ولا محالة يقصدها أهل الأهواء والأطماع الفاسدة، ابتغاء تأويلها وانحرافها إلى ما يلتئم مع أهدافهم الباطلة، وقد جاء التصريح بذلك في نفس الآية: (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)[٤]. فلولا وجود علماء ربانيّين في كلّ

١ـ تفسير العياشي: ١/١٠، رقم٧. وتفسير الصافي: ١/١٤.

٢ـ البقرة: ١٨٩.

٣ـ راجع: تفسير شبّر: ٦٧، طبعة الكشميري.

٤ـ آل عمران: ٧.

عصر ومصر ينفون عنه تأويل المبطلين ـ كما في الحديث الشريف[1] ـ لأصبح القرآن معرضاً للفساد في الدين. فيجب ـ بقاعدة اللطف ـ وجود علماء عارفين بتأويل المتشابهات على وجهها الصحيح، ليقفوا سدّاً منيعاً في وجه أهل الزيغ والباطل دفاعاً عن الدين وعن تشويه آي الذكر الحكيم.

وأيضاً لو كانت الآي المتشابهة ممّا لا يعرف تأويلها إلاّ الله، لأصبح قسط كثير من آي القرآن لا فائدة في تنزيلها سوى ترداد قراءتها، وقال تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الالبَابِ)[2]، ولنفرض أنّ الأمّة ـ عندما وقفت على آية متشابهة ـ راجعت علماءها في فهم تلك الآية، فأبدوا عجزهم عن معرفتها، فذهبوا ـ والعلماء معهم ـ إلى أحد الأئمّة المعصومين(ع) خلفاء الرسول(ص) فكان الجواب اختصاص علمها بالله تعالى، لكنّهم لم يقتنعوا بهذا الجواب فذهبوا جميعاً إلى رسول الله(ص) سائلين: «ما تفسير آية أنزلها الله إليك لنتدبّرها»؟ فإذا النبي(ص) لا يفترق عن آحاد أُمّته في الجهل بكتاب الله العزيز الحميد! أوَ ليست الأمم تسخر أُمّة عمّها وعلماءها وأئمّتها ونبيّها الجهلُ بكتابها الّذي هو أساس دينها مع الخلود؟ أوَ ليس النّبي(ص) هو الّذي أرجع أُمّته إلى القرآن إذا ما التبست عليهم الأمور كقطع الليل المظلم؟[3] فبماذا يرجعون إذا التبس عليهم القرآن ذاته؟ مضافاَ إلى أنّا لم نجد من علماء الأمّة ـ منذ العهد الأوّل وإلى الآن ـ من توقّف في تفسير آية قرآنيّة بحجّة أنّها من المتشابهات لا يعلم تأويلها إلّا الله.

سؤال: ماذا يستفاد من الآية: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)[4]، هل الواو للتشريك أو الإستئناف؟

جواب: أمّا بالنظر إلى ذات الآية، فلعلّ دلالتها على التشريك واضحة، لأنّ مناسبة الحكم والموضوع تستدعي أن يكون المنسوب إلى الراسخين في العلم من جنس ما يتناسب مع المعرفة الكاملة، أمّا الإيمان الأعمى فلا مناسبة بينه وبين الرسوخ في العلم. وعليه فرعاية المناسبة هي التي تستدعي وجوب التشريك، ليكون الراسخون في العلم ـ أيضاً ـ عالمين بتأويل المتشابهات.

واعتراض: بأنّ مقتضى التشريك هو تساوي العلماء مع الله ولو في هذه الجهة الخاصّة

١ـ راجع: سفينة البحار: ١/٥٥.

٢ـ ص: ٢٩.

٣ـ راجع: الكافي الشريف: ٢/٥٩٩.

٤ـ آل عمران: ٧.

وقد قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[١].

وأُجيب: بأنّ شرف العلم هو الّذي رفعهم إلى هذه المنزلة المنيعة كما في قوله: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلْمِ قَآئِمَاً بِالقِسْطِ)[٢].

واعتراض آخر: ماذا تكون موقعيّة قوله: (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) إذا اعتبرنا «الرّاسِخُونَ» عطفاً على «الله»؟

والجواب: أنّها جملة حاليّة، حالاً توضيحيّاً من الراسخين.

من هم الراسخون في العلم؟

الراسخون في العلم هم العلماء الصادقون الّذين عرفوا قواعد الشريعة وموازين الشرع ومقاييسه الدقيقة، وإذا عرضت عليهم متشابهات الأُمور هم قادرون على استنباط حقائقها وعلى أوجه تخريجاتها الصحيحة. ومن ثمّ فإنّهم يعلمون بتأويل المتشابهات بفضل رسوخهم في فهم حقيقة الدين بعناية ربّ العالمين (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[٣]، (وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى)[٤]، (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ)[٥]، (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا)[٦]. أوَ ليس العلم بحقائق الشريعة البيضاء من الماء الغدق؟ إنّها شربة حياة العلم، يفيضها الله تعالى على من يشاء من عباده المؤمنين، ويطلعهم على أسرار الملك والملكوت في العالمين.

وأوّل الراسخين في العلم هو رسو الله(ص) ثمّ باب مدينة علمه أمير المؤمنين(عليه السلام) والأوصياء من بعده^.

وهكذا استمرّت بين المسلمين ـ عبر العصور ـ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فثبتوا

١ـ الشورى: ١١.

٢ـ آل عمران: ١٨.

٣ـ العنكبوت: ٦٩.

٤ـ مريم: ٧٦.

٥ـ فصّلت: ٣٠.

٦ـ الجنّ: ١٦.

واستقاموا على الطريقة فسقاهم ربّهم ماءً غدقاً. قال رسول الله(ص): «يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين»[1]. وقد جاء التعبير عن علماء أهل الكتاب الربانيّين بالراسخين في العلم (لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ)[2]. دليلاً على أنّ العلماء العاملين الّذين ساروا منهج الدين القويم، وكملت معرفتهم بحقائق الشريعة الطاهرة، هم راسخون في العلم ويعلمون التأويل. فعن ابن عباس تلميذ أمير المؤمنين(عليه السلام): «إنّا ممّن يعلم تأويله»[3]. وفي وصيّة النّبي(ص): «فما اشتبه عليكم فاسألوا عنه أهل العلم يخبرونكم»[4]. فلولا أنّ في اُمّته علماء عارفين بتأويل المتشابهات لما أوصى(ص) بمراجعتهم في حلّ متشابهات الأمور.

١ـ سفينة البحار: ١/٥٥.

٢ـ النساء: ١٦٢.

٣ـ الدر المنثور للسيوطى: ٢/٧.

٤ـ آلاء الرحمن للبلاغى: ج١، ص٢٥٨.

الخلاصة:

١. كلّ لفظ أو عمل متشابه ـ أي مثير للرّيب ـ إذا كان له توجيه صحيح، فهذا التوجيه تأويله لا محالة ، وبالتالي فهو يختلف عن التفسير الذي هو ازالة الابهام عن اللفظ .

٢. لقد استعمل التأويل في معاني اخرى منها البطن ، فيكون تفسيرها الاولي ظهرها والمعنى الباطني لها هو التاويل ، واستخدم في " مال الامر " وتوجيه المتشابه .

٣. مقتضى ـ قاعدة اللطف ـ ان يكون هناك علماء عارفين بتأويل المتشابهات على وجهها الصحيح، ليقفوا سدّاً منيعاً في وجه أهل الزيغ والباطل دفاعاً عن الدين وعن تشويه آي الذكر الحكيم.

٤. اول الراسخين في العلم هو النبي محمد(ص) ومن بعده الائمة الاطهار ثم العلماء الربانيون.